سقوط العلمانية

دكتور

عبد العزيز المرشدي

إهـــداء

إلى الذين استمسكوا بحبل الهواء الغربى وفرطوا فى حبل الله المتين .

إلى الذين استهوتهم نفايات الغرب السامة وتملكتهم عقدة الخواجه .

إلى الذين عملوا من حبة العولمة قبة .

إلى المسبحين بحمد الغرب صباح مساء .

إلى الذين جعلوا قبلتهم البيت الأبيض تاركين البيت العتيق .

إلى هؤلاء جميعاً . . لا أهديهم هذا البحث .



مقدمة

الحمد لله رب العالمين الواحد الأحد . الفرد الصمد . الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، أظهر الأنبياء حجة ، وأبينهم برهانا وأرجحهم علما وبيانا ، وأصدقهم لهجة ، وأسدهم قبلة ، وأشدهم عصمة ، وأعدلهم ملة ، وأوسطهم أمة ، سيد البشر ، والمبعوث إلى الأسود والأحمر والشفيع المشفع يوم المحشر حبيب الله أبى القاسم ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، اللهم صلى عليه وعلى آله وعلى من سار على دربه ، ورضى بشريعته ، وأيقن بأنها تحوى أمور الدنيا والدين .

وبعد :

فإن حاضر الأمة الإسلامية الآن فى حاجة إلى تصويب ذلك أنه فى ظل عوامل الهدم الكثيرة والمتنوعة وانقطاع الصلة الفعالة بأمجاد الأمة تاهت حقائق كثيرة واختفت عند البعض ملامح المستقبل ، وهذا الوضع الأليم لم ينبع من ذاتية الأمة ، ولا من الدين الذى تتدين به هذه الأمة .

بل إن هذا الوضع المتردى للأمة لم يكن إلا نتيجة عاملين رئيسسن :

أولاهما : انفراط عقد الأمة ، وبعدها عن تعايم دينها ، وانكبابها على نفايات الغرب السامة التى لا تزيد الأمة إلا تشرذما وتقزما .

ثانيهما : النية التى بيتها أعداء هذه الأمة لها ذلك أن هـؤلاء الأعـداء يفرضون علينا – منذ الاستعمار – أفكاراً ومشاكل ليست مـن طبيعتنـا ولا من بيئتنا مما يدفعنا فى متاهات ننسى فيه ديننـا وتاريخنـا وكـل عوامـل مقوماتنا .

ومن الأمور التى فرضت على هذه الأمـة تلـك السـخيمة المعروفـة " بالعلمانية " هذه الجرثومة التى بليت بها الأمة فرضها علينـا الغـرب فـى تشريعنا وفرضها علينا فى تفكيرنا وسلوكنا . وفرضها علينا فـى سياسـتنا واقتصادنا ففصل بين الإسلام وحكم الدولة ، وأبعد الإسلام عن مجال الحيـاة العامة وتركه داخل المسجد وفى قلوب الناس يمارسونه اعتقاداً وقلَّما ينزلون به إلى التطبيق .

وتلك خطوة تلتها بعد ذلك خطوة أخطر تهدف إلى إلغاء الدين من دنيـا الناس تماما كما حدث فى الغرب بعد الثورة على الكنيسة .

ومما يؤسف له أن الذين يحاولون زرع العلمانية فى مجتمعنا رجال من وسط هذه الأمة يتسمون بأسمائنا وينتمون إلى بلادنا بل ويدينون بديننا هؤلاء الرجال – إن جاز وصفهم بذلك – يمارسون ماكان يحاول الغرب ممارسـته وأشد ، وكأن الاستعمار الأجنبى قال لهم :

" إنى راحل ما عاد لى دور . . . دورى أنا أنتم ستلعبونه " .

هؤلاء الرجال يدعون إلى العلمانية فى الوقت الذى يحاولون الانتسـاب إلى الإسلام رافعين راية علمانية الإسلام تجد الواحد منهم [1] يقول : سـوف

---

(١) فرج فوده فى كتابه حوار حول العلمانية .

أطالب بالدولة العلمانية مادام فىَّ عرق ينبض ، هذا فى الوقت الذى يقول فيه بكل جرأة أن رفض العلمانية جهل بالحضارة . (١)

ثم نراه يقول : الله ربى ومحمد نبى والإسلام دينى (٢) وهــل يجتمــع النقيضان ؟ ثم لماذا العلمانيَة فى العالم الإسلامى ؟

إن الأسباب التى قامت من أجلها العلمانية فى الغرب منعدمة فى الشرق الإسلامى .

فمحاولة فرض العلمانية على الساحة الإسلامية هى محاولــة لتطبيــق نتائج بلا مقدمات .

فإن مثلنا ومثل من يحاول فرض العلمانية كمن يلقى قنابل مسيلة للدموع من غير أن يكون هناك داعٍ لهذه القنابل من مظاهرات وتخريب .

وفى الغرب مظاهرات فهناك داع لإلقاء القنابل ، لــيس فـــى الإســـلام طغيان من أى نوع ، وفى الغرب نجد الطغيان الكنسى كان على أشده طغيان دينى وسياسى واقتصادى ، وصكوك غفران ، ومحاكم تفتيش ، وصراع بين العلم والدين . . الخ وليس فى الإسلام مثــل هـــذه الأمـــور . . . إذا لمـــاذا العلمانية ؟ لماذا العلمانية فى بيئة دينها يفرض عليها طلب العلم من المهد إلى اللحد ، ولو بالصين ؟

لماذا العلمانية فى بيئة دينها فيه من المرونـــة مايجعلـــه قـــابلا لكـــل مستجدات العصر ومستحدثات النهضة ؟

---

(١) نفسه ص ١٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٩ .

لماذا العلمانية وهذه البيئة بسبب تمسكها بهذا الدين صدَّرت عوامل قيام النهضة لأوربا فى وقت كانت أوربا تغط فى عصور الظلام ، وتئن من وطأة رجال الدين ؟

لماذا العلمانية وفى القرآن (دستور هذه البيئة) من الأعجازات العلمية والنظريات الكونية مايشير إلى أن هذا الدين لم يأت ليكون محصوراً داخل بناء المسجد ، أو قلب الإنسان ، بل جاء ليسيِّر حركة الناس فى الداخل والخارج ؟

لماذا العلمانية وفى سيرة قائد هذه الأمة مايشير إلى أنه لم يكن يفرق بين الدنيا والآخرة ، بل كان دائما – ﷺ – يوائم بين الروح والجسد ، العقل والوجدان ، الفرد والمجتمع ، الدنيا والآخرة . . . إذا لا تعارض ولا فصل ، لماذا العلمانية وقد أوضح قائد هذه الأمة معالم الدولة بكل مايحمل هذا اللفظ من معنى ؟

فعلى رأس هذه الدولة كان القائد والأمير وولى الأمر وكان لـه وزراء ومشيرون اشتهر منهم هيئة العشرة المهاجرون ، ونقباء الأنصار الأثنا عشر وكان هناك من اختص بالحجابة والسقاية والكتابة والترجمة وحمل الخاتم وإمارة الحج . . الخ .

وفى العلاقات الخارجية والأعلام كان هناك : السفراء والتراجمة والشعراء والخطباء . . . الخ .

وفى القطاع الحربى كان هناك – أمراء القتال وجنّده وكتاب الجيش وفارضوا العطاء والعرفاء ورؤساء الجند . . . الخ .

وكذلك كان هناك من يقوم بمهمة المحتسب وصاحب العسس ومتولى حراسة المدينة والجواسيس والسجان ، والمنادى ، ومقيم الحدود ومتولى التطبيب والعلاج . . . الخ .

وعند الغزو كان هناك أمراء الجهاد والمستخلفون على المدينة ، ومن يستنفر الناس للقتال ، وصاحب السلاح ، وأمراء أقسام للجيش ، وحراس القائد والقائمون على متاع السفر ومن يبشرون بالنصر .

لماذا العلمانية وعند هذه الأمة كل هذا التراث ؟

لماذا العلمانية وكل المنصفين الغربيين شهدوا لهذا التراث بأنه من أدق وأروع النظم .

يقول المستشرق الألمانى الدكتور شاخت : " إن الإسلام يعنى أكثر من دين أنه يمثل أيضا نظريات قانونية وسياسية ، وجملة القول أنه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معا " .

ويقول الدكتور فتزجرالد : ليس الإسلام دينا فحسب ولكنه نظام سياسى أيضا ، وعلى الرغم من أنه قد ظهر فى العهد الأخير بعض أفراد من المسلمين يصفون أنفسهم بأنهم عصريون يحاولون أن يفصلوا بين الناحيتين فإن صرح التفكير الإسلامى كله قد بنى أساسا على حقيقة أن الجانبين متلازمان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر . (١)

إننى أنادى كل عقلاء – ومجانين – العالم أمة بهذا التنظيم وهذا التراث ثم تقف على قارعة الطريق تتسول نفايات الأفكار السامة من غيرها أيعز

(١) من كتاب النظريات السياسية الإسلامية ص ١٤ للدكتور / محمد ضياء الريس .

عليكم أيها العلمانيون أن تأخذوا أوامركم من أستاذ البشرية فى توجيهاته ، ثم تأخذون هذه الأوامر بشغف من أصحاب القبعات .

ألهذه الدرجة تملكتكم عقدة الخواجة ، ألهذه الدرجـــة وصـــلت التبعيـــة عندكم .

ياسادة إن أوربا العلمانية هى التى استعبدتكم فى الحروب الصليبية قـــد تقولون كان ذلك قبل العلمانية . . وأقول لكم . . وبعد العلمانية أن أســـاتذتكم فى التنوير والعلمانية – هم الذين دخلوا أزهركم بخيولهم ألم يكن نابليون أول من أدخل العلمانية فى مصر ، أين حقوق الإنسان فى العلمانية .

ألم يقل أحد العلمانيين المصريين عن الإنجليز أثناء احتلالهم لمصر أن عقلاء الأمة والخبراء بالسياسة لايكرهون احتلال الإنجليز لما يرونـــه مـــن المنافع لبنى جنسهم مما يحصل بأيدى الأنجليز ، ودفع المضرات التى لايمكن دفعها بدونهم . (١)

قولوا أنكم غير مواطنين ، وإلا كيف تتفق الوطنية مع تعظـــيم هـــؤلاء المستعمرين العلمانيين – من الذى شنق عمر المختار ؟ أليس أهـــل التنـــوير عندكم ؟ من الذى قتل مليون شهيد فى الجزائر ؟ أليس أهل التنـــوير ؟ أيـــن عدل العلمانين يا سادة ؟ من الذى يحمى إسرائيل ؟ من الـــذى مكـــنهم مـــن فلسطين ؟ من الذى دبر لحرب الخليج ؟ أهل التنوير والعلمانية .

من دمر أفغانستان وفتح معتقلات جوانتنامو من دمر العراق وشن عليها حرباً دون ذنب جنته ؟ من الذى يدك المســـلمين فـــى الشيشـــان ؟ مـــن . . من . . . من ؟

(١) مجلة المقتطف عدد يونيو ١٨٨٦ نقلا عن كتاب جذور العلمانية ص ٦٧ .

ادفنوا رؤوسكم فى الرمال ياسادة إذا بليتم فاستتروا . . . أم أنكم تسيرون على نمط . . . إذا لم تستحى فاصنع ماشئت .

إن مما يؤسف له أن يشهد رجال القانون المنصفون للشريعة الإسلامية ويعترفون بسعتها وشمولها ثم نجد أهل الدار يعارضون تطبيق الشريعة بكل ما أوتوا من قوة .

أن نأخذ شرعنا ومنهجنا ممنا قال ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ﴾ أم ممن يقول بأن أصل الإنسانية قرد . . . حقيقة كلٌ يحن إلى أصله .

إن بعض الهنود – يارجال العلمانية – لا يزالون يقدسون البقر تمسكا منهم بتراثهم مع بطلانه .

كيف يتمسك كل واحد بتراثه وتريدون منا أن نقطع كل صلة بيننا وبين تراثنا ؟

أمن الشهامة أن نتخاذل عن حقنا فى الوقت الذى يتمسك أهل الباطل بباطلهم ؟

قولوا ماشئتم أيها العلمانيون . فلن نترك ديننا وشرعنا . ولن نستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير .

فالإسلام لن يموت ، والعلمانية لن تفرض نفسها على المجتمع ، وإن فرضت نفسها على الحكومات ، إن الأزهر لكم بالمرصاد وقد أخبرنا ربنا بأن الزبد يذهب جفاءاً .

وطمأننا رسولنا ﷺ بأنه لا تزال طائفة من أمته قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله .

إذا مهما تعالت صيحات العلمانيين فلن نسكت مادام فينا عرق ينـــبض ومهما قال هؤلاء . إن التقدم والحضارة والرقى والإبداع مرتبط بفصل هــذا الدين عن الحياة فلن نسكت .

وقبل أن نختم هذه المقدمة نود أن نشير إلى أننا من خلال هذا البحـــث نستطيع الحكم على الفكر العلمانى . . . ونكرر أن الحكم ينصب على الفكـــر دون الأشخاص .

فليس من مهماتنا الحكم على الأشخاص بعينهم . . . خاصة والـــبعض من هؤلاء العلمانين ينتسبون للإسلام ، نحن فقط نصحح المفاهيم حتى لايقـــع الشباب فريسة لهذه الأفكار المضللة .

وفى الختام أسأل الله أن يجعل هــذا الجهــد القليــل خالصـــا لوجهـــه الكريم . . . وأن يمتعنا بتطبيق شريعته فى أرض الكنانة وأن يهدى ولاة أمر هذه الأمة إنه على مايشاء قدير وبالإجابة جدير .

والحمد لله أول أو آخرا . . . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور

عبد العزيز المرشدى

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

المبحث الأول

مفهوم العلمانية

مفهوم العلمانية

إذا أردنا الحديث عن مفهوم العلمانية واشتقاقها نجد أننا أمام اتجـاهين رئيسين فى تشكيل الكلمة مما يترتب عليه أيضا تحديد اشتقاقها حيـث نـرى البعض يذهب إلى أن الكلمة (عِلمانية) بكسر العين وعليه فإن اشتقاقها يكون من العلم .

ويذهب البعض الآخر إلى أنها (عَلمانية) بفتح العـين وعليـه فـإن اشتقاقها يكون من العالم .

وسوف نذكر آراء الفريقين فى هذا الأمر ثم نذكر الكلمة فى المعـاجم الأوربية والعربية ذاكرين بعد ذلك أى الآراء أرجح .

الاتجاه الأول : الذين يذهبون إلى أنها مشتقة من العلم [١] قالوا :

- أن العلمانية – بكسر العين – نشأت كرد فعل للصراع بين الكنيسة والعلم ثم تغلب جانب العلم على أوامر الكنيسة .

- والعلمانية على هذا ترجمة غير دقيقة بل غيـر صـحيحة لكلمـة (Secularism) فى الأنجليزية أو كلمة (Laique) بالفرنسـية ، وهـى كلمـة لا صلة لها بالعلم ومشتقاته على الأطلاق .

فالعلم فى الأنجليزية يعبـر عنـه بكلمـة (Science) والنسـبة إليـه (Scientific) .

---

(١) رجح أستاذنا القرضاوى هذا المذهب الإسلام والعلمانية ص ٤٨ دار الصحوة .

☐ الترجمة الصحيحة للكلمة هى (اللادينية) أو (الدنيوية) .

لا بمعنى مايقابل الأخروية فحسب بل بمعنى : مالا صلة له بالــدين أو ماكانت علاقته بالدين علاقة تضاد .

أن السبب فى خطأ المترجمين لكلمة علمانية ، أنهم لم يفهموا من كلمتى الدين والعلم إلا مايفهمه الغربى المسيحى .

حيث أن الدين والعلم فى مفهوم الإنسان الغربى متضادان متعارضان .

فما يكون دينيا لا يكون علميا وما يكون علميا لا يكون دينيا . (١)

إنه لو كانت الكلمة نسبة للعالم لكان عالمانية وليست علمانية .

والعلمانيون فى الأوساط الإسلامية يميلون إلى هذا المذهب ذلك لأنهــم يحاولون إبراز العلمانية فى صورة المذهب العقلى الذى يقوم على الانتفــاع بالعقل الإنسانى فى بعث التطور والتجديد كما حدث فى أوربا فــى مجــالات العلم والثقافة والنظم الحكمية والإدراية .

الاتجاه الثانى : يذهب البعض الآخر من الباحثين إلــى أن ضــبط الكلمة علمانى وهى بالفتح بأنها نسبة إلى العالم . واستدلوا علــى ذلــك بمــا يأتى :

---

(١) انظر الإسلام والعلمانية للدكتور القرضاوى ص ٤٨ ، ٤٩ ، وباء العلمانية للشــيخ ســفر الحوالى ص ١١ – بحث الدكتور عبد الصبور شاهين بعنــوان العلمانيــة تــاريخ الكلمــة وصيغتها – بحث الدكتور السيد فرج بعنوان (علمانى وعلمانية تأصيل معجمى) .

١ – أن العلمانين يركزون جهودهم على هذا العالم ولا يعيرون اهتماما لخالقه أو لكل ماوراء الطبيعة لذلك أطلق عليهم الدهرية ، وأطلق عليهم الجبرتى الطبيعيين .

٢ – لأن كلمة العلمانية لا علاقة لها بكلمة العلم بالكسر لا من حيث الضبط ولا من حيث الدلالة كما نقلها المترجمون .

٣ – أن المترجمين لم يخطئوا حين ترجموا الكلمة الأنجليزية (سيكولوريزم) بالعلمانى ذلك أن من معانيها كما تذكر المعاجم .

المنتسبون إلى العالم الأرضى ، والدنيوى ، والأمور الدنيوية المتميزة عن الأشياء الروحية (معجم ويبستر) .

٤ – أن المعجم الوسيط ذكر أن علمانى نسبة إلى العَلْم بمعنى العالم وعليه فلا يمكن الاحتجاج لو كانت نسبة إلى العالم لقيل (عالمانى) .

٥ – يذكر الدكتور عبد الصبور عن تحليل تحول كلمة عالم إلى علْم (أنه لما صيغ من الكلمة المصدر الصناعى توالت فى نطقها ثلاث فتحات وكسرة ومجموعها ست حركات) .

والعربية تكره تتابع الحركات وتلجأ دائما إلى التخفيف فإن كانت أربعا جعلتها ثلاثا (كما فى إسناد الماضى إلى الضمير المتحرك) وإن كانت ثلاثا جعلتها اثنتين (كما فى إسكان عين الثلاثى) .

فإذا كان هذا شأن العربية فى أربع حركات متواليات فكيف إذا كان ستا ؟

٦ – هناك تصور آخر فى سبب نطق (علمانى) بدل (عالمانى) يذكره الدكتور عبد الصبور حين يقول :

إذا نقلنا المشكلة إلى قواعد العامية فمن المعروف أنها تكره تتابع المَقاطع المفتوحة ، وقد أطرد ذلك فى مثل فاطمة التى تنطق بدون ألف (فطمة) ورابحة التى تنطق (ربحة) وقد سمعت من ينطق طلقانى نسبة إلى طالقان .

فقد اختصرت الحركات الست إلى أربع بينها ساكن هو اللام وهو قياس فى اللغة الدارجة مطرد صارت كلمة عالمانى : علمانى .[1]

معنى ذلك أن نطق الكلمة قياس مسموع فى ماتتابعت مقاطعه على النحو السابق .

وهو تحليل وإن كان يتسم بالسذاجة بيد أنه لا يمكن إغفاله ونحن نحلل الكلمة تحليلاً لغويا خاصة وإن الكلمة (عالمانية) ذكر الباحثون أن أول من نطق بها المصريون .

ثم إن أول قاموس ثنائى ذكر الكلمة ذكرها مرة (عالمانى) والأخرى (علمانى) .

الكلمة فى المعاجم العربية والأجنبية :

لم ترد كلمة علمانى بحروفها - كما قلنا فى معجم قديم أو حديث قبل المعجم الوسيط الذى جاء فيه :

(والعلمانى نسبة إلى العلْم بمعنى العالم وهو خلاف الدينى أو الكهنوتى)[2] فالمعجم الوسيط يبين أن الكلمة منسوبة إلى العالم .

---

(١) بحث الدكتور عبد الصبور شاهين (العلمانية تاريخ الكلمة وصيغتها) .

(٢) المعجم الوسيط ج٢ ص ٦٢٤ .

ولقد ترددت كلمة علمانى فى بعض المعاجم الثنائية اللغة وأول من استعمل كلمة (عالمانى) و (عالمانية) هكذا كتبهما منسوبة إلى العالم فى العصر الحديث هو المترجم الياس بقطر المصرى عام ١٨٢٨ ويبدو أنه من ذلك الجيل الذى ينتمى إلى عصر الحملة الفرنسية وكان مترجما للفرنسين .

يقول إلياس المصرى تحت كلمة (لوكيو) الفرنسية التى تعنى عالمانى أى الذى لا يعطى أدنى اهتمام لكل ماهو لاهوتى أو دينى . [١]

وفضل هذا لمترجم يرجع إلى أنه أول من وضع المصطلح العربى الحديث للعلمانى ، والعلمانية منسوباً إلى العالم فى معجم ثنائى اللغة (فرنسية عربية) .

على أن المصطلح (علمانى وعلمانية) لم ينتشر ، وظل كامنًا فى معجمه ، حتى انقضى القرن التاسع عشر ولكن بعد أن تمكن الاستعمار الأوروبى فى البلاد عسكريًا وثقافيًا مكن للمصطلح كى يقوم بدور فعال فى الثقافة العربية .

ثم بدأ فى ظهور معجم أعد للتلاميذ فى المدارس المصرية التى تحولت إلى التعليم العلمانى فى ظل الاحتلال الإنجليزى . ويتبين من كل ما سبق ، أن جميع الأصول التى تحدثت عن علمانى وعلمانية بفتح العين عبرت عما ليس له علاقة بالعلم أو الدين ، والذين تعرضوا لهذه الكلمة من أصحاب المعاجم ، تعاملوا معها على أنها أتت من لغات أوربية حديثة انتقلت إليها اللاتينية .

ومن أهم المعاجم الأجنبية وأحدثها استعمالاً لكلمة علمانى هو معجم (العالم الجديد) لويبستر وقد وردت فيه معنى الكلمة على الوجه التالى :

---

(١) نقلا من كتاب جذور العلمانية ص ١٣٨ .

علمانى = دنيوى – ومن معانيها الشئ الذى يحدث مرة واحدة فى عصره ، أو شئ مرتبط بعصره ، وأشهر معانيه الآن : الأمور الدنيوية المتميزة عن الأشياء الروحانية [١] .

ويرى ماندن أنها ليست من الأشياء المتعرضة للناحية الدينية ، أو أنها تعنى فصل كل ما هو دينى . ويرى (أرنولد توينبى) أنها شئ مرتبط بالحكم والحومة ، والحاكم العلمانى من غير الدينيين .

ويرى (لويس ورث) أن العلمانى هو الذى ينبذ الإيمان المطلق ويعبر عنه بالنظرة العلمانية للإنسان الحديث ، بمعنى الحياة فى العالم وليس فى دير أو مجتمع دينى مع عدم الارتباط بالآراء اللاهوتية .

والعلمانية رؤية للحياة أو فى أمر معين يعتمد أساسًا على أنه يجب استبعاد الدين ، وكل الاعتبارات الدينية .

تقول دائرة المعارف البريطانية تحت كلمة (سيكلوريزم) التى ترجمتها علمانية . هى حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها .

من كل ما تقدم ندرك أن كلمة علمانية وعلمانى نسبة إلى العالم وهو خلاف الدينى .

بمعنى أنها رؤية للحياة تعتمد على استبعاد الدين وفصله عن أمور الحياة أو اسقاط الدين بالكلية . وبذلك يتعارض الفكر العلمانى مع الدين ويتضح لنا فى جلاء لا غموض فيه خطأ العلمانين العرب فى محاولتهم إبراز العلمانية فى صوره المذهب العقلى الذى يقوم على العقل وإستغلال معطيات

---

(١) نقلاً من كتاب الإسلام والعلمانية – للدكتور/ يوسف القرضاوى – ص ٤٩ .

الحياة المادية من أجل تطوير المجتمع وتحويله إلى مجتمع متقدم دون أن يكون هناك تعارض بين الدين والعلمانية . [١]

كما يتضح لنا خطأ نسبة العلمانية إلى العلم ، بالكسر وذلك لكى يواجه أصحاب هذا الإتجاه نظر الناس إلى أن أساس العلمانية هو العلم حتى يوهموا الناس إلى أنه لا تعارض بين العلمانية والدين .

كما يتضح أيضاً خطأ من ينطقون العلمانية بالكسر خاصة وقد علمنا – أن الترجمة الصحيحة للكلمة هى (اللادينية) أو (الدنيوية) . [٢]

العلمانية فى اصطلاح المفكرين :

والتعريف الإصطلاحى الشائع فى الكتب الإسلامية المعاصرة هو (فصل الدين عن الدولة) [٣] وهو فى الحقيقة لا يعطى المدلول الكامل للعلمانية الذى ينطبق على الأفراد والسلوك الذى قد لا يكون له صلة بالدولة ، ولو قيل عن العلمانية أنها فصل الدين عن الحياة لكان أصوب .

ولذلك عرفها بعض الباحثين بأنها إقامة الحياة على غير الدين سواء بالنسبة للأمة أو الأفراد [٤] .

وتختلف الدول والأفراد فى موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود فبعضها تسمح به ويسمى منهجها (العلمانية المعتدلة) كالدول الرأسمالية .

---

(١) جذور العلمانية ص ١٠٦ .

(٢) القرضاوى ص ٤٩ .

(٣) للأستاذ زهير سليمان (العلمانية مرض مميت ص ١٤٩) ، الدكتور المهدلى فى مذاهب معاصرة ص ٧٥ .

(٤) المصدر السابق .

وبعضها لا يسمح بوجود الدين وتسمى (العلمانية المتطرفة) وذلك كالدول الشيوعية .

من كل ما تقدم ندرك أن كلمة علمانى قد اختلف حول اشتقاقها فقال البعض أنها نسبة إلى العالم وهو رأى الذين ترجموا الكلمة وكذلك رأى الدكتور عبد الصابور شاهين وهو ما أميل إليه .

ويرى البعض أنها مشتقة من العلم وأنها بكسر العين وأن المترجمين قد اخطئوا الترجمة وهذا ما ذهب إليه الدكتور القرضاوى وهذا الرأى يجعل للبعض حجة فى أن يقولوا أن العلمانية مرادفة للعلمية وهو وهم باطل .

وأيا ما كان مصدر الأشتقاق فإن الكلمة بمفهومها العام تعنى على كلا الرأيين اللادينى .

أما فى الإصطلاح فهى عزل الدين عن الدولة والمجتمع وإلقاؤه حبيسا داخل المسجد أو الفرد تمهيداً لعزله عن الحياة والإجهاز عليه .



المبحث الثانى
نشأة العلمانية

نشأة العلمانية

نشأت العلمانية فى الغرب كإتجاه يستبعد الدين من التوجيه فى مجـال العلم والسياسة والأخلاق والإقتصاد وسائر شئون الحياة ، وذلك إمـا بفصـل الدين عن الدنيا كما فعلت العلمانية فى أول نشأتها وإما بإسقاط الدين واعتباره عائق للتقدم كما فعلت الدول الشيوعية .

وقد عبر عن الإتجاه الأول بالمثل المأثور عن المسـيحية (مالقيصـر لقيصر وما لله لله) .

فالدين علاقة بين العبد وربه لا يتعدى الكنيسة أما خارجها فإن الإنسان هو الذى يدير شئون حياته وليس للدين سلطان عليه .

وعن الإتجاه الثانى يمثله القول المأثور عن الشيوعية (الـدين أفيـون الشعوب) حيث لم يكتفى أصحاب هذا الإتجاه بفصل الدين عن شئون الـدنيا بل أنهم قد أسقطوا الدين بالكلية بل وحاولوا محاربته بكل وسيلة .

وقد ذكر الباحثون أن العلمانية ظهرت فى أوروبا كفكرة وتجربـة فـى القرن السابع عشر ، ولكنها كفكرة كانت قبل القرن المذكور وذلك لأن الكنيسة كانت تعرقل التقدم .

ثم بدأ الإتجاه العلمى ينشط ويتبلور فى ظـل الثـورة الفرنسـية سـنة ١٧٨٩ م بعد أن رفض الأوروبيون الخضوع للكنيسة الكاثوليكيـة ووسـاطة البابا الذى كان صاحب الحق فى الغفران والجزاء باللعن نيابة عن الله .

ومن هنا ترك هذا المجتمع الإعتماد على الله إن لم يكن قد خالجه الشك فى وجوده وبدأ الإنسان فى هذا المجتمع يعتمد على نفسه فى تفكيره [١] .

---

(١) الدكتور / محمد البهى ص ٢ . العلمانية .

ويمكن إعتبار العلمانية رد فعل من المجتمع الأوروبى تجاه الدين الذى كانت تمثله الكنيسة وآباء الكنيسة ، على أننا يمكن إيجاز الأسباب والعوامل التى أدت إلى ظهور العلمانية فى المجتمع الأوروبى فيما يلى :

(١) طغيان رجال الكنيسة .

(٢) الصراع بين الكنيسة والعلم .

(٣) الثورة الفرنسية .

(٤) النظريات والأفكار اللادينية .

مع ملاحظة أن هذه العوامل منها ما يكون عاملاً أساسياً فى نشأة العلمانية ، ومنها عوامل ساعدت على إرتكازها فى المجتمع ، ومنها عوامل ساعدت على إنتشارها خارج المجتمع الأوروبى .

فعوامل النشأة تمثلت فى الطغيان الكنسى ن والصراع بين الكنيسة والعلم والعامل المساعد تمثل فى الثورة الفرنسية .

وأما عوامل الإنتشار فتمثلت فى النظريات الفكرية المتحللة والمؤسسات الهدامة .



أسباب نشأة العلمانية وإنتشارها

السبب الأول : طغيان رجال الكنيسة

فى الوقت الذى تعتبر الدعوة المسيحية داعية إلـى التسـامح والمحبـة خاصة وقد ورد فى الإنجيل قول المسيح لأتباعه :

(من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الآخـر أيضـاً . ومـن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك الرداء أيضاً . ومن سخرك ميلا واحداً فاذهـب معه اثنين) انجيل متى .

ومع وجود هذه التعاليم فإن رجال الكنيسة قد ارتكبوا كما يحدثنا التاريخ من الفظاعة والطغيان ما لا يسوغه عقل أو يقبله ضمير .

وهذه المفارقة لابد وأن يكون وراءها أسباب أدت إلى هـذا الطغيـان الأعمى ، ومن هذه الأسباب :

١ – السلطة الكهنوتية المنظمة :

ذلك انهم كانوا سابقين لعصرهم فى الناحية التنظيمية ن وهذا التنظـيم الذى يبدأ من القاعدة العريضة الممتدة فى كافة الأقاليم إلى قمة الهـرم فـى روما .

هذه الميزة أكسبتهم نفوذاً مستمراً لا يقبل المنافسـة وجـذورا عميقـة يصعب إقتلاعها ، ولذلك يحدثنا التاريخ أن كثيراً من الأباطرة المتمردين على الكنيسة يفشلون دائما فى مواجهتها ويعودون إلى الإنضواء تحت ظلها .

ولم يتمكن أحد من التخلص من قبضة الكنيسة إلا بعد الثورة الداخليـة وزعزعة هذا النظام وإضعاف هيكله .

هذا إلى جانب فقدان الإيمان الصحيح والعقيدة الصادقة ، ومن المعروف أن النفس البشرية لا تخلو من حب الطغيان إذا تهيأت أسبابه ولم يوجد وازع دينى لصرف هذا الطغيان .

وليس كخشية الله تعالى واستشعار رقابته وضعف الإنسان إزاء قدرتـــه حاجز لها عنه ، ولما افلست الكنيسة من ذلك ظهرت وكأنها شـــركة دنيويـــة تطمع إلى النفوذ الإجتماعى ثم تمكنت بوسائل شـــتى مـــن أن تصـــبح قـــوة إستبدادية .

٢ – المصادر غير المكشوفة اللادينية المسيحية :

فلقد اضطهد اتباع المسيح من بعده اضطهاداً بالغـــاً أدى إلـــى تحويـــل الدعوة المسيحية إلى دعوة سرية فاختفى الكثير من دعائهـــا وتســـتروا فـــى أقاليم مختلفة وأخفوا معهم نسخ الأناجيل حيـــث كانـــت تحـــرق مـــن قبـــل الروم .

وهكذا كانت مصادر المسيحية منحصرة فى أيدى طائفة قليلة من الناس وقد احتكرت هذه الطائفة حق التأويل حتى إذا انقضت عصـــور الإضـــطهاد واعتنقت الدولة الرومانية الدين المسيحى واحتفظ رجال الكنيسة بحق قـــراءة الكتب وشرحها وأيدتهم الدولة .

ومن هنا أصبح لرجال الدين النفوذ الذى به يستطيعون أن يفرضوا كل شئ بإسم الإنجيل ، ولعل ذلك ما نبه إليه القرآن فـــى قولـــه : **﴿ وَإِنَّ مِـــنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُـــوَ مِـــنْ الْكِتَـــابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . . . ﴾** الآية – آل عمـــران الآية : ٧٨ .

وهكذا ظلت مصادر الدين النصراني المحرف قابعة في خبايا الكنيسة وزوايا تؤخذ تعاليمها من أولئك الذين يزعمون القداسة والعصمة [١] .

ولم يقتصر الأمر على الفتاوى الدينية بل تعدى ذلك إلى إصدار فتوى في أي موضوع يتعارض مع فكر رجال الكنيسة سواء كان دينيا أو دنيويا .

فما دامت المصادر غير مكشوفة فكيف يعرف الناس مقدار صدق رجال الدين فيما يقولون عن الله .

فلم يكن أمام الناس سوى التسليم لأن أي كلام يصدر عن رجال الدين هو صادر عن الله .

ومن هنا فقد اطمئن رجال الدين على أن أحداً لا يستطيع الإحتجاج ومن هنا أيضاً فقد غالوا في فرض السيطرة والسلطان ، والباب أمامهم مفتوح إلى طغيان أكثر .

٣ – طبيعة البيئة التي شهدت هذا الطغيان :

وذلك أن الغالبية العظمى من الروم وسكان مستعمراتهم من الأميين السذج الذين ألفوا العبودية والخضوع المستمر للقوى المسيطرة ، وكان سكان أوروبا وخاصة في العصور الوسطى قبائل همجية تعيش أسوأ مراحل التاريخ الاوروبي كله .

وحين جاءتهم المسيحية استبدلوا عبادة المسيح بعبادة الملك فكان من الطبيعي أن تسمع وتطيع دونما اعتراض لكلام رجال الدين .

---

(١) ص ١٧ من وباء العلمانية .

لذلك كان امثال هؤلاء الناس جديرون أن يوفروا لأى طاغية الحماية الكافية والمناخ الصالح لفرض الطغيان والتسلط .

هذه الأسباب الثلاثة مجتمعة [١] جعلت الكنيسة مارداً وطاغوتاً جائراً يسيطر على كل شئ .

وتسيير كل شئ وفق إرادة رجال الدين ، ولم تترك الكنيسة جانباً من جوانب الحياة إلا ،امسكته بيد من حديد وقيدته بقيودها ، فسيطرت على المجتمع من جميع نواحيه : الدينية ، والسياسية ، والإقتصادية ، والعلمية . وفرضت على عقول الناس وأموالهم وتصرفاتهم وصاية لا نظير لها .

فمن ناحية الطغيان الدينى :

فإن التاريخ يحدثنا أنه منذ ظهور المسيحية الرسمية فى مجمع (نيقيه) سنة ٣٢٥ والكنيسة تمارس الطغيان الدينى والإرهاب فى أبشع صوره [٢] :

أ – فقد فرضت عقيدة التثليث قهراً ، وأذاقت كل من ظفرت به من الموحدين صنوف التعذيب وألوان النكال [٣] .

وقد نصبت الكنيسة نفسها – عن طريق المجامع المسكونية والأقليمية آلها يحلل ويحرم ن ينسخ ويضيف وليس لأحد حق الإعتراض أو إبداء الرأى كائناً من كان وإلا فالحرمان مصيره كما فعلوا مع آريوس المصرى والقرآن يحدثنا عن نوع من الإضافات التى أضافها رجال الكنيسة وهى الرهبنة كما

(١) السلطة الكهنوتية ، والمصادر غير المكشوفة ، والبيئة البدائية .
(٢) النصرانية د / مصطفى شاهين ص ٢٥٩ .
(٣) نفس المصدر .

قال : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَامَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَـا ﴾ الحديد : ٢٧ .

ب – كما أن الختان كان واجباً فحرموه .

ج – كان الخمر حراماً فأحلوه خاصة وقت العشاء الربانى .

د – كانت التماثيل شركاً ووثنية فأصبحت تعبيراً عن التقوى .

هـ – الإستحالة فى العشاء الربانى : وذلك بأن يعطى القسيس قطعـة من الخبز وقليلاً من الخمر للشخص النصرانى ويكون ذلك بمثابة أكل جسـد المسيح وشرب دمه حتى يصبح الآكل الشارب مسيحياً خالصـاً لأن المسـيح بذلك يكون قد دخل فى جسمه وتخلل دمه تماماً ، وهذه الشعيرة مـن بنـات أفكار رجال الكنيسة خاصة فى مسألة التحول هذه (١) .

و – عقيدة الخطيئة الموروثة : وهو الزعم بأن آدم عليه السلام قد أكل من الشجرة فعاقبه الله بالطرد من الجنة وظل الجنس البشـرى يرسـف فـى أغلال تلك الخطيئة أحقاباً متطاولة حتى انزل الله ابنه – تعالى الله عن ذلك – ليصلب فداء للنوع البشرى .

ز – عقيدة الصلب وتقديس الصليب :

ومن المعروف تاريخياً أن تقديس الصليب كان مجهولاً فـى القـرون الثلاثة الأولى إذا لم يبدأ العمل به – تقديس الصليب – إلا فى القرن الرابـع الميلادى (٢) .

---

(١) انظر النصرانية ص ١١٦ ، ص ٤٢ من حقيقة العلمانية .

(٢) الديانات الكبرى المعاصرة – محمد الحسينى ص ٢٦٣ .

ح – حق الغفران ، وحق الحرمان ، وحق التحله :

ولم تتردد الكنيسة فى جعل نفسها آلها له حق المغفرة الذى أدى بهم إلى المهزلة المعروفة (بصكوك الغفران) .

وقد كانت صكوك الغفران من أكثر تصرفات الكنيسة شــذوذاً وبــدعها ضلالاً ، حيث كان رجال الدين يقومون بتوزيع الجنة وعرضها للبيع فى مزاد علنى وكتابة عقود للمشترى تتعهد الكنيسة فيه للمشترى غفران ما تقدم مــن ذنبه وما تأخر فإذا ما أخذ المشترى هذا العقد أبيح له كل محظور وحــل لــه كل حرام .

ويجوز للمشترى أن يشترى أكثر من صك أو عقــد ذلــك أن والديــه ربما يكونان قد ماتا ولم يحالفهما الحظ ليشتروا هذه الصــكوك فمــا عليــه إلا ان يشترى صكاً لوالده أو والدته ويكتب اسمه فــى الخانـــة المخصصـــة لذلك .

وهذه من جانب يدل على ضحالة أفكار الأتباع ، ومن جانب آخر تــدل على طغيان رجال الدين .

ط – محاكم التفتيش : وقد أنشأها رجال الدين المسيحى ليرهبوا بها عدو الكنيسة ن وهى كما يحدثنا التاريخ عبارة عن سجون مظلمة تحت الأرض بها غرف خاصة للتعذيب وآلات لتكسير العظام وســحق الجســم البشــرىوكان الزبانية يسحقون العظام حتى يهشم الجسم كله . . . إلى غير ذلك من أدوات التعذيب التي تتقزز منها النفوس وتشمئز لذكرها .

☜ ناحية الطغيان السياسى :

من الطبيعىأن يكون الدين له سلطة سياسية فى الأمة التى تدين به لكن الغير طبيعى أن يتحول الدين إلى ستار وينقلب رجاله إلى طواغيت ومحترفين سياسين مع نبذهم شريعة الله وإسقاطها من الحساب لتحل محلها شهوة عارمة للتسلط والإستبداد .

فلا حرج أن يقوم رجل الدين انحراف رجال الدولـة إذا سـولت لهـم أنفسهم خرق التعاليم الدينية وتجاوز الأوامر الإلهية ن فهذا هو عين مهممتهم ولا ينبغى لهم التخلى عن تلك المهمة ، أما أن ينبذ رجال الدين الشريعة وراء ظهورهم ثم يفرضوا أنفسهم أوصياء على الملوك والأمراء وتـرغمهم علـى الخضوع المذل لهم .

ويجعلون معيار الصلاح هؤلاء الملوك منوطاً بمقدار ما يقدمونـه مـن مراسم الطاعة وواجبات الخدمة لا بمقدار ما يحفظوا من حدود الله ، وذلك هو الأمر الشائن والعيب .

وهذا الأمر قد ادى إلى نزاع مستمر بين الكنيسة والملوك للقبض علـى زمام المجتمع .

وقد كانت الكنيسة صاحبة اليد العليا فى هذا الصراع ، حيث يقول أحد طواغيت الكنيسة : (إن الكنيسة خليقة أن تكون صاحبة السلطة العليا ومـن حق البابا أن يخلع الملوك غير الصالحين وأن يؤيد أو يرفض إختيار الشعب للحكام أو تنصبهم حسب مقتضيات الأحوال) [١] .

---

(١) انظر وباء العلمانية ص ٢٦ .

وهذا الأمر كان له أكبر الأثر فى تخوف رجـال الدولـة فـى العـالم الإسلامى من التيارات الإسلامية المتنامية ومن تدخل هـذه التيـارات فـى السلطة .

وأقرب مثال على الطغيان الكنسى السياسى هى قصة الصراع الذى دار بين البابا والإمبراطور فردريك الثانى .

ذلك أن الثانى رفض القيام بحملة صليبية على الشرق فحرمـه البابـا وشهر به فى رسالة علنية .

ومن قبلها أيضاً كان النزاع بين هنرى الرابه والإمبراطور الألمانى مع أحد بابوات الكنيسة وإنتهت بإعلان الإمبراطور التوبة وقبول الذل والحصول على رضا البابا .

وهذا يشير إلى مدى الطغيان السياسى لدى رجال الكنيسة الذين وضعوا أنفسهم موضع الآله فى الأمر والنهى حتى على أعلى مكانة سياسية كالملـك أو الإمبراطور .

ناحية الطغيان المالى :

لا يشك أحد فى أن المسيحية زهدت كثيراً فى الدنيا وزخرفها ونظـرت بعين المقت والإحتقار إلى الكنوز المكدسة التى يحوزها اليهود .

ولكن القرون التالية شهدت مفارقة عجيبة بين مفهوم الكنيسة عن الدنيا الداعى إلى الإعراض عن متاعها وعدم الركون إلى مفاتنها ، وبـين واقـع رجال الكنيسة الذين يقولون ما لا يفعلون .

فقد تشدد رجال الكنيسة حتى حرموا ما أحل الله من الطيبات فى الوقت الذى كانت سيرتهم الذاتية صفحة مخزية من التهالك على الدنيا وإمتصـاص

دماء الأتباع حتى أنهم فاقوا أثرياء اليهود الذين تسميهم الكنيسة (دنيويين) .

يقول أحد الأوروبين الناقمين على أساقفة الكنيسة (كانت الفضائل المسيحية كالفقر والتواضع والصوم والورع والرحمة كل ذلك خيرا للمؤمنين وللقديسين وللخطب والمواعظ ، أما أساقفة البلاد والشخصيات الكهنوتية الكبيرة فقد كان لهم شئ آخر : البذخ ، والأحاديث المتأنقة مع النساء والشهرة فى المجالس الخاصة والعجلات – السيارات – والخدم ، والارباح الجسيمة ، والموارد ، والمناصب) [١] .

ويمكن تلخيص مظاهر الطغيان الكنسى فى المجال المالى بما يلى [٢] :

١ – الأملاك الإقطاعية :

فقد أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضى وأكبر الإقطاعيين فى أوروبا فقد كان دير (فلدا) مثلاً يمتلك خمسة عشر ألف قصر صغير ، ودير (سانت جول) يملك ألفين من الرقيق .

بل لقد بلغ الأمر إلى أن أحد الأساقفة يعمل لديه عشرون ألف من أرقاء الأرض .

٢ – الأوقاف :

كانت الكنيسة تملك مساحات شاسعة من الأراضى الزراعية بحجة أنها تصرف عائداتها على سكان الأديره وبناء الكنائس وتجهيز الحروب الصليبية

(١) انظر ذلك ص ٤٨ من حقيقة العلمانية ، ص ٧٧ من وباء العلمانية .

(٢) وباء العلمانية ص ٢٧ .

الأمر الذى جعل أحد المصلحين يقرر أن الكنيسة تملك ثلث اراضى إنجلترا وتأخذ الضرائب الباهظة من الباقى ، وطالب بإلغاء هذه الأوقاف واتهم رجال الدين بإنهم أتباع قياصرة لا أتباع الله .

٣ – العشور :

حيث كانت تفرض الكنيسة على أتباعها الإتيان بعشر ما تخرجه الارض الزراعية ن وعشر ما يحصل عليه أصحاب المهن وأرباب الحرف .

٤ – ضريبة السنة الأولى :

لم تشبع الأملاك والأوقاف والعشور نهم رجال الكنيسة بل أن أحدهم (حنا الثانى والعشرون) عندما تولى جاء ببدعة ضريبة السنة الأولى وهى مجموع الدخل السنوى الأول لوظيفة من الوظائف تدفع للكنيسة بصفة إجبارية .

٥ – الهبات والعطايا :

والتى يقدمها الأثرياء الأقطاعيون للتملق والرياء ، أو بدفع الإحسان من البعض ، وقد قويت الدوافع لتلك الهبات بعد مهزلة صكوك الغفران .

٦ – نظام السخرة المجانى :

حيث أرغمت الكنيسة أتباعها على العمل المجانى فى حقولها ومشروعاتها وكان على المساكين الرضوخ للأوامر .

وهكذا ظلت الجماهير ترزخ تحت أثقال الكنيسة وأعبائها المالية المرهقة الأمر الذى جعل أحد الملوك وهو (لويس التاسع) يكتب إلى البابا قائلاً له : (إن الذى يشتد فى ادرار الأضراع لابد أن يصيب الدم من حلماتها) ولعل

هذا هو ما أشار إليه القرآن حين قال : ﴿ **إِنَّ كَثِيرًا مِنْ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ** ﴾ (١) .

☜ ناحية الطغيان الأخلاقى :

لم يقتصر طغيان الكنيسة على الناحية السياسية أو المالية بل تعدى ذلك على دائرة الأخلاق ، وتسرب الفساد الأخلاقى إلى رجال الكنيسة كان من أقوى الدوافع إلى قيام بعض رجال العلم بعد ذلك إلى تأسيس علم أخلاقى لا يقوم على الدين .

فلقد نشر شارون عام ١٧٠١ م كتاباً فى الحكمة صرح فيه (بأن الأخلاق لا تقوم على الدين ، واستعرض تاريخ المسيحية ليكشف عن السوءات التى نجمت عنها) (٢) .

وعلى سبيل المثال لا الحصر – فقد استطاع البابا جون الثانى عشر (٩٣٨ – ٩٦٤) أن يستولى على أموال الكنيسة وأن يجعل الكنيسة بيتا للدعارة وأن يحكم روما والعالم المسيحى بمعاونة عدد من النصابين والبلطجية الذين يستوردون له العشيقات ، ولقد ذكر الكاتب أنيس منصور فى جريدة أخبار اليوم بتاريخ ١٩ / ١ / ١٩٨٦ م أن البابا اسكندر السادس (١٤٣١ – ١٥٠٣) قد استباح كل المقدسات بإسم القداسة . . . واعتدى على كل المحرمات واعتمد على أسرته القوية فى الحصول على لذاته وشهواته ، وكانت ابنته (لوكريسيا) سفاحة دموية وكان أبوها المقدس يدربها على ممارسات الشهوة) (٣) .

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٤ .

(٢) قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ١٦٦ .

(٣) انظر كتاب : فضائح الكنائس .

ومن هنا انزلف المفكرون إلى الربط بين رجال الكنيسة وبـــين الفســـاد الأخلاقى طبقا لما كان عليه السلوك المشين للبابوات ، ووصل الأمر إلى أن أعلن (نيتشة) ضرورة التخلص من الأخلاق الدينية بمـــا فيهـــا الســـماحة والرحمة .

وهذه النظرة من المفكرين مع خطئها إلا أنها تعبر عن مدى ما وصلت غليه الأخلاق على يد البابوات ورجال الكنيسة عامة ، فكان رد الفعـــل مـــن جانب المفكرين عنيفاً ، لأن كل فعل له رد فعل مساوى له فى المقدار ومضاد له فى الإتجاه كما يقول علماء الطبيعة .



ثانياً : الصراع بين الكنيسة والعلم

وقد آثرت أن أذكر أن الصراع بين الكنيسة والعلم دون أن يكون الصراع بين الدين والعلم لسبب هو : أن المعركة لم تكن بين الدين بصيغته الألهية وبين العلم لأن العلم والدين يخرجان من مشكاة واحدة .

ومن المؤسف حقا أن جناية رجال الدين الأوربين على الحقيقة كانت أشنع وأنكى من جناية أنصار العلم على الدين ، وإن كان كل منهما مسئولا عن النتائج المؤسفة لذلك الصراع .

وذلك لأن رجال الدين الغربيين لهم فضل السبق – إن كان للباطل فضل – فى بداية الصراع كما قلنا – ولقد وقفت الكنيسة حائلا ضد أى اكتشاف علمى أو نظرية علمية لا تتفق مع مقررات الكنيسة وتعاليمها الموروثة على مدى قرون .

❁ **ففى الفلك** : كانت أول نظرية هزت الكنيسة هى نظرية كوبرنيكوس الفلطية التى تقول بدوران الأرض حول الشمس ، والتى كانت مناقضة لنظرية بطليموس التى تجعل الأرض مركز الكون ، وأن الأجرام السماوية كافة تدور حولها .

وقد ظلت نظرية مركزية الأرض مسيطرة على عقل الكنيسة والمسيحين لمدة خمسة عشر قرنا تقريبا ، وعندما نشر كوبرنيكوس نظرية دوران الأرض حول الشمس قررت الكنيسة الكاثوليكية أن الاقتراح القائل بأن الشمس هى المركز وأنها لا تدور حول الأرض حماقة وسخف وزيف فى علم اللاهوت وهرفطة لأنه يناقض على طول الخط ماجاء فى الكتاب المقدس .

وأما القول بأن الأرض تدور حول الشمس وليس فى المركز فسخيف وزائف فلسفيا ، ومن الناحية اللاهوتية يعارض العقيدة الحقيقية .

وفى عام ١٦١٦ وضع كتاب كوبرنيكرس فى قائمة الكتب المحرمة وأكينت جميع الكتابات التى تؤيد حركة الأرض ، وقد مات قبل أن تحكم عليه المحكمة .

وقد حوكم (برونو) تلميذ كوبرنيكوس على أعتاقه لآراء أستاذه والذى زاد عليها بأن الفضاء غير محدود وأن الشمس وكواكبها ليست سوى واحدة من عدة مجموعات مشابهة ، لقد حكمت عليه محكمة التفتيش بالحرق مربوطا إلى عمود .

والذى يدعو إلى الغرابة أن الثائرين على الكنيسة قد عارضوا هذه النظرية .

يقول (مارتن لوثر) عن كوبرنيكوس : يبريد ذلك الأحمق أن يقلب علوم الفلك كلها رأسا على عقب ولكن كما يقرر الكتاب المقدس أن الشمس نفسها وليست الأرض هى التى تدور .

وأكد (جون كلفن) من كبار قادة الإصلاح الدينى أن الأرض ثابتة مستشهدا بالمزموز ٣ الذى يقول : " وكذلك ثبتت المسكونة لا تتزعزع ، وسأل باحتقار من ذلك الذى يجرؤ على وضع سلطة كوبرنيكوس فوق سلطان الروح المقدس " . (١)

---

(١) انظر : كتب غيرت العالم ترجمة أمين سلامه ص ٢٢٧ .

ويتضح من ذلك أن الكنيسة ومعها رجال الإصلاح الدينى قـد آمنـوا بمركزية الأرض ودوران الشمس حول الأرض بناءا على ماجاء فى الإنجيل من أن من معجزات عيسى أنه أمر الشمس أن تقف فتوقفت .

وهذا يشير فى وضوح أن القوم لم يكفروا بالنصوص المسيحية بما فيهم رجال الإصلاح مع أن النصوص الواردة فى الإنجيل لا تتفق مع الاكتشافات العلمية . فكيف يطلب اتلعلمانيون الشرقيون أن نكفـر بـالنص مـع أنـه لا يتعارض مع الحقائق العلمية .

وبعد موت كوبرنيكوس ببضع سنوات توصل العالم (جـاليليو) إلـى صنع التلسكوب فأيد تجريبيا مانادى به أسلافه نظريا .

فكان ذلك مبررا للقبض عليه حيث مثل أمام محكمة التفتيش عام ١٦٣٢ فهددته بالقتل والتعذيب وأجبرته على أن يقرأ مزامير الندم السبعة مرة كـل أسبوع لمدة ثلاث سنوات .

ولما خشى على حياته أن تنتهى مثل نهاية برونو تلميـذ كوبرنيكـوس أعلن ارتداده عن رأيه وهو راكع على ركبتيه أمام المحكمة ، هذا فى الفلك .

❋ **أما فى الجغرافيا** : فقد وقفت الكنيسة ضد الاعتقاد بعمران الجانـب المقابل من الأرض ، وذهب بعض القديسين أن الخلاص غير مستحيل علـى من يعتقد بذلك ، وأخذوا يسخرون ممن يعتقدون بهذا الرأى .

إذ كيف يعتقد إنسان بوجود أناس تعلو مواطئ أقدامهم على رؤوسهم ؟

ولو كان هذا صحيحا لكان من الواجب أن يذهب المسيح إلـى هـؤلاء الناس ويفدى مصلوبا من أجلهم .

يقول القديس (أوغسطين) أن التوراة لا تشير إلى مثل هـذه السـلاله الأدمية ، وكيف يأذن الله بوجودها فى هذه البقاع التى لا يتيسر لأهلها رؤيـة المسيح حين يعود إلى الأرض ؟

فهذا الزعم افتراء على القديس بولس والروح القدس هكذا قال القـديس (أوغسطين) ، واستمعت إليه الكنيسة والعالم المسيحى من ورائها ، واعتنقت رأيه دينيا فاستقر رأيه عشرة قرون .

ولجأت الكنيسة إلى محاكم التفتيش وآلات التعذيب وسخرتها فى مطاردة خصومها القائلين بذلك الرأى .

وأوشكت على إعدام الطبيب (بطرس الباتو) لولا أن أنقذته المنية من براثينها .

وأحرقت العالم (داسكونى) حيا ، بل أن الكنيسة حاربت (كولمبس) لتقضى على مشروع رحلته واعتمدوا على نصوص من المزامير ، وأقـوال مستقاة من القديس بولس وأوغسطين ، وظلت الكنيسة على موقفها حتى بعـد رحلة (ماجلان) بقرنين من الزمان .

وحاربت الكنيسة أيضا (إسحاق نيوتن) حين جاء بنظريـة الجاذبيـة مؤيدة بقانون رياضى ، ونظرية الجاذبية أكدت صحة نظريات (كوبرنيكوس – وبرونو – وجاليليو) فى الوقت الذى اهتز فيه موقف الكنيسة .

ولقد حاربت الكنيسة هذه النظرية وشنعت على معتنقيها ولجـأت إلـى التعسف والعنف وهاجمت نيوتن بحجة أن نظريته تقضى إلى إنكار وجود الله بنفى العناية الإلهية من الكون .

❋ **وفى مجال التآليف العلمية** – نتيجة اختراع المطبعة – أن أخـذت الكنيسة تصدر قرارات التحريم والحرمان ضد طائفة من الكتب والكتاب ، **فقد** اصدر البابا اسكندر الخامس أمراص بابوياً عاتم ١٥٠١ **ينذر فيه بعقاب مـن** يقدم على شئ لم يصرح بطبعه .

واضطلعت محكمة التفتيش بفرض رقابتها على المطبوعات وأنشأت من أجل ذلك سجلات تدون فيها أسماء الكتب التى تحرم الكنيسة على المـؤمنين قراءتها .

يقول روجيه جارودى (المستشرق الفلانسى الذى أعلن إسلامه) **يقول** فى تفسير عداء الكنيسة للعلم : " **يمكن تعليل الركـود العلمـى فـى أوربـا المسيحية بذلك الموقف الحذر من الطبيعة التى لابد أن تصرف الأنسان عـن التوجه إلى الله** " .

هذا هو (أوزيب) عالم اللاهوت **ومطـران القيصـرية يتوجـه إلـى** علماء الأسكندرية قائلاً : " **نحن لا نولى نشاطاتكم أدنى اهتمام بـل نـزدرى** تلك النشاطات التى **لا طائـل منهـا ونتوجـه بعقولنـا صـوب اهتمامـات** أسمى وأرفع " .

وبعد عشرة قرون يؤكد القديس توما الأكوينى **هذه النظرية بقوله :**

" نحن نفضل الحد الأدنى من المعرفة **بالأمور الدنيوية الفلسـفية** " . (١) معنى ذلك أن الصراع بين الدين والعلم يرجع – **فيما يرى جارودى – إلـى** طبيعة الدين المسيحى الذى يزهد فى شئون الحياة .

---

(١) جارودى فى كتابه مابعد السلام ص ١٢١ .

على أن هناك وجهة نظر أخرى طرحها بعض الباحثين حول أسـباب مقاومة رجال الدين للتقدم العلمي قبيل عصر النهضـة والتـي تتمثـل فـي التعصب العلمي لآراء قدماء العلماء . (١)

وهو تفسير يرجع بالقضية إلى ظاهرة ذهنية تحكمت في صفوة العلماء والمثقفين الذين كانوا في الوقت نفسه صفوة رجال الكنيسة .

والحقيقة أنه من الخطأ أن نسند سبب الصراع بين الكنيسة والعلم إلـى الدين المسيحي وطبيعته التي تزهد في الحياة الدنيا وذلك لأنـه مـامن ديـن مصدره صحيح إلا ويزهد أتباعه في الدنيا .

فطبيعة الدين المسيحي الحق لا تنافي التقدم العلمي خاصة وقد عرفنا أن الذي أتى به عيسى وماجاء به محمد يخرج من مشكاة كما قال النجاشي اللهم إلا إذا كان المقصود بالدين الذي يشير إليه جارودي هو الدين الذي أتى بـه القساوسة والرهبان إذ من المعروف أن قساوسة النصارى قد حرفـوا ديـن النصرانية كما مر .

وبعد استبعاد الدين الصحيح الذي جاء به عيسى عليه السلام يمكن لنـا أن نوجز الأسباب التي أدت إلى الصراع بين الكنيسة والعلم في :

١ – خلط كلام البشر من القساوسة بكلام الوحي ، وهذا الخلط أدى إلى تسرب الخرافات الوثنية والمعلومات البشرية إلى كثير من تعاليم المسـيحية حيث جعلتها الكنيسة عقائد ألهية لا تنفصل عن صلب الدين وعدت الكفر بها كفرا بالوحي وذلك مثل نظرية (بطليمـوس) القائلـة بمركزيـة الأرض ،

---

(١) ص ١٨ من حقيقة العلمانية .

فساوى القساوسة بينها وبين لنص المقدس وجعلوا مخالفتها كفرا يستحق الإنسان عليه القتل .

هذا مالايكون فى الإسلام أبدا إذ أن كل قول فى الإسلام يؤخذ منه إلا كلام المعصوم ، وهذا مما يسد الباب أمام العلمانيين الشرقيين الذين يحاولون التسوية بين الديانتين فى هذا المجال . (١)

٢ – ضيق صدر الكنيسة بما يخالف تعاليمها الممزوجة ، كما قلنا وإصرارها الأعمى على التشبث بها ، فكان الامتداد الطبيعى للطغيان الدينى طغيانا فكريا عاما .

وهذا ما ليس فى الإسلام كما سبق إذ ليس هناك مزج بين أقوال الناس وأقوال الوحى . (٢)

٣ – إقحام الكنيسة نفسها فى متاهات كانت غنية عن عبورها وبهذا أثارت على نفسها حربا ضروسا لا هوادة فيها ولا تمييز ذلك لأن الكنيسة حاولت احتكار العلم والهيمنة على الفكر البشرى بأجمعه حتى العلوم التجريبية التى تستند إلى التجربة .

وهذا مالايمكن فى الإسلام الذى لا ينكر على العلماء مجهوداتهم فى مجالات شتى وذلك حين يقرر هذا بقوله﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ ، وقوله ﷺ : " أنتم أعلم بشئون دنياكم " .

---

(١) حتى الإمام الشافعى يقول : إذا تعارض قولى مع قول رسول الله فاضربوا بقولى عرض الحائط .

(٢) وإذا كان المرحوم الشيخ عبد العزيز بن باز قد تبنى فى فترة متقدمة من حياته هذه الآراء وعارض القول بكروية الأرض ودوران الشمس حولها . فإنه قد رجع عن ذلك فى آخر حياته .

فالإسلام يختلف عن المسيحية الكنسية التى حاولت الهيمنة علـــى كـــل العلوم فاصطدمت بالحقائق العلمية ولهذا خسرت المعركة .

وقبل أن نترك هذه النقطة تجدر الإشارة إلى ملاحظتين :

الأولى : أن الصراع فى القرن السابع عشر بين الكنيسة والعلم – كانت ماتزال فيه الكنيسة صاحبة الرأى فإذا كان القرن السابع عشـــر هـــو قـــرن الانتفاضة على الكنيسة ومبادئها بالنظريات العلمية فإنه كـــان كـــذلك القـــرن الذهبى لمحاكم التفتيش ، فقد قاس العلماء أنواع الاضطهاد واستخدمت ضدهم أساليب القمع الوحشية وظهرت القوائم البابوية التى تحتوى على أسماء الكتب المحرمة ، وكل من يضبط وفى حوزته هذه الكتـــب يســـاق إلـــى محكمـــة التفتيش .

وقاومت الكنيسة كل محاولة للتجديد حتى وإن كانت نافعة ، فقد كفرت رئيس بلدية ألمانيا لأنه اخترع غاز الاستصباح بحجة أن الله خلق الليل لـــيلاً والنهار نهاراً وهو باختراعه يريد تغييـــر مشـــيئة الخـــالق فيجعـــل الليـــل نهاراً . (١)

وهؤلاء العلماء الذين حاربتهم الكنيسة كانوا مؤمنين بالمسيحية لكن كان كفرهم برجال الكنيسة كفرا صريحا . لذلك حاولوا الانفكاك بكل قوة من ربقة الكنيسة والتحرر من عبوديتها لا يهمهم أين يتجهون بقـــدر مـــايهمهم كيـــف يهربون ، إلى أن جاء القرن الثامن عشر الذى يتميز بظهور روح الشك العام فى كل شئ ومع ذلك ظهرت فلسفات متنوعة يدور محورها حول كلمتين هما

---

(١) وباء العلمانية ص ٣٦ .

فى الحقيقة صنمان استحدثهما رجال العلم الهاربون من نير الكنيسة ليحل محل إله الكنيسة المخيف وهما (العقل والطبيعة) .

العقل والطبيعة :

أما العقل : فلم يعد مقيداً بأغلال ، بل بدأ يبحث عن ذاته ويسلك طريقة كما لو كان إلهاً وتعالت أصوات منادية بأن العقل هو الحكم الوحيد وهو كل شئ وما عداه وهم وخرافة . .

الوحى يخالف العقل فهو خرافة ن المعجزة لا تتفق مع العقل فهى خرافة ، والفداء والصلب والرهبانية . . كل ذلك خرافات وباطلة لأنها لا تتفق مع العقل .

وأما الطبيعة : فيقول أحدهم : " صار لزاماً على الذين نبذوا الدين والإيمان بالله كلية أن يبحثوا عن إله بديل ووجدوه فى الطبيعة " (١)

وكتب الفكر الغربى تسمى ذلك العصر عصر تألية الطبيعة وهذه العبارة ليست مجازا بل هى مستعملة على الحقيقة وبهذا تتساقط دعاوى العلمانين الشرقيين الذين يحاولون القول بأنه لا تعارض بين كون الإنسان علمانياً وبين كونه متديناً .

الملحوظة الثانية :

أن العلمانية فى أوروبا ظلت مقتصرة على الفلاسفة والطبقات المثقفة ، ولم تتجاوز ذلك إلى القاعدة الشعبية ولم تصبح قضية عامة إلا بعد الثورة

---

(١) وهنا يتضح لنا مدى صدق جمال الدين الأفغانى حين سماهم الدهريين أو الطبيعيين وهذا الفكر العلمانى ، منسق مع ما ذكره د / حسن حنفى بقوله : " إننا تخلفنا بسبب تركيزنا على الله " ص ٢٢٨ كتاب المتطرفون .

الفرنسية التى قامت فى أواخر القرن الثامن عشـــر ١٧٨٩ م ، والتـــى تعـــد السبب الثالث من أسباب العلمانية فى أوروبا وإن كانت الثورة الفرنسية فـــى الحقيقة سبباً من أسباب الإرتكاز لا من أسباب النشأة .

ولكننا تجاوزا وجرى وراء ما ذكره الباحثون سوف نعدها من أســـباب نشأة العلمانية فى أوروبا .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ثالثاً : الثورة الفرنسية

قد سبق القول بأن الثورة الفرنسية لم تكن سبباً من أسباب نشأة العلمانية بقدر ما كانت سبباً قوياً من أسباب الإرتكاز .

لقد كان الاقطاع هو النظام الإجتماعى المهيمن على الحيـــاة الأوربيـــة فى القرون الوسطى ، وربما كان أبشع نظام إجتماعى شهده التاريخ ، فقد كان فى الوقت الذى كان فيه الشرق المســلم يــنعم بالحيـــاة فـــى ظـــل أفضـــل واعدل مجتمع عرفه التاريخ كانت أوروبا النصرانية ترزخ تحت نير الظلـــم البغيض .

ولقد كانت فرنسا أولى الدول التى تقوم بها ثورات على الظلم الإقطاعى وقد قيل أن السبب فى ذلك موقعها الجغرافى المحاذى للجـــزء المســـلم مـــن أوروبا (الأندلس) ثم حملاتها الصليبية المكثفة ، وبعدها النسبى عن مركـــز البابوية فى روما كل هذا جعلها أقرب إلى روح التحرر والإنطلاق (١) .

وقد قامت فى فرنسا ثورات ومحاولات منذ القرن الخامس عشر إلا أنها أخفقت بسبب أن الكنيسة كانت أكبر الملاك الإقطاعيين .

فالكنيسة لم تكتف بصد الناس عن الإسلام فى هذا الوقت ، بل ناقضـــت تعاليم الإنجيل الداعية إلى المحبة والتسامح ونافست الأمراء الإقطاعيين فـــى إذلال الشعوب .

ويأتى التبرير المسيحى لنظام الإسترقاق الإقطاعى على يـــد القـــديس (توما الأكوينى) الذى فسره بأنه نتيجة لخطيئة آدم .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٠ .

كل ذلك هيأ الفلاحين وغيرهم من الحرفيين والبسطاء للقيام بالثورة .

هذا بالإضافة إلى الحركات التحررية التى تزعمها (لوثر) و (كلفن) والتى أضعفت السلطة الكنيسية المركزية ، ثم التحولات التـــى حـــدثت فـــى المجتمع الأوربى الذى أدى إلى ظهور الطبقة البرجوازية ز ثم اليقظة الفكرية التى عرضناها من قبل والتى ساعدت على إنتشارها ظهور المطابع .

كل هذه التحولات آذنت بهبوب رياح التغيير ، وفى السنوات الســـابقة للثورة بلغ الفساد السياسى والتدهور الإقتصادى فى فرنســـا غايتـــه فـــأرادت الحكومة أن تسد هذا العجز فأرهقوا الشعب بالضرائب فـــى الوقـــت الـــذى كان هناك طبقتان منغمستان فـــى النعـــيم همـــا : طبقـــة رجـــال الـــدين ، وطبقة الأشراف .

ثم قامت الثورة الفرنسية ضد المحتكرين (رجال الـــدين والأشـــراف) وانتصر الشعب على جلاديه وحصدت المقصلة معظـــم الـــرؤوس المترفـــة الطاغية .

وكان من نتائج هذه الثورة ميلاد أول دولة لا دينية فى أوروبا المسيحية تقوم فلسفتها على الحكم بغسم الشعب لا بإسم الله وعلى الحريـــة الشخصـــية بدلاً من التقيـــد بـــالأخلاق الدينيـــة وعلـــى دســـتور وضـــعى بـــدلاً مـــن دستور الكنيسة .

وإسقاط الدين من حسابات الجمهورية الفرنسية الجديدة كـــان نتيجـــة لتضافر عدة أسباب خاصة وأن الشعب لم يكن هدفه الثورة على الدين هـــذه الأسباب هى :

١ – **الفكر اللادينى :**

الذى كان سمة من سمات عصر التنوير حيث كانت هذه المدارس رغم تباينها تسعى إلى تقويض الدين وقد سلكت كل مدرسة منحنى خاصا لتحقيق ذلك واشهر هذه المدارس :

(أ) مدرسة الكتاب الموسوعيين : الذين كتبوا " دائرة المعارف ط وكانوا يناصبون العداء لكل الأديان .

(ب) مدرسة ذات طابع غجتماعى وسياسى وزعيمها (روسو) صاحب كتاب (العقد الفريد) الذى أطلق عليه إنجيل الثورة الفرنسية .

(ج) مدرسة ذات طابع فلسفى الذين نادوا بوجوب إلغاء الدين ليحل محله الدين الطبيعى ، وربما كانوا اسبينوزا الفيلسوف اليهودى رائد الفكرة العلمانية بإعتبارها منهجا للحياة .

وفولتير الذى يقول : " عن دين أهل الفكر دين رائع خال من الخرافات والأساطير المناقضة للعقل " (١) .

وهكذا بتأثير الفكر اللادينى وجهت الثورة الفرنسية توجيها مناقضا للدين بإقامة مجتمع يرفض القيم والأخلاق الدينية .

٢ – **وقوف الكنيسة ضد الشعب :**

لقد كان من الممكن ألا ينجذب الشعب للفكر العلمانى ويترك عقيدته لولا الموقف الشائن الذى وقفته الكنيسة من مطالبهم المشروعة .

ولما رأى الشعب وقوف الكنيسة دائماً مع الإقطاعيين من الملوك والأمراء لم يكن غريباً أن ينادى أشنقوا أخر ملك بامعاء آخر قسيس .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٣ .

٣ – وقوف الصهيونية مع الثورة :

كلنا يعرف العداء المستحكم بين اليهود والمسيحين [١] فما أن قامت الثورة حتى حاول اليهود التغلغل فى منظمات الثورة المختلفة ونفثوا شعاراتهم التى كان ظاهرها رحمه وباطنها خراب .

فالحرية والمساواة والأخاء – كلها شعارات ملتوية لها مفهوم خاص عند اليهود وللأسف فإن مفهوما عند اليهود وهو الذى حاول رجال الثورة تطبيقه .

فقد قصدوا بالحرية تحطيم القيود الأخلاقية ، وبالإخاء والمساواة إزالة الفوارق بين الدينى واللادينى .

وهكذا – استغل اليهود الثورة وتلك سمة من سمات اليهود أنهم لا يصنعون المواقف وإنما كل عملهم إستغلال المواقف . فقد حولوا الثورة من ثورة على مظالم الإقطاعيين بما فيهم رجال الدين إلى ثورة على الدين .

ولقد جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون :

" تذكروا الثورة الفرنسية التى نسميها الكبرى أن أسرار تنظيمها التمهيدى معروفة لنا جيداً . . كذلك كنا قديما أول من صاح فى الناس : الحرية ، المساواة ، الأخاء " [٢] .

---

(١) كان ذلك فى الماضى ويصدق ذلك قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ . . . الآية ﴾ أما الأن فقد تجمع الفرقاء كل ذلك لأن لهم عدواً مشتركاً هو الإسلام ويريدون القضاء عليه .

(٢) انظر : البروتوكولات ١٠٣ – ١١١ .

ثم توالت بعد الثورة الفرنسية الثورات والبراكين فـــي بـــاقى أوروبـــا وعرفت أوروبا حقوق الإنسان لأول مرة .

وكان نجاح الثورة يعنى انهيار النظام الإقطاعى وانهيار نفوذ الكنيســـة وقد صحب ذلك فراغ هائل فى المعتقدات والقيم مما هيـــأ الســـاحة لظهـــور اتجاهات فكرية ونظريات علمية ساعدت على إنتشار العلمانية .

❁❁❁❁❁❁

رابعاً : التيارات والنظريات اللا دينية

لقد كانت التيارات المتحللة والنظريات المنحرفة والمنظمات الإلحادية إحدى العوامل التى ساعدت على إنتشار الفكر العلمانى ، وذلك لأن العلمانية فى نهاية الأمر تدعو إلى إسقاط الدين وعدم جدواه فى توجيه السلوك الإنسانى .

وما دام الدين قد أزيح فلابد من بدائل لهذا التوجيه ومن هنا نشأت نظريات تساعد العلمانية فى نشاطاتها .

فالشيوعية تلتقى مع العلمانية فى إسقاط الدين .

والماسونية حركة صهيونية تدعو إلى التحلل من الدين .

والنظرية الدروينية تدعو إلى فكر مناهض للدين .

والوجودية تدعو إلى الكفر بكل ما لا يدخل تحت الحواس .

وهكذا . . . فإن هناك نظريات علمية وحركات إلحادية قد ساعدت العلمانية على الإنتشار والتوسع .

وقد أثرت أن أضع ثلاثة نماذج لهذه الحركات والتيارات ومن خلالها نستطيع الحكم على باقى التيارات خاصة وأن هناك علاقة – كما سنوضح – بين الماسونية والشيوعية .

☜ **النموذج الأول : الماسونية** وسوف نوضحها بتوسع لأنها تحوى بداخلها أغلب التيارات الهدامة مثل الشيوعية وأندية الروتارى والليونز ، عن الدلائل التى تشير إلى أن الماسونية أحد التنظيمات التى ساعدت على إنتشار الفكر العلمانىكثيرة منها :

١ – أن العلمانية فى نهايتها تحاول غسقاط الدين من الحياة وهو نفس هدف الماسونية كما أوضحته بروتوكولات حكماء صهيون .

٢ – أن كمال أتاتورك الذى زرع العلمانية فى تركيا كان أحد أعضاء المحافل الماسونية .

٣ – أن العلماء الباحثين فى تاريخ العلمانية وكيفية وصولها إلى الشرق يقررون أنها وصلت مع الحملة الفرنسية ز التى عن طريقها وصلت الماسونية .

٤ – أن الثورة الفرنسية التى كانت عاملاً من عوامل قيام العلمانية فى أوروبا كانت تخطيطاً ماسونياً كما تذكر البروتوكولات .

٥ – لقد تنبه محمد رشيد رضا إلى العلاقة بينهما حين قال عن الماسونيه (لم يكن للماسونيه من ثمره إلا أعداد النفوس لفصل السياسه عن الدين والإستغناء عن الشرع بالقوانين الوضعيه) [١] .

☜ **النوذج الثانى** : المذهب المادى .

☜ **النموذج الثالث** : نظرية التطور .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) محلة المنار ح ١٥ ص ٣٣ .

أولاً : الماسونيــة

هى جمعية سرية يهودية يرجع تاريخها إلى العصر الرومانى تأسســت فى مدينة اورشليم زمن الوالى (هيرودوس) ملك اليهود من سنة ٣٧ - ٤٤ بعد الميلاد وهو حفيد (هيرودوس الكبير) الذى قتل أطفال بيت لحم خشــية ان يكون فيهم المسيح الذى سيقضى على ملكه .

وكان الغرض من تأسيسها مناهضة الدين المسيحى ثم تطور غرضــها على مناهضة الأديان عامة وإعادة مجد إسرائيل والعودة إلى أرض فلسطين .

وكانت هذه الجمعية منذ نشأتها سنة ٤٣ م تعرف باسم (القوة الخفية) ثم عدل إسمها إلى (الجمعية الماسونية) أو البنائين الأحــرار وكــان ذلــك سنة ١٧١٧ م .

وقد تأسس أول محفل ماسونى فى بريطانيا وجعلــوا شــعاره المثلــث والفرجار ، ثم بعد ذلك تأسست لها محافل فى أمريكا .

وكلمة ماسونية فرنسية الأصل وتعنى عامل البناء الحــر ، أو البنايــة الحرة .

وأما فى الإصطلاح فيقول العلامة المستشــرق الهولنــدى (دوزى) : (جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية هى إعادة هيكــل ســليمان ، الذى يعنى إسرائيل الكبرى ولا يعلم هذه الغاية إلا القليل) (١) .

وشعار الماسونية الظاهر (الحرية - الاخاء - المساواة) وقــد اغتــر بهذا الشعار بعض المسلمين فانضم إليها حتى إذا ما ظهر له هدفاً تبرأ منهــا

---

(١) الماسونية فى العراء ص ١٢ .

وخافَ أكثرهم أن يذيع أسرارها حتى لا يقتل ن إلا أن البعض – بفضل الله – قد اذاع هذه الأسرار .

غير أنه توجد أيضاً شهادات لكبار الكتاب الغربيين ونشـرات رسـمية يهودية وأبحاث من مختصين تبين تخطيط اليهـود الواسـع لإفسـاد العـالم تحت شعارات براقة ، فمن أكبر شعاراتهم : " الأديـان تفرقنـا والماسـونية تجمعنا " (١) .

وقد جاء فى دائرة المعارف الماسونية الصادرة فى (فيلادلفيـا) سـنة ١٩٠٦ : يجب أن يكون كل محفل رمزاً لهيكل اليهود ، وأن يكون كل أستاذ على كرسيه ممثلاً لملك اليهود ، وكل ماسونى تجسـيداً للعامـل اليهـودى ، وأعضاء هذه المحافل من غير اليهود أحد هؤلاء :

١ – أما مخدوع بالطلاء الخارجى لكن لا يكاد ينحل الطلاء حتى يعود المخدوع وإن حافظ القوم على إستغلال إسمه .

٢ – وإما حريص على حطام يحقق ذاته او كرسى أو لقـب أو وسـام يشبع به أنانيته أو وظائف موهمة .

٣ – وأما ذو غاية فردية يطمع فى الغنيمة ولو أصبحت أمته غنيمة وقد يكون هذا تاجراً يامل مساعدة المحفل وراء البحار .

٤ – وأما تاجر كلام أراد لجريدته أو مجلته الإنتشار والصيت بين رواد المحافل فأخذ يتغنى بخطبائها .

٥ – وأما رئيس شرف اتخذ الماسونية حانوتا للرزق ومنح نفسه ألقابـاً يتلهف على مثلها ملك إنجلترا .

---

(١) بيان للناس ص ٤٥ .

٦ – وأما أسير أقسام ومواثيق وعهود أخذها عليه الماسون مثل هذا لا يزال ماثلاً أمامه التهديد وإرهاب اللحظة التى دعوه فيها إلى النور الذى طلبه عندما دخل الماسونية ولا يزال فى أذنه صليل السيوف وفى فمه طعم العلقم وفى عنقه أثر الحبل أنه لا يزال يرى تنفيذ الأقسام التى قررها بين القوم دينا واجباً .

☜ إذا كانت الماسونية فى القديم هى القوة الخفية فمتى ظهر هذا الإسم الماسونية ؟

استغل اليهود عمال البناء والعمارة وادعوا أن البنائين الأحرار قد مروا برمرحلة عملية وأنهم لابد أن تكون لهم مرحلة نظرية رمزية – وكان باعث الإسم الجديد هو : (تيوقليوس ديزاغلية) من أعضاء المجمع الفلكى بإنجلترا ومن مشاهير الفلاسفة الطبيعين وذلك بتحويل الماسونية نحو التثقيف الأدبى والإصلاح الخلقى بدل الإكتفاء بالبناء والعمران المادى وحده او بعبارة (الماسونية الرمزية) معتمدة على لائحة لندرة التى سنها ديزغليه ومناصريه (محفل القديس بولس) سنة ١٧١٧ م .

وسمح لجميع أبناء الجنس البشرى بالإنضمام إلى الماسونية والخضوع لتعاليمها خدمة للصهيونية العالمية ، وظهرت الماسونية فى مصر سنة ١٧٩٨ م أثناء الحملة الفرنسية حيث أسس نابليون بونابرت بالإتفاق مع كبار ضباطه (محفل ايزيس) ، وأنشأ الإيطاليون محفلا فى الأسكندرية ١٨٣٠ ، ثم أنشأ الفرنسيون (محفل الأهرام) ١٨٤٥ م ، ثم أنشأ الإنجليز (المحفل الأكبر الوطنى) فى ١٨ اكتوبر سنة ١٨٧٦ م ، معنى ذلك أن الماسونية والعلمانية وصلت غلى مصر عن طريق الحملة الفرنسية .

تاريخ الماسونية :

لا جدال فى أن الماسونية كانت ولازالت من الجمعيات السرية وهذه الجمعيات السرية ليست قاصرة على أمة دون أمة ولا على قطر دون قطر بل هى عالمية من قديم الزمان وكثير من المؤرخين يرجعونها فى ولادتها إلى أزمنة الكهانة المصرية فى جمعية (ايزيس السرية) [١] .

ثم فى زمن طفولتها إلى زمن تشييد (هيكل سليمان) سنة ١٠١٢ قبل المسيح وعلى هذا فهى محدودة شرقية المنشأ ككثير من العقائد الإنسانية والمعتبر أنها نقلت من المصريين إلى الإسرائيليين بواسطة موسى عليه السلام وهناك من المؤرخين من يقول أنها نشأت فى رومية ١٧٥ قبل المسيح عليه السلام .

والجدير بالذكر أن الجمعيات السرية القديمة كانت كثيرة عند المصريين وغير المصريين منها جمعية الألوسية نسبة إلى ألوس من مدن اليونان وعلى مقربة من أثينا قيل أنها نشأت عام ١٣٥٦ قبل المسيح عليه السلام وظل أعضاؤها مدة طويلة يلقنون الأسرار للطالبين على الطريقة الماسونية إلى عام ٤٩٦ بعد المسيح .

ورمز الثلاثة فى الماسونية يتوافق مع الثلاثة عند الكهنة المصريين وهو (إزييس وأوزوريس وحورس) وكذلك مع آلهة اليونان الثلاثة وهى (آلهة الشمس والأرض والموت) .

يقول شاهين مكاريوس الماسونى : ولهذا يكثر ذكر الثلاثة والرمز فى الماسونية الحالية على أننا لا نقدر على إثبات تفرع الماسونية الحالية من مثل هذه الجمعيات .

---

(١) المذاهب المعاصرة للمهدلى ص ٢٨ ، عبد الرحمن عميره ص ٢٨ .

وعلى أية حال فإن الذى ذكرناه يشير إلى أن الماسونية تتفق فى الكثير من تعاليمها مع الجمعيات السرية السابقة ، ولكن السؤال الذى يطرح نفسه علينا الآن – هل الماسونية بمعنى البناية الحرة كانت معروفة فى الزمن الماضى أم أنها كانت معروفة بغير الاسم الماسونية ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال نقول :

أن الماسونية (البناية الحرة) لم تعرف بهذا الاسم إلا فى القرن الثامن عشر الميلادى ، وعُرفت بعد ذلك بالماسونية الرمزية [1] ولذلك اضطر أصحابها أن يقولوا أن الماسونية قبل هذا التاريخ كانت عملية حسية تهتم بأعمال البناء ، أما فى القرن الثامن عشر وما تلاه فكانت معنوية رمزية تهتم ببناء صرح الإنسانية على الفضيلة والشرف والرحمة والأخاء والحرية والمساواة والمحبة والتعاون . . . الخ من الشعارات التى يلبسون فيها الباطل ثوب الحق خداعا وتمويها للإنسانية ، ونحمد الله تعالى على أن الماسونيين من هداه الله إلى اكتشاف زيف وخداع الماسونية فكتب لنا عن تاريخها هو وأخوانه الذين على شاكلته ولولا ذلك ماعرفنا شيئا عن الماسونية كيف لا وهى جمعية سرية ومن أخص شروطها اتباعها الكتمان فالموت أهون عند الماسون من كشف أسرار الماسونية . وبهذا أمكننا أن نذكر شيئا هاما عن تاريخ تأسيس القوة الخفية الماسونية والتى مرت بخمس مراحل كان لكل مرحلة أسلوب خاص فى التعامل حسب مقتضيات العصر الذى تعيشه .

(١) فتحى يكن : حركات ومذاهب فى ميزان الإسلام ص ٥٣ .

المرحلة الأولى : من عام ٤٣ م إلى عام ٥٥ م : [١]

وهى مرحلة بداية تكوين جماعة سرية يهودية باسم القوة الخفية . وقد تزعم ثلاثة من اليهود هم (هيرودوس الثانى وحيرام أبيود ، ومأب لافى) .

وقد أقلقت تعاليم المسيح والمسيحية هؤلاء الثلاثة ذلك أنهم سمعوا المسيح يقول مخاطبا اليهود (أم ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تحمل أثماره) .

وحين سمعوه يقول : مبشرا بزوال مملكة إسرائيل (وأما أعدائى أولئك اليهود . . . فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى) .

من هنا بدأ هؤلاء الثلاثة فى التحرك سرا ودعوا بعض المخلصين إلى عقد اجتماعات لوضع خطة للقضاء على المسيحية .

– الجلسة الأولى فى ٢٤ حزيران عام ٤٣ م :

حضر الملك (هيردوس الثانى) ومستشاره (حيرام أبيود) و (موأب لافى) والستة المختارون . تم فى هذه الجلسة تشكيل الجمعية ودعيت (القوة الخفية) فقررت صيغة اليمين ، وقررت اليوم الثانى موعدا لعقد الجلسة الثانية وتفرقوا وكلهم عزم وتصميم على القضاء على دين المسيح .

– الجلسة الثانية فى ٢٥ من حزيران عام ٤٣ م :

افتتح الرئيس الجلسة ، فوزع المهمات والمسئوليات على كواهل المؤسسين توزيعا راعى فيه القدرة والاختصاص والطاقة ، ودعا الرئيس

---

(١) المصدر السابق .

للتكتم وحض عليه وبالغ لتبقى الأسرار مصونة فى زوايا أنفس المؤسسين مغمضة إلا عليهم . اتفق المؤسسون على أن ينقل كل واحد منهم هذا السر إذا ما هدده الأجل ينقله منقوشا بقلم التهديد مسطرا على صحيفة الموت والأنذار ليخلد سر الجمعية بخلود الدهر مصونا فى صدور تسعة يمثلون دور أسلافهم المؤسسين وقد أصغى الأعضاء لتوجيه الرئيس وصمموا على حمل هذه المسئولية وأداء الأمانة واتفقوا على إعلان هذه المغالطات :

" أن هيرودس عثر على أوراق محفوظة فى خزائن جده فشاهد بها أنظمة وقوانين ، استدل على وجود جمعية مؤسسة من أيام موسى أو داود أو سليمان فأعجبه نظامها وأخرجها للعمل حبا لفائدتها " .

اتفق المؤسسون على استخدام اليهودى وغيره على أن هذا لا يقبل إلا بعد الفحص الدقيق ولا يمنح – حتى الأسرار السطحية – إلا تدريجيا . وأعلن الرئيس ختام الجلسة فوقع المؤسسون محضرى الجلستين واحتفظ كل واحد منهم بصورة منهما .

بعد تأسيس الجمعية (القوة الخفية) بعام واحد أى عام ٤٤ م أحس هيرودس بدنو أجله فأودع السر ولده (أرغريبا الثانى) وشدد وبالغ وأوصى بالمثابرة على مطاردة أتباع المسيح ما تعاقب الليل والنهار . آلت الرياسة إلى (حيرام أبيود) فدعى هيكل القدس المركزى (كوكب الشرق الأعظم) تحديا وتكذيبا للكوكب الذى هدى المجوس لمكان ولادة المسيح .

افتتح حيرام عهد رياسته بأوامر مشددة تقضى بالأجهاز على اتلاع المسيح ثم أفضى حيرام بهذا السر قبل موته لابن أخيه (طوبا لقيان) وقد أصبح هذا رئيسا واقترح اتخاذ التكوين مبدأ للتاريخ قائلاً : إن حيرام مؤسس

الجمعية الخفية ، وشهيد الجهر والأخلاص فلنطلق عليه لقب معلم تقليداً للقب المسيح ، ولنطلق على الجمعية الخفية اسم (الأرملة) تخليداً لحيرام إذ هو ابن الأرملة ولتضع حول جثمانه ثلاثة مصابيح احتقاراً لمسامير المسيح الثلاثة ولنقم حفلات تذكارية يمثل بها موت حيرام كلما نال طالب خفى الدرجة الثالثة إذ هى تخلد اسمه . حيث قتلته اليد الخفية المسيحية يجب على كل خفى مناجزتها ومناجزة مطلق جمعية زعمها العميان دينا ولنضع للخفين الفرعيين رموزا يتعارفون بها ليدوم لنا استخدامهم .

وافق الجميع على مقترحات الرئيس وسجلوها واتفقوا على الرموز وشرعوا باستخدامها .

المرحلة الثانية من عام ٥٥ م لعام ١٠٥ م :

من أشهر الهياكل التى قامت فى هذا الدور بما يثلج قلب إسرائيل هيكل رومية إذ قتل (بطرس) أخاه (أندراوس) مستعينا بسيف نيرون ولؤم وحقد زوجته اليهودية (بوبايا) .

المرحلة الثالثة من عام ١٠٥ م لعام ٤٠٠ م :

وفى هذه المرحلة أصدر الهيكل المركزى أو هيكل القدس أو كوكب الشرق الأعظم قرارا يقضى بخلع ثوب قرمزى على الطالب الخفى الذى صعد الدرجة الثالثة وأمر بإسدال صليب على صدر الطالب استهزاء بصليب المسيح وفى هذه المرحلة تضاعف نشاط الهيكل المركزى فأغرى أباطرة الرومان والفرس باضطهاد وتدمير المسيحين وفعلت الجمعية الخفية والجمعيات والهياكل المتحدة معها بالمسيحين مالا يفعله إلا كل لئيم خبيث من غدر وخيانة . . الخ .

المرحلة الرابعة : من عام ٤٠٠ م لعام ١٧١٧ م :

فى هذه المرحلة انتشرت الهياكل الخفية فى الغرب وبلاد فارس وأصبح بعضها مرتبطا بكوكب الشرق الأعظم بفلسطين ، وبعضها بهيكل رومية الذى فاز بزعامة الشرق والغرب ومنع الاجتماعات إلا تحت الأرض وكان أشد تكتما ودهاءا من الهيكل المركزى نفسه ، وفى هذه المرحلة جاء الإسلام وتفنن أصحاب الجمعيات الخفية فى إيذاء الإسلام والمسلمين بالمكر والخديعة والفتن والنفاق .

المرحلة الخامسة : من عام ١٧١٧ حتى الآن :

فى عام ١٧١٧ قام ثلاثة من ورثة السر هم (جوزيف لافى وولده وإبراهيم أبيود) يحملون نسخة أحد المؤسسين الأول (موآب لافى) وقد احتفظت بكل مامر على القوة الخفية من أسرار وتطورت منذ عام تأسيسها وقد عقد الثلاثة مجلسا خفيا وحذفوا بعض المصطلحات والرموز ووضعوا ألفاظا مزركشة مثل الحرية والتعاون ، وقد وضعوا فى هذا الاجتماع بعض القرارات منها :

١ – يبدل اسم هيكل بكلمة محفل .

٢ – يبدل اسم القوة الخفية بالماسونية .

ويعتبر د / ديزاغليه العالم والفيلسوف هو باعث الماسونية الرمزية .

ويذكر أستاذنا د / محمود عثمان أن الماسونية الحديثة عملت على تنمية الاتجاه العلمانى بقصد القضاء على الدين . (١)

(١) انظر الفكر المادى ص ٢٨ .

طبقات الماسونية :

تسير الماسونية وفق تنظيم معين تقسم فيه الأعضاء إلى ثلاث طبقات هي :

١ – **الماسونية الرمزية** : [(١)]

وهذه الطبقة متاحة لجميع الأجناس والأديان وهي في ظاهرها تبدو على أنها جماعة إنسانية تدعو إلى عدم الاعتداء بأي صورة من الصور العدوانية ، وهذه الجماعة سميت بالرمزية لأنها تضم في مراسمها رموزا كلها تشير إلى أحداث تاريخية جاء ذكرها في التوراة ، وفي الماسونية الرمزية يبدأ العضو (مبتدئا) ثم يتحول بعدها إلى (شغال) ثم إلى درجة (الأستاذ) ثم إلى درجة (أستاذ محترم) ثم يتوشح بالصليب الوردي ، ثم بعدها يصعد إلى درجة (الأستاذ المحترم الأعظم) .

والأستاذ المحترم الأعظم هذا هو الحائز على درجة ٣٣ وشروطه :

١ – أن يكون ثقة .

٢ – أن يكون مؤمنا بالفكر اليهودي .

فإذا توافر فيه هذان الشرطان ووصل إلى هذه الدرجة حق له أن يرتقي إلى الطبقة الملوكية .

٢ – **الماسونية الملوكية . أو العقد الملكي :**

ويطلق على محفل هذه الطبقة (محافل العقد الملوكي) لأن أعضاءها

---

(١) انظر مذاهب معاصرة للمهدلي ص ٣٢ ، عبد الرحمن عميرة ص ٥٣ ، جرجي زيدان (تاريخ الماسونية) ص ١٨٢ ، فتحي يكن ص ٥٣ .

يكونون من جملتهم طبقة العقد الملوكى ، الذى يرمز إلى إبطال السبى اليهودى فى بابل .

وعلى هذا نجد أن هذه الطبقة تقدس كل ماجاء فى التوراة لأن معظم أعضاءها من اليهود علاوة على أنه يحضر هذه المحافل بعض الأساتذة المحترمين العظماء ، الذين أخلصوا للماسونية وقاموا بتقديم العون والمال إليها على ألا يتجاوزوا فيها مرتبة الرفيق وهى أدنى مراتبها .

ويرأس (المحفل الملوكى) الرفيق الأعظم الذى يتوشح بالعقد الملوكى لأورشليم ، وهذا العقد عبارة عن قلادة عليها عشائر الأسباط الأسرائليين الذين أسروا ببابل ، وعليها صورة لخيمة الاجتماع المقدسة لدى اليهود ، ومن التعاليم السائدة لدى الماسونية الملوكية أن الهيكل فى المحفل الملوكى هو هيكل سليمان ، والنور هو النور الذى كان يتجلى الله فيه لموسى والبناية الحرة هى بناء الهيكل .

٣ – **الماسونية الكونية** :

وتتكون هذه الطبقة من رؤساء محافل العقد الملوكى : وهى محفل واحد جميع أعضائه من اليهود الصهاينة الخلص وهؤلاء الأعضاء يتوشحون فى المحفل الكونى بالوشاح الصهيونى ، والمحفل الكونى لا يعرف مقره ولا رئيسه الملقب بالحاخام غير أن المشهور أن الماسونية الكونية يديرها المحفل الأمريكى المؤلف من اليهود الصهيونيين .

والماسونية الكونية تضم حكماء إسرائيل ، وورثة السر هم الذين يتصرفون بالمحافل تصرفا يعود على اليهود وحدهم بالمصلحة هذه هى طبقات الماسونية العالمية والتى يستطيع كل عضو فى الطبقة أن يرتقى إلى

مافوقها إذا ثبت سلامة قلبه لينفذ بشعور أو لاشعور مخطط المحفل الكونى ويصبح بيده كما تقول البروتوكولات التخطيط والتنظيم لهذه المحافل .

ولاشك أن هذه الطبقات الثلاث على تفاوت درجاتها مشحونة بالتراث اليهودى ، تلهث لترى هيكل سليمان وحلم إسرائيل قائما ، وهم فى سبيل هذا الهدف مستعدون للتضحية بكل غال ونفيس ، فهل نحن منتبهون ؟

مصادر الماسونية :

كما عرفنا من قبل فإن الماسونية من حيث المبدأ والمنهج لم تكن وليدة العصر الحديث اللهم إلا فى التسمية فقط ، ولهذا نرى تعاليم الماسونية ترجع إلى عدة مصادر .

ونظراً لأن الماسونية منظمة تريد اجتذاب جميع الطوائف والأجناس لهذا تعددت المصادر ولهذا يذهب صاحب كتاب الماسونية العالمية أن الماسونية ترجع إلى تعاليم بعض الحكماء القدامى والفلاسفة منهم . (١)

أولاً : هرمس الهرامسة (هرمس الأول) :

والمراد به إدريس النبى عليه السلام ، وقد اختلف العلماء فى مولده ونشأته ولد ببابل ونزل مصر ، وهو الذى رسم لهم تمدين المدن ، وعرفهم السياسة المدنية ، وهو أول من استخرج الحكمة من النجوم وأفهمه الله عدد السنين والحساب .

ثانياً : هرمس الثانى (البابلى) :

وهو من الكلدانيين وكان بارعاً فى علم الطب والفلسفة وعارفاً بطبائع الأعداد .

---

(١) نقلا من كتاب الماسونية لمحمد على الزغبى .

ثالثاً : هرمس الثالث (المصرى) :

ويسمى مثلث الحكمة ، لأنه ثالث الهرامسة .

رابعاً : ابيذقليدس :

حكيم من حكماء اليونان كان فى زمن داود عليه السلام ، وقد تكلم فى خلق العالم بأشياء ظواهرها تقدح فى أمر المعاد .

خامساً : فيثاغورس :

أخذ الحكمة من أصحاب سليمان كما يقول القفطى ، وقد أخذ الهندسة من المصريين ثم رجع إلى بلاد اليونان فأدخل علم الهندسة .

سادساً : إخوان الصفا :

وهم جماعة كونوا جمعية سرية فلسفية دينية ، وقيل كان إنطلاقها من صفوف الإسماعلية وكان هدف إخوان الصفا القول بوحدة الأديان .

ومن أخص الأمور التى اتصف بها إخوان الصفا هو كتمان الأسرار والتى هى الأخرى أخص صفات الماسونية .

سابعاً : التلمود :

وهو ينقسم إلى جزئين :

١ – **مشناة** : وهو أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة وقد جمعها يهوذا هاناس بعد قرن من تدمير هيكل سليمان .

٢ – **جمارا** : وقد دونها علماء بابل وانتهوا منها سنة ٥٠٠ م وهذا التلمود فيه من الأفكار السخيفة التى وضعها حاخامات اليهود الكثير .

ثامناً : العهد القديم :

ويزعم اليهود أنها التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام ولا جدال فى تحريفها بنص القرآن الكريم ومهما يكن من أمر صحتها وعدمه فهى مليئة بالرموز والأسماء التى استمدت منها الماسونية تعاليمها ورموزها .

تاسعاً : بروتوكولات حكماء صهيون :

وتعد أهم مصدر من مصادر الفكر الماسونى ، وعليه يكون إعتمادهم فى الحقيقة حتى وإن زعموا ان هذه البروتوكولات ليست من وضعهم ولا عليها إعتمادهم ، فإن الذى لاشك فيه أن الماسونية وإن تظاهرت بدعاوى الأخوة والحرية إلا أن الواقع يقول أن هذه المحافل تسير على التعاليم التى تتضمنها بروتوكولات حكماء صهيون وهم يسيرون نحو تحقيق أهدافهم . فهل نحن منتبهون ؟



مبادئ الماسونية

كما قلنا فإن الماسونية لها ظاهر براق يعد بمثابة مصائد يصطادون بها غير اليهود ليجعلوا منهم أحجارا صالحة لبناء الهيكل ، أى ببنـــاء إســـرائيل الكبرى ، فهم يدعون أن الماسونية جمعية غرضها حمل الناس على أن يحب بعضهم بعضاً ، وأن يتبعوا الحكمة والفضيلة .

كما أن الماسونيين يزعمون أن موضوع هذه الجمعية إبتغاء الفضـــيلة والتمسك بالآداب ومُمارسة أعمال الخير ن كما يزعمـــون أن مـــن مبـــادئ الماسونية حرية الضمير ، والتكامل البشرى هذا إلى جانـــب الـــدعوة علـــى السماح والعفو وعدم الخيانة . . . إلخ [١] .

هذه هى واجهة الماسونية وظاهرها ، ومـــن هـــذا الظـــاهر ، وتلـــك الشعارات الزائفة انخدع الناس وصاروا أعضاءا فى هذه الجمعية .

ولكن الحقيقة التى لاشك فيها أن مبادئ الماسونية التى من أجلها يعملون هى فى الحقيقة مبادئ تخريبية واسس تدميرية الهدف منها والغاية من ورائها إقامة إسرائيل الكبرى حتى ولو أدى ذلك إلى إشاعة الفوضى فى العالم كله ، والمبادئ الحقيقية هى ما انطوت عليها بروتوكولات حكماء صهيون والتـــى يمكن تلخيصها فيما يلى :

(١) يكفرون بالله ورسوله وَكتبه وبكل الغيبيـــات ويعتبـــرون ذلـــك خزعبلات وخرافات .

---

(١) اليهود والحركات الهدامة . للدكتور محمود عثمان ص ٤٨ .

(٢) العمل على هدم الأديان لأنهم يقولون الأديان تفرقنا والماسونية تجمعنا [1] .

(٣) العمل على غسقاط الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية فى البلاد المختلفة .

(٤) إباحة الجنس وإستعمال المرأة كوسيلة كما يحدث فى الإعلام وخاصة السينما والتلفزيون .

(٥) العمل على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنابذة تتصارع بشكل دائم مع تسليح هذه الأطراف وتدبير حوادث لتشابكها ن كما حدث فى حرب العراق والكويت .

(٦) هدم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية ونشر الفوضى والإنحلال والإرهاب والإلحاد .

(٧) إستعمال الرشوة بالمال والجنس مع الجميع وخاصة مع ذوى المناصب لضمهم لخدمة الماسونية والغاية تبرر الوسيلة عندهم .

(٨) إحاطة الشخص الذى يقع فى حبائلهم بالشباك من كل جانب لأحكام السيطرة عليه لينفذ لهم ما يريدون ، ثم يشترطون عليه التجرد من كل رابط دينى أو أخلاقى أو وطنى ويجعل ولاءه خالصاً للماسونية وإذا عارضهم الشخص فى أمر تدبر له فضيحة كبرى وقد يكون مصيره القتل .

– (٩) العمل على السيطرة على رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية ، وكذا لاالسيطرة على الشخصيات البارزة فى مختلف المجالات ، والسيطرة أيضا على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفعالية للوصول إلى أهدافهم .

---

(١) ص ١٥ من كتاب بيان للناس .

(١٠) بث الأخبار المختلفة والأباطيل والدسائس حتى تصبح كأنها حقيقة .

(١١) دعوة الشباب إلى الإنغماس فى الرذيلة وتوفير أسبابها وتوهين العلاقات الزوجية وتحطيم الرباط الأسرى .

(١٢) الدعوة إلى العقم الإختيارى وتحديد النسل لدى المسلمين .

هذه بعض الأفكار والمعتقدات والمبادئ التى تقوم عليها الماسونية وهى فى مجملها أفكار تدميرية ن ولذا يقول بعض المؤرخين عنها : (آلة صيد بيد اليهود يصرعون بها الساسة ويخدعون بها الأمم والشعوب) ولذلك كانت الماسونية وراء عدد من الويلات التى أصابت العالم ، والتى لم يستفد منها غير اليهود ، من هذه الويلات إلغاء الخلافة الإسلامية فى العالم الإسلامى . ثم ظهور الشيوعية وغيرها من الأفكار الهدامة .

بروتوكولات حكماء صهيون :

عرفنا أن الماسونية منظمة يهودية فى تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وفى إيضاحاتها يهودية من البداية إلى النهاية فقد خلق اليهود مذهب الماسونية الذى هو إختراع منهم فإنهم يعتبرونه كأداة بيدهم للوصول على ملك الدنيا والصعود إلى صهيون العالمية لجمع شتات يهود العالم حتى ينتهى الشتات الذى هم فيه ن وبهذا فكر اليهود بوضع مخطط سرى (بروتوكولات) وكثير من الناس يسمعون بهذه النصوص ولكنهم لا يعرفون حقيقة تأثيرها على مستقبل العالم ، وذلك يرجع إلى عدم وجودها فى متناول الجميع لأسباب منها أن إذاعتها ونشرها يكشفان عورة اليهود .

أن أهداف اليهود كما بينا التوسع فى الأرض والسيطرة علــى العــالم لفرض الدين الموسوى بواسطة وسائل جهنمية لا يقفون بها عند حد الإنسانية والعاطفية بل يستعملون لإدراك مرامهم كل القساوة والعنف ، فلا يترددون فى إراقة الدماء قدر ما تستوجبه المصلحة ولهم برنامج محدد لا يتأخرون عنــه ولو شبرا .

وقد برزت بروتوكولات حكماء صهيون للوجود فى ظــروف غريبــة فوجئ القادة اليهود يكشف برامجهم الشيطانية فأخذوا ينكرون البروتوكــولات متهمين أعداءهم بتحريرها لتحطيم معنوية اليهود وإثارة العالم عليهم ، وهــى مجموعة من التوصيات والتنبؤات والبرامج والمخططات والتعاليم التى يقــال أنها حررت من طرف جماعة من يهود العالم فى آخر القرن الماضى أثبتــت فى مؤتمر بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ م فى مؤتمر عام ضم أمهر أحبار وأغنى وأعلم يهود العالم .

ومعنى لفظ بروتوكول بالفرنسية المخطط الأولى أو القــرار التمهيــدى الذى يبرم بين دولتين ويعنون بالحكماء المفكرين المتنورين ، وصهيون ربوه توجد بالقدس بأورشليم بنى عليها داود بيته ثم سليمان هيكله فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد .

كيف اكتشفت البروتوكولات ؟ (١)

من المعروف ان الماسونية جماعة سرية تعمل فى الخفاء وتخطط فــى صمت ولكن شاء الله ان يفتضح سرهم وكان لذلك قصة ، فقد عقــد زعمــاء اليهود مؤتمرهم الأول فى مدينة بال السويسرية سنة ١٨٩٧ برياسة زعــيمهم

---

(١) من كتاب أسرار الماسونية للزغبى .

هرتزل ، وقد اجتمع فيه نحو ثلثمائة من اليهود الذين يمثلون خمسين جمعية صهونية وقد قرروا فى المؤتمر خطتهم السرية لإستبعاد العالم كله وكانت قراراتهم محوطة بأشد أنواع السرية والكتمان ، ولكن الله قدر ان ينفضح بعضها وما يزال بعضها سراً وإن كان ما ظهر منها ما يكشف خفاياها التدميرية .

فقد استطاعت سيدة فرنسية أثناء إجتماعها بزعيم من أكابر رؤسائهم فى وكر من أوكارهم الماسونية السرية فى فرنسا إختلاس بعض هذه الوثائق والفرار بها ، والوثائق المختلسة هى البروتوكولات ن ثم وصلت هذه الوثائق على العالم الروسى سرجئ نيلوس سنة ١٩٠١ وهو الذى طبعها فافتضحت نيات اليهود الإجرامية وجن جنونهم ورأوا العالم ينتبه إلى خططهم الشريرة ضد راحته وهنا قام (هرتزل) الذى يلقب بموسى العصر الحديث وأعلن أنه قد سرقت بعض الوثائق ، ثم أعلن أن هذه البروتوكولات ليست من عملهم ولكنها مزيفة عليهم .

بعض عناصر المؤامرة الصهيونية كما جاءت فى البروتوكولات :

١ – لليهود منذ قرون خطة سرية غايتها الإستيلاء على العالم أجمع لمصلحة اليهود وحدهم .

٢ – يسعى اليهود لهدم الحكومات فى كل الأقطار والإستعاضة عنها بحكومة استبدادية يهودية ويستعملون لذلك كل الوسائل التى منها :

إغراء الملوك بإضهاد الشعوب ، وإغراء الشعوب بالتمرد على الملوك متوسلين لذلك بنشر مبادئ الحرية والمساواة مع تفسيرها تفسيراً خاصاً يؤذى الجانبين .

٣ – يجب أن تساس الناس كما تساس البهائم وجميع زعماء العالم قطع شطرنج فى أيدى اليهود (١) .

٤ – وضع أساس الاقتصاد العالمى على أساس الذهب الذى يحتكره اليهود مع أحداث الأزمات الإقتصادية العالمية على الدوام كى لا يستريح العالم أبداً فيضطر إلى الإستعانة باليهود ويرضى صاغراً مغتبطاً بالسلطة اليهودية العالمية (٢) .

هذه هى بعض عناصر المؤامرة الصهيونية التى أوردها زعماء اليهود فى بروتوكولاتهم الأربعة والعشرون .

نماذج من نصوص البروتوكولات تكشف عن حقيقة الماسونية :

١ – البروتوكول الأول :

السياسة لا تتفق مع الأخلاق ، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسى بارع ن ولابد لطالب الحكم من المكر والرياء ، إن الغاية تبرر الوسيلة وعلينا ونحن نضع خططنا الا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقى بقدر ما نلتفت على ما هو ضرورى ومفيد (٣) .

☜ إن القوة المحصنة هى المنتصرة فى السياسة وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة . يجب أن يكون العنف هو الأساس (٤) .

---

(١) انظر كتاب : أحجار على رقعة الشطرنج : وليم غار .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) البروتوكول الأول ص ٥٣ من كتاب بروتوكولات حكماء صهيون .

(٤) نفس المصدر ص ٥٩ .

٢ – البروتوكول الثانى :

سنختار من بين العامة رؤساء إداريين ممن لهم ميول العبيد ولن يكونوا مدربين على فن الحكم ، ولذلك سيكون من السهل أن يمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا فى أيدى علمائنا وحكمائنا .

☜ لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ولاحظوا أن نجاح دارون وماركس قد رتبناه من قبل .

والأثر غير الأخلاقى لغتجاهات هذه العلوم فى غير اليهود سيكون واضحاً [1] .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) نفس المصدر ص ٦٦ .

صلة الماسونية بالشيوعية

قد سبق القول بأن الماسونية منظمة يهودية وكل الدلائل تشير إلى أن الصلة وثيقة بين اليهود والشيوعية وأدلتنا على إثبات هذه الحقيقة الوثائق والوقائع التالية :

أولاً : لا يستطيع أحد أن ينكر أن ماركس ولينين وتروتسكى ومجموع القيادات الشيوعية فى روسيا كانوا من اليهود الخلص ، فصاحب الدعوة والمطبق لها وهما ماركس ولينين يهود والذين قاموا بالثورة البلشفية يهود وأول من تولى رئاسة الدولة فى روسيا بعد الثورة هو (كامبنيف) يهودى ، وأول مجلس شيوعى كان عدد أعضائه ٥٤٧ منهم ٤٤٧ من غلاة اليهود ، اللجنة المركزية وعدد أعضائها ٣٨٨ منهم ٣٧١ يهود (١) .

وبعد سنة واحدة من قيام الثورة الشيوعية فى روسيا كان تسلط اليهود على الدوائر الرسمية تسلطا ساحقاً وصل إلى ٨٠% فى الوظائف الحساسة بل إن أول حكومة بعد الثورة كانت مكونة من ٢٢ وزيراً منهم ١٧ وزيراً يهودياً وأن ما أحدثته القيادة الشيوعية بالشعب الروسى من فظائع وتعذيب ودفن الناس أحياء وقتل الأطفال والشيوخ وإبادة الأساقفة والكهان ن كل ذلك يدل على أن الثورة الشيوعية كانت يهودية شكلاً ومضموناً ومنهاجاً .

ثانياً : الحقائق التى تؤكد أن كل الذين نشروا المذهب الشيوعى فى العالم كانوا من اليهود .

---

(١) انظر كتاب سقوط الشيوعية ص ٦٠ .

ففى مصر أسس الحزب الشيوعى سنة ١٩٢١ على يد يهودى يــدعى (جوزيف روزنبرغ) ثم تولاه بعد ذلك ٠ هنرى كوريل) اليهودى أيضاً [١] كما أن الأحزاب الشيوعية فى سوريا والعراق ولبنان وفلسطين قامت بواسطة اليهود بل هناك ما هو أكثر من ذلك . إن كثيراً من الأحزاب الشيوعية فـــى العالم العربى تمول من إسرائيل ، يقــول الــدكتور / عبــد الله التــل . . . ولا تستغرب كذلك ما تبذله إسرائيل من مال ومعونـــات للحـــزب الشـــيوعى العراقى حتى أنها وصلت إلى نصف مليون دينار مع أن المخصص الرسمى من إسرائيل للشيوعيين فى العراق هو ٣٠ ألف دينار كل ثلاثــة أشـــهر [٢] ويعترف أحد أقطاب الشيوعية فى العراق (الرفيق رائد) بأن وصية الحزب الشيوعى الإسرائيلى الاولى للأحزاب الشيوعية الأخرى هى العمل على خدمة اليهود وتثبيت دعائم دولتهم فى فلسطين والعمل الدائب لتفريق شمل العـــرب والمسلمين [٣] .

☜ **ثالثاً** : إن الثورة الشيوعية فى روسيا قامت بأموال يهودية حيـــث ساهمت المصارف اليهودية وأعضاء الحركة الصهيونية بمبلـــغ ٢٥ مليـــون جنيه إسترلينى [٤] .

☜ **رابعاً** : الوثائق التى كشفت عن اجتماع سرى عقد بين لينين وحاييم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية سنة ١٩١٦ وفى هذا الاجتماع بحث هؤلاء الصهاينة الترتيبات اللازمة للقيام بالثورة الشيوعية فقال لينين :

---

(١) المصدر نفسه ص ٦٣ .
(٢) سقوط الشيوعية .
(٣) الأفعى اليهودية ص ١٦٢ .
(٤) سقوط الشيوعية ص ٦٢ .

(على نجاح الثورة فى روسيا يتوقف تحرير اليهود من كابوس ملــوك أوروبا وحكامها ن ورفعهم إلى أسمى المراتب فى الدولة وفرض غحتــرامهم وشخصيتهم) ، كما قال وايزمان وعلى نجاحها يتوقف إنشاء دولة اليهود فى فلسطين ولذا بعد أن نجحت الثورة الشيوعية وجه اليهود فى روســيا البيــان التالى إلى زعماء الحركة الصهيونية ويهود العالم : (أيها اليهود قربت ساعة انتصارنا التام ونحن الآن عشية يوم قد تسلمنا قيادة العالم ، لقد استولينا على الحكم فى روسيا لقد كان الروس سادتنا فأصبحوا عبيدنا) [(١)] .

خامساً : نصوص البروتوكولات ، لقد ورد فيها ما يؤكد على أنهم هم الذين رتبوا وخططوا لنجاح الماركسية وسائر النظريات الهدامة .

يقول اليهود : (لاحظوا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل والأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكــر الأممــى ســيكون واضحاً لنا على التأكيد) [(٢)] .

سادساً : وحدة المــنهج والهــدف والأســلوب بــين الشــيوعية والصهيونية .

فالشيوعية دولية ، واليهودية عالمية وكل منهما يهدف إلــى حكــم العالم .

الشيوعية ضد القومية والوطنية واليهودية ضد كل قوميــة وطنيــة بإستثناء قوميتهم .

---

(١) السرطان الأحمر ص ٤٤ .
(٢) الخطر اليهودى ص ١٣٢ .

- الشيوعية نظرية مادية بحتة واليهودية غارقة فى عبادة المادة .

- الشيوعية تعتمد على الحروب والثورات الدموية واليهودية وراء كل الحروب الحديثة وكل الثورات الدموية التى قامت فى العالم .

- وحدة المنهج بينهما والإيمان بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة ومحاولة إعلان الشعارات البراقة كالدميقراطية والإشتراكية والمساواة والعدالة ولكنها حين تصل إلى كرسى الحكم تسحق كل من يقف أمام أغراضها بصورة غاية فى البشاعة .

- أن كلا منهما اعتمد على التنظيمات السرية وأهمها الماسونية فقد جاء فى بيان الشرق الأعظم الفرنسى الماسونى فى سنة ١٩٠٤ الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية لأن مؤسيسها كارل ماركس وانجلز هما من ماسون الدرجة الحادية والثلاثين ومن أعضاء المحفل الإنجليزى وأنهما كان من الذين أداروا الماسونية السرية .



الماسونية والعالم الإسلامى

لقد كانت الماسونية وما زالت هى الواجهة الأولـــى التـــى احتضـــنت اليهودية التلمودية لنفث سمومها فى المجتمعات والفكر والقيم والمفاهيم وقـــد استطاعت بها السيطرة على المجتمعات الغربية والفكر الأوربى ، ثم انتقلـــت المحاولة إلى مجال الفكر الإسلامى والمجتمع الإســـلامى بعـــد ان تشـــكلت المحافل الماسونية فى البلاد الإسلامية بدعوى أنها عامل من عوامل مقاومـــة الإستعمار والإستبداد .

وتجدر الإشارة على أن معظم الذين دخلوا في المحافل الماسونية فـــى العالم الإسلامى كانوا يظنون أن هذه المحافل قد تكون وسيلة لمقاومة النفـــوذ الاجنبى الذى فرضه الإستعمار وكانت هذه هى بعض أساليب الإغراء التـــى حملها دعاة الماسونية إلى العالم الإسلامى ولم تكن قد كشفت الخلفيات البعيدة المدى للمحافل الماسونية .

ويمكن القول أو أول من تنبه لأخطار المحافل الماســـونية فـــى العـــالم الإسلامى خاصة هو السلطان عبد الحميد .

ولكن أسرار هذه المحافل وخلفياتها ظلت خافية على المسلمين والعرب حتى سقوط السلطان عام ١٩٠٩ وقيام حكـــم الإتحـــاديين ربائـــب المحافـــل الماسونية الذى احتوتهم الصهيونية العالمية لخدمة أهدافها .

ومن ثم بدأت تنكشف قليلاً تلك المخططـــات ن وعـــرف أن الإنقـــلاب العثمانى الذى تزعمه أتاتورك كان ثمرة المحافـــل الماســـونية وأن الدونمـــة جماعة يهودية فى تركيا قد استطاعت احتـــواء جماعـــة الإتحـــاد والترقـــى (جماعة كان أحد أعضاءها كمال أتاتورك) لخدمة أهداف متبادلة يتحقق بها

للإتحاديين الوصول إلى الحكم ويتحقق بها للصهيونية العالمية الوصول إلى فلسطين .

مما يشير فى وضوح لا غموض فيه أن العلمانية والماسونية يتفقان فى الغاية وهو القضاء على الدين واسقاطه من الحياة ، والهدف الأساسى للتلمودية الصهيونية التى تتولى تحقيقه المحافل الماسونية هو سيادة الإنحلال الروحى والفساد الأخلاقى حيث يقول البروتوكول الثالث :

(إن مصلحتنا تقضى بإنحلال الشعوب غير اليهودية) ومن هنا يمكن تقييم الخطر الذى نفذ إلى المجتمع الإسلامى عن طريق هذه المفاهيم التى انطلقت فى الصحافة والثقافة مما كان له الأثر البعيد فى الهزائم والأخطار التى حاقت بالمسلمين والعرب فى السنوات المتصلة منذ بدات الصهيونية تركز على الفكر الإسلامى .

ومن هنا بدأنا نرى ونسمع ونقرأ من يحاولون التحلل من كل القيم والمبادئ والأخلاق والفضائل نرى ذلك فى كل بلد على ألسنة بعض الكتاب والأدباء والمفكرين ، ثم بدأت تطالعنا مقالات انحلالية بدعوى حرية الفكر ينكرون الأديان بدعوى حرية الفكر ، ينكرون القيم والأخلاق بدعوى حرية الفكر ، يهيجون الغرائز بدعوى حرية الفن والفنان ، نرى فى التلفزيون – عاصفة من الإنحلال الخلقى والإباحية حتى وجدناهم يصفون المتحلل (فنان) والمتحللة (نجمة) والمغنية(كوكب . . .) .

انقلبت الأمور رأساً على عقب وظهر الفساد فى البر والبحر كل ذلك والماسونية تمشى حثيثا نحو تحقيق أهدافها بل أننا نجد كتاب العرب يترجمون مؤلفات أريد بها ترويج هذه المعانى وإثارة مفاهيمها فى عقول ونفوس

المسلمين والعرب ومن ذلك كتاب (هكذا تكلم زرادشت) الذى ألفه (نيتشه) وكذا غيره من الكتب التى تجاهر بحرية الفكر والطعن فى الدين .

يقول أحمد غلوش : (كنت قد دخلت الماسونية وتركتها لما تبينت منافاتها للأصول الإجتماعية ومجافاتها لوصايا الأديان السماوية وان أتباع هذه الطقوس يتنافى مع جميع الأديان لأنه يتنافى مع الكرامة الإنسانية) .

ومن المعروف أن أول محفل ماسونى عقد فى مصر كان عام ١٨٣٠ م وكان تابعاً لمحفل يورك فى لندن ن مما يشير إلى أن الماسونية كانت عاملاً مساعداً للإحتلال البريطانى فى مضر ولهذا نجد بلفور الإنجليزى هو الذى مهد لدولة إسرائيل فى فلسطين ، وإذا عرف السبب بطل العجب .

والأعجب من ذلك أننا إلى أن نجد من يستميت فى سبيل الدفاع عن هذه المحافل الماسونية بل لقد حاولوا الإيقاع برؤساء القوم وعليتهم ، بل إن قمة العجب ومما يندى له الجبين خجلاً أننا نقرأ أن مفتى الجمهورية يلقى محاضرات فى نوادى الماسونية بين الحين والحين وأنا لله وإنا إليه راجعون .

ولقد حاولت الماسونية توسيع مجال نشاطها ففتحت لها فروعاً ولكن مع تبديل الأسماء كالروتارى واللوينز ، مع ملاحظة الإبقاء على الأهداف الماسونية .

الروتارى

الروتارى منظمة ماسونية تسيطر عليها اليهودية العالمية وقد جاء هذا الإسم من (التناوب) تلك العبارة التى صاحبت الإجتماعات الأولى لأعضاء النادى الذين كانوا يعقدونها فى مكاتبهم بشكل متناوب .

مؤسسها وأبرز شخصياتها :

في سنة ١٩٠٥ أسس المحامي (بول هاريس) نادي للروتاري في مدينة شيكاغو بأمريكا .

في سنة ١٩٠٨ انضم رجل اسمه (شيرلي برى) الذي وسع الحركة بسرعة هائلة وظل سكرتيرا للمنظمة حتى عام ١٩٤٢ م .

توفي بول هاريس عام ١٩٤٧ بعد أن امتدت الحركة إلى ٨٠ دولة وأصبح لها ٦٨٠٠ ناد تضم ٣٢٧٠٠٠ عضو .

كان أول نادي في المنطقة العربية في فلسطين عام ١٩٢١ عندما كانت دولة إسرائيل حلماً صهيونياً وفي الثلاثينات تم تأسيس فروع للروتاري في الجزائر والمغرب برعاية فرنسا ثم انتشرت بعد ذلك أندية الروتاري في مصضر وسوريا والعراق والأردن وتعد بيروت المركز الرئيسي لجمعيات الروتاري في الشرق الأوسط .

الأفكار والمعتقدات :

إن من ينظر إلى أفكار نادي الروتاري يجد أنها تتفق مع الفكر الماسوني الذي أقيم أساساً على الفكر اليهودي ومن هذه الأفكار :

١ – عدم اعتبار الدين مسألة ذات قيمة ، وإسقاط إعتبار الدين يوفر الحماية لليهود ويسهل تغلغلهم في الأنشطة الحياتية كافة .

٢ – أن هذه الأندية ظاهرها فيه رحمة حيث يستعملون ألفاظاً براقة مثل عمل الخير والمساواة ، الرحمة وباطنها خراب لأن هدم الدين يعني هدم الأخلاق وانهيار الأخلاق مقدمة إنهيار الأمم .

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ∴ فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

٣ – أكد احد أعضاء نادى الروتارى فى دراسة قام بها عن الروتارى :

أ – أن بين كل ٤٢١ عضوا فى نوادى الروتارى ينتمـــى مـــنهم ١٥٩ عضوا للماسونية مع تأكيد الولاء للماسونية قبل النوادى .

ب – من مبادئ الماسونية (إذا كون الماسونيون جمعية بالأشتراك مع غيرهم فعليهم ألا يدعو أمرها بيد غيرهم فلابد أن تسير بوحى مـــن مبـــادئ الماسونية) .

ج – نوادى الروتارى فى بريطانيا اقتصـــرت العضـــوية فيهـــا علـــى الماسونية فقط .

هذه هى بعض أفكار الروتارى التى لا تبعد فى كثيـــر أز قليـــل عـــن المحافل الماسونية .

الجذور الفكرية والعقائدية :

إن الروتارى وما يماثله يعمل فى نطاق المخططات اليهودية من خلال سيطرة الماسون عليها والذين هم بدورهم مرتبطون باليهودية العالمية نظريـــاً وعملياً ، ورصيد هذه المنظمات ونشاطاتها يعود على اليهود أولاً وآخراً .

تختلف الماسونية عن الروتارى فى أن قادة الماسونية ورأستها مجهولان على عكس الروتارى الذى يمكن معرفة قيادته .

التشابه كبير بينهما فى مسألة الدين والوطن وعلى مبدأ الإختيار فالعضو لا يمكنه أن يتقدم بنسبه للإنتساب ولكن ينتظر حتـــى ترســـل إليـــه بطاقـــة دعوة . (١)

---

(١) انظر كتاب الماسونية لأحمد عبد الله ، وكذا كتاب حقيقة الروتاري ، وكتاب المثلـــث ٣٥٢ للمؤلف نفسه .

الليونـز

هى مجموعة من النوادى ذات طابع خيرى إجتماعى فى الظاهر لكنهـا لا تعدو أن تكون واحدة من المنظمات العالمية التابعة للماسونية التى تـديرها أصابع يهودية بغية إفساد العالم وإحكام السيطرة عليه .

مؤسسها وأبرز الشخصيات : (١)

فى صيف ١٩١٥ دعا مؤسس هذه النوادى (ملفن جونس) إلى فكـرة إنشاء نواد تضم رجال الأعمال فى مختلف أنحاء الولايات المتحدة وكان أول ناد تأسس من هذا النوع فى مدينة تكساس ز

فى مايو ١٩١٧ ظهرت هذه النوادى إلى الوجود وعقـدت إجتماعهـا الأول فى شيكاغو حيث أقدمة نوادى الروتارى هناك أيضاً .

لقد انشئ نادى الليونز ليكون بديلاً عن نوادى التى تتبع الماسونية فـى حالة إنكشافها أو إضطهادها لما يتمتع به من مظهر إجتماعى خيرى .

الأفكار والمعتقدات :

١ – إن إسم هذا النادى (الليونز) أى الأسود يرمز إلى القوة والجرأة.

٢ – نشاطهم الظاهرى يتمثل فى الآتى :

أ – الدعوة إلى الأخاء والحرية والمساواة .

ب – نشر معانى الخير والتعاون بين الشعوب .

ج – الإهتمام بالرفاهية الإجتماعية .

---

(١) انظر كتاب إنهيار الشيوعية للدكتور سعد صالح ، الماسونية فى المنطقة أبو إسـلام أحمـد عبد الله ، الروتارى فى قفص الإتهام للمؤلف – أسرار وخفايا أندية الليونز للمؤلف .

د – مساعدة المعاقين .

هـ – مشروعات الأمم المتحدة .

٣ – العضوية فى هذا النادى لها شروط لا تختلف كثيراً عن شروط العضوية فى نوادى الماسونية والروتارى حيث يشترط فى العضو أن يكون من رجال الأعمال الناجحين وأن يحضر العضو ٦٠% على الأقل من الإجتماعات السنوية ، يمنعون منعاً باتاً دخول العقائديين وذوى الخبرة والغيرة الوطنية بينما يجذبون الشباب والشابات كما يجذبون إليهم زوجات كبار المسئولين كما يسند إليهن مهمة الإتصال بالشخصيات الكبيرة .

٤ – الهيكل التنظيمى يتكون كل ناد من :

أ – رئيس .

ب – نائب رئيس .

ج – سكرتير – وأمين الصندوق .

د – مجلس إدارة مكون من ١١ عضو .

هـ – لجان متنوعة تشكل من قبل المجلس لتشمل الأنشطة المختلفة .

٥ – خطورة هذه النوادى

أ – نشاطاتها الخيرية الظاهرية مصيدة تخفى وراءها الأهداف الحقيقية.

ب – يتسمون بالتخطيط الدقيق الذى يقوم على السرية فى جمع المعلومات .

ج – يجمعون المعلومات السياسية والدينية للبلد الــذى يعملــون فــوق أرضه ويرسلونها إلى مركز المنظمة العالمى التى تقــوم بتحليلهــا ووضـــع الخطط اللازمة والمناسبة تجاها .

د – هناك غموض شديد يكتنف أسرارهم ومواردهم ووسائلهم .

هـــ – يرددون دائماً شعار : (الدين لله والوطن للجميع) .

و – الإسلام لديهم يقف على قدم المساواه مع الديانات الأخرى سماوية كانت أم وضعية هذا من حيث الظاهر ، أما الحقيقة فإنهم يكيدون له أكثر مما يكيدون لغيره .

ز – يركزون فى دعواتهم ومحاضراتهم على إبــراز مكانـــه معينـــه لإسرائيل وشعبها كما يقومون بزراعة أفكار صهيونية فى عقول أعضائها .

ح – أنهم يقيمون حفلات مختلفة ماجنة راقصة تحت شـــعار الحفـــلات الخيرية .

ط – لقد صدر من الأزهر والمجمع الفقهى فى مكة المكرمة قرارا بين فيه أن مبادئ الروتارى والليونز تناقض كلياً مع مبادئ وقواعد الإســـلام لأن هذه النوادى لا تخرج عن الدائرة الماسونية والتى تستمد جوهرها الحقيقى من الفكر الصهيونى .



موقف الإسلام من الماسونية وأنديتها

سبق أن قلنا إن الماسونية تقوم حسب مخطط صهيون العالمى هدفه إنشاء حكومة يهودية بها يتحقق حلم إسرائيل الكبرى ، وقد اتخذت شعارات زائفة كالإخاء والمحبة والتعاون – لتنفيذ أهدافها وخداع العميان الصغار من المسلمين بإذابتهم فى مجتمع متحرر من سلطة الأديان بإعتبار أن كل الأديان السماوية والأرضية سواء .

ومع ذلك فقد أظهر الله فضائحهم وكشفهم على رءوس الأشهاد وقيض للدفاع عن دينه رجالاً لا تبهرهم هذه الشعارات البراقة فكشفوا زيفها وأظهروا للناس فضائح هذه المؤامرة .

يقول الشيخ الغزالى :

هذه المحافل ما هى إلا جهاز يهودى بأشخاص مسلمين يعملون للتمكين لإسرائيل وإزاحة العوائق أمام وجودها فى قلب الأوطان الإسلامية فهى تحث الأمم على نسيان عقائدها ليسهل عليها أن تجعل من شعاراتها البراقة الكاذبة طريقا لميلاد دولة إسرائيل .

ولذلك فالمسلم لا يكون ماسونيا لأن الإرتباط بالماسونية إنسلاخ تدريجى عن شعائر دينه ينتهى بصاحبه إلى الإرتداد عن دين الله .

ويقول الشيخ الشعراوى :

" إن المزاعم التى تتخفى وراءها الجمعيات الوافدة إلى الدول الإسلامية لصرف المسلمين عن حقائق دينهم وتقويض المجتمعات الإسلامية من القواعد " .

وأشار فضيلته إلى نوادى الروتارى والليونز أنها تسللت إلـى البيئـات الإسلامية بدعوى التعاون من أجل الخير وهى فى الحقيقة تهدف إلى إلهـاء المسلمين عن حقائق الخير فى دينهم .

وأدان فضيلته كل مسلم ينضم إلى هذه الجمعيات والنوادى وقال أن أى مسلم يريد الإسهام فى الأعمال الخيرية عليه أن يصنع ذلك بإسم الإسلام .

يقول الدكتور / مصطفى محمود :

إن الماسونية مُشروع سياسى هدفها تحطيم النظم القائمة وهدم الأديـان والعقائد وغن تسترت خلف أسماء بريئة مثل الروتارى والليـونز . . . إلـخ وحتى إن باشرت نشاطها كجمعيات خيرية .

فحينما تنعق البوم يتنادى البوم فى كل الخرائب ويتجمعـون طوائـف وقبائل تحت ألف إسم وإسم وتحت ألف شعار وشعار وما ملابس هؤلاء القوم وشعاراتهم المنمقة إلا مجرد أزياء تنكرية يخفون تحتها السيوف والخناجر فهم أبناء قبيلة واحدة وإن اختلفت الأسماء فهم تتار اليوم .

ولقد قرر المجمع الفقهى فى المملكة العربية السعودية اعتبار الماسونية وفروعها من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسـلمين ، وأن مـن ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر ن ولقـد أصـدر الأزهـر الشريف بيان للمسلمين حول الماسونية والأندية التابعة لها مثـل الروتـارى والليونز قال فيه :

" إن الإسلام والمسلمين يحاربون بكل الأسلحة المادية والأدبية ومن بين هذه الوسائل التى يحارب بها المسلمون الأندية التى ظهـرت بإسـم الاخـاء والإنسانية ، وإن من بين هذه الأندية الماسونية والمؤسسات التابعة لها مثـل

الروتارى والليونز وهما من أخطر المنظمات الهدامة التى يسيطر عليها اليهود والصهيونية يبتغون بذلك السيطرة على العالم عن طريق القضاء على الأديان وإشاعة الفوضى " .

ولذلك يحرم على المسلمين ان ينتسبوا لأندية هذا شأنها ن وللأسف الشديد تم غبلاغ البيان هذا وتوزيعه على مختلف أجهزة الإعلام والدعوة والأمن بالدولة غير أن أحداً لم يهتم به كما تجاهلته الصحف والمجلات العربية والأجنبية بالقاهرة بإستثناء الصحف الإسلامية .

وهذا يشير إلى أن أجهزة الحكومة قد وقعت فى شباك هذا المخطط الملعون ، وأن الإعلام المصرى يسير وفق خطة ملعونة تسير شيئاً فشيئاً نحو تحقيق أهداف هذه المنظمة الملعونة ، وهذا الأمر – وهو سياسة الإعلام المصرى – للأسف الشديد يعد سببا من أسباب إزكاء نار الإرهاب والتطرف فى مصر ن ذلك لأن التلفزيون المصرى وكذا الإذاعة تتجاهل عن عمد دور الأزهر فى توجيه الناس ، وإلا فلماذا لم يذاع بيان الأزهر حول الماسونية .

ولكن كيف يذيع التلفزيون هذا البيان ورجال الإعلام فى العالم أعضاء فى المحافل الماسونية ، فلا أقال الله عثرة البلهاء .

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن : ماذا نحن فاعلون تجاه الخطر الماسونى ؟ إن التحديات التى توجه الإسلام والمسلمين كبيرة ، والأمر جد كبير وخطير والقوم يعملون لتحطيم الإسلام والمسلمين بكل الوسائل وبشتى الطرق وهذه اليقظة تقابل بنوم عميق من ناحيتنا ، وحتى لا نكون فريسة سهلة وحتى نستبقى على ما بقى من أشلائنا لابد من وضع خطة لمواجهة هذا الخطر هذه الخطة لابد وأن تكون جادة وهادفة .

إن الوقت لا يتسع للهو أو للعب ، إن الماسونية إن لعبت فبالنار تلعب فإن القوم جادون فى عملهم نشيطون فى تحركاتهم لم يعد هناك مجال لأن نغنى (أمجاد يا عرب أمجاد) وفى الوقت الذى تدك فيه الماسونية حصوننا لازلنا مصممين على " أن الأرض بتتكلم عربى " .

إذا أردنا فعلاً أن نواجه هذا الخطر الماسونى علينا :

١ – أن نترك الشعارات والدعاوى والأغانى والأناشيد التى لا تسمن ولا تغنى من جوع .

٢ – علينا جميعاً إظهار الحكم الشرعى فى الماسونية فى المؤتمرات والمجالس العامة وخطب الجمعة فى المساجد مع توضيح حكم الإسلام فى من ينضم إلى هذه المنظمات .

٣ – تشجيع البحوث والدراسات الفردية والجامعية فى هذه المجالات .

٤ – على كل إنسان متدين ومثقف كل فى مجاله أن يعلن استنكاره لوجود هذه المنظمات فى بلادنا بأى وسيلة كانت .

٥ – مقاطعة المؤتمرات والندوات والمحاضرات التى تشترك فيها أعضاء هذه المنظمات .

٦ – أن يبادر كل فرد من منطلق عقيدته الإيمانية ، ومنطلق وطنيته بإرسال خطاب نصح بأسلوب طيب إنطلاقاً من قوله تعالى : **﴿ إدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . . . ﴾** إلى كل عضو يعرف عنه الإنضمام إلى هذه الأندية المشبوهة .

٧ – بيان وجهة نظر الإسلام وآراء المسلمين فى الشعارات البراقة التى يتظاهر بها دعاة الماسونية ، وترشيح أن الإسلام أولى بأن يسند إليه كل فضل خاصة وهو أسبق من هذه الأندية فى هذا المجال .

وأخيراً . . .

٨ – على المسلمين أن يوسعوا رقعة الجمعيات الإسلامية فى كل مكان كجمعيات رعاية الطفل المسلم والفتاة المسلمة إلى غير ذلك من الجمعيات الإسلامية التى تسد الباب أمام هؤلاء الماسونين وحتى لا يكون هناك عذر لمعتذر .



ثانياً : المادية

ويراد بها المذهب القائل بأن الظواهر المتعددة للأشياء ترجع إلى أساس واحد هو المادة .

ويرى أصحاب هذا المذهب أن المادة أساس كل شئ وينكرون وجود روح قائمة بنفسها قد تتصل بالمادة وقد تنفصل (كالحصان يربط فى العربة ويحل منها) ولهذا يقول أحدهم : مضى الزمن الذى يقال فيه بوجود روح مستقلة عن المادة .

والعقل عند هؤلاء الماديين ليس إلا شكلاً من أشكال المادة الدائمة التغير والتنوع وليست المادة كتلة عديمة الحياة لا حراك بها تأتى إليها الروح وهى منفصلة عنها فتنفخ فيها وتنتج حياة كلا . . . وإنما القوة ملازمة للمادة ومظهر من مظاهر المادة المتنوعة والفكر والحياة ليستا إلا صفتين غريزيتين للمادة ونتيجة لإمتزاج جزئيات المادة مزجا معقدا .

ويذهب هؤلاء إلى أن القول بوجود قوة واله منفصل عن المادة يسبح فوقها يدفعها ويسخرها قول هراء ، بل إنه من السخف عندهم القول بوجود روح مجردة وقوة خالقة مغايرة للمادة .

والظواهر النفسية ليست إلا وظيفة لأحد أعضاء الجسم وهو المخ فالأفكار ، والإرادة، والعواطف تتوقف على قوة المخ وعمله وتركيبه .

وعلم النفس فرع من علم وظائف الأعضاء يبحث فى المخ وليس الفكر إلا حركة للمادة ينعدم بإنعدامها ، وأعمال العقل ليس إلا مظهر خاص لقوة حية نشأ عن تركيب المخ تركيباً خاصاً .

فالإنسان يفكر بواسطة المخ كما يهضم بواسطة المعدة .

وعلى الإجمال فكل شئ إما مادة أو مظهر من مظاهر المادة ، والمـــادة لا تجد ولا تفنى وقوانينها أبدية لا تتغير ، وهذه المـــادة لـــم يخلقهـــا الله ولا الإنسان لأنها قديمة أزلية .

وقد بدت النزعة المادية فى المحاولات الأولى التى أراد بهـــا فلاســـفة الإغريق من الطبيعين أن يفسروا الوجود وبردة الماء والهواء ولكنه تطـــور ونضج فى العصر الحديث .

على أن نضج صور المذهب المادى قديماً كان عند ديمقريطس صاحب مذهب الجواهر الفردة .

وإذا كان سقراط وافلاطون وارسطو قد قاموا النزعة المادية فى تفسير الوجود ، فقد عمل على إحيائها من بعدهم أبيقور ، على أن الفضل فى تشكيل هذا المذهب فى صورته الشائعة يرجع إلى إسحق نيوتن سنة ١٧٢٧ م .

ومن بعده جاء دى لامترى سنة ١٧٥١ م الذى قرر أن المادة تتحـــرك وتحس ، والعقل علة هذه الحركة ، وهو شئ مستقر فى الجسم ومن ثم كـــان مادياً ، والإدراك ينشا عن تركيب الأعضاء .

كما حارب هلباخ سنة ١٧٨٩ م كل نظرية تـــزعم أن وراء الظـــواهر المحسوسة عالماً او موجودات غير مرئية ن والعقل عنده لـــيس إلا الجســـم منظوراً غليه من ناحية بعض وظائفه .

أدلة الماديين :

يعتمد دعاة المادية على أدلة منها قولهم :

١ – أن إفتراض وجود جوهر روحى عقلى مستقل عن الجسم ومتميز عنه إفتراض ميتافيزيقى سابق على العلم ومتناقض معـــه ولا يعتنـــق هـــذه

النظرية إلا السذج الذين يشبهون الشعوب المتخلفة فى منطق تفكيرهم فيردون كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة إلى فعل الشيطان الخفى الذى لا يرى ، مع أن التجربة فى نظرهم لا تكشف إلا عن وجود الجسم وأعضاءه ووظائف هذه الأعضاء .

وهذه صيحة علمانية للذين يطرحون الدين جانباً من الحياة لأنه فى زعمهم يتناقض مع العلم .

٢ – أن الأرض كانت فى يوم ما مجرد سديم غازى متوهج فكانت الحياة العضوية عليها مستحيلة ن ويتعذر إذن وجود كائنات حية يصدر عنها نشاط روحى او عقلى ، فلما بردت الأرض وتهيأت ظروف الحياة العضوية وجد النبات والحيوان ثم الإنسان أخيراً .

وإذا فالنشاط الروحى والعقلى وجد بوجود الحياة العضوية التى نشأت متاخرة ومن الضلال أن نفترض وجود روح أو عقل مستقل عن الكائن الحى لأن نشأته متصلة بهذا الكائن ونهايته مرتبطة بنهايته .

موقفهم من الإلوهية :

إذا كانت آراء الماديين بهذه الصورة فإنهم لا محالة ينكرون وجود الله إلا بإعتباره مجرد فكرة فى أذهان الناس وما دام كل شئ يرتد عندهم إلى المادة .

فالله لا يمكن أن يكون إلا مادة ، وهم يقولون : أننا إذا اختبرنا أظهر الصفحات الإلهية التى تسند فى العادة إلى الله عند المؤمنين به وجدنا أنها نفس الصفات التى للمادة .

فالله يوصف بأنه أزلى أبدى وهذا هو وصف المادة عند هولباخ ، أن المادة عند الماديين لا يمكن أن تخلق ولا أن تفنى .

والله خالق وعلة كل موجود ، وكذا المادة فقد صنع كل شئ منهـــا والله إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون ولا راد لقضاءه .

وكذا المادة ما توحيه القوانين الإلهية الميكانيكية لابد – عند الماديين – لابد أن يكون . . . وهكذا [١] .

والإنسان كذلك كله مادة مكون من أعضـــاء حتـــى الـــنفس والعقـــل ، ولقد حلل احد الماديين الإنسان تحليلاً مادياً فرأى أنـــه مؤلـــف مـــن المـــواد التالية :

ماء : يكفلا لملئ برميل .

دهن : يكفى لصنع سبع صابونات .

كربون : يكفى لصنع ٩٠٠ قلم رصاص .

فسفور : يكفى لصنع ٢٢٠٠ رأس عود كبريت .

حديد : يكفى لصنع ١٠ مسمار سم .

جير : يكفى لبياض تقفيصه فراخ .

وكميات ضئيلة من المغانسيوم والكبريت .

فإذا جمعت هذه المواد وخلط بعضها ببعض بنسب صـــحيحة وطريقـــة دقيقة كان ناتج هذا الخليط إنساناً لا محالة .

وإذا كان لنا من تعليق على هؤلاء الماديين الذين يرون أن هناك قاعدة لغنتاج الإنسان كما أن هناك قواعد لإنتاج معجون الأسنان وأمواس الحلاقـــة

---

(١) قد سبق أن العلمانية فى بعض فتراتها قد اتخذت الطبيعة إلهاً .

نقول لهم : إذا كان كلامكم صحيحاً فلماذا لم تصنعوا إنساناً إلى الآن مع العلم بان المواد الخام متوفرة فى الأسواق أو الجبال .

فليس هناك إنساناً واحداً من إنتاجكم يدل على صدق نظريتكم ومالا دليل عليه يجب نفيه .

ولو قالوا : إن أطفال الأنابيب دليل على ذلك قلنا لهم :

إن الحيوان المنوى فى طفل الأنابيب ليس من إنتاجكم بل إنكم أخذتم حيوان منوى مخلوقٌ ووضعتموه في باطن الرحم التى للأم فأنتم مجرد نقله فقط بينما الإنتاج الحقيقى من صنع الذى قال : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ** ﴾ (١) .

وأكبر الظن أن حجج الماديين مهما بلغت لا تكفى لإبطال الرأى الذى يقول أن الظواهر النفسية تختلف عن الظواهر البدنية كل الإختلاف .

ومهما يكن من أمر فإن الفكر المادى وإن كان فى بعض جوانبه أسبق من الفكر العلمانى حيث يذهب مؤرخو الفكر المادى إلى أن المادية ترجع فى بدايتها إلى ديمقريطس ثم تطور هذا الفكر إلى أن وصل إلى ما وصل إليه .

أقول : مهما كان ذلك فإن الفكر المادى كان مظهراً من مظاهر الفكر العلمانى فى العصر الحديث خاصة عند من ينكرون الميتافيزيقا ، ويؤلهون الطبيعة ولذا سماهم جمال الدين الأفغانى الدهريين (٢) .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الواقعة : ٥٧ – ٥٨ .

(٢) الدكتور محمد عمارة (أعمال الأفغانى ص ١٢٧) .

ثالثاً : نظرية التطور

قبل أن تبصر نظرية التطور النور كان الإيمان المسيحى والأخلاق المسيحية قد تعرضتا لضربات قاسية وهزات عنيفة لكن ذلك لم يسمح لأى مفترض أو متكهن بالتبؤ بانهيار كامل للمسيحية قبل قرون عدة على الأقل .

فقد بقيت المسيحية رغم الطعنات النافذة كيانا قائماً تدعمه عواطف الناس وتسانده موروثات عميقة الجذور من التقاليد والقيم ، وإذا كانت نظرة الناس قد تغيرت فى المسيحية والكنيسة لكنها لم تتغير بالنسبة للتصور الدينى فى حد ذاته .

فقد بقى هذا التصور – رغم الأحداث – متأصلاً بدليل الجهد الذى بذله الفلاسفة لاصطناع دين طبيعى او إنسانى كما يدعون .

ولئن كانت نظرة الناس قد تغيرت نحو الكون وحجمه لكن نظرته لم تتغير بالنسبة لغنسانيته وتفرده بوصفه كائناً روحياً متفوقاً على الموجودات .

ولئن كانت نظرة الناس – حتى بعد الثورة على الكنيسة – قد تغيرت بالنسبة لحركة التاريخ وخط سير الحياة لكن لم يكن فى وسع أحد أن يعتقد أو يجاهر بانه لا توجد قيم ثابتة ولا أخلاق ثابتة ولا تقاليد ثابتة ، ولئن صدق الناس الكثير مما قاله أعداء الدين كفولتير ، وهيوم إلا أنهم إلى الآن يعدونهم ملاحدة .

ونشر دارون سنة ١٨٥٩ م كتابه (أصل الأنواع) فأحدث ضجة لم يحدثها أى مؤلف آخر فى أوروبا ، وكان له من الآثار فى المجالات الفكرية والدينية ما لم يكن فى الحسبان .

ونحن فى هذا المقام لا نناقش نظرية دارون من حيث أنها قضية علمية وإنما كمسألة فكرية أثرت على الأفكار فى أوروبا ثم غزت العالم الإسلامى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وتقوم هذه النظريات على عدة أسس :

١ – تحطيم نظرية الثبات فى الخلق والتى كانت سائدة فى عصره والتى تقول : " إن كل نوع من الكائنات خلق على حده وفى صوره مستقلة " .

٢ – أن الأنواع ليست من أصول ثابتة ، وأن الأنواع التى تنتمى إلى فصيلة واحدة أو جنس واحد قد انحدرت مباشرة عن أنواع أقدم منها ، وغالباً ما تكون قد انقرضت (كالديناصورات) .

٣ – أن النظام الذى نراه فى الطبيعة ليس نتيجة لتدخل قوة عليا خارجية ولكن نتيجة للتوافق ، أو التكيف بين أعضاء الكائن الداخلية ، وبين ظروف البيئة التى يعيش فيها . [1]

٤ – أن الكائن فى تطور خلقى على مدار الزمان وأن هذا التطور قد يحدث تحولا فى الأجناس إلى أجناس أخرى ، وهذه الفكرة هى التى جرأت أحد تلاميذه ، أن يقول بإنحدار الإنسان من سلالات القرود .

٥ – أن أصل الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا كائن حقير ذو خلية واحدة وحسب (قانون الإنتقاء الطبيعى وبقاء الأنسب) نمت الأنواع التى استطاعت التكيف مع البيئة وتدرجت فى سلم الترقى .

---

(١) بحث : أصل الأنواع لدراون . للدكتور / سيد بدوى ص ٩٧٣ من تراث الإنسانية (المجلد الثانى ١٩٦٤) .

٦ – أن الطبيعة وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء ومؤهلات حفظ النوع بإضافة أعضاء أو صفات جديدة تستطيع بها أن تتوائم مع الظروف الطارئة ، وقد أدى ذلك إلى تحسين نوعى مستمر نتج عن أنواع جديدة راقية كالقردة ونوع أرقى هو الإنسان ، أما البعض الآخر فقد حرمته هذا فتعثر وسقط .

٧ – أن الطبيعة إذ تهب هذا وتحرم ذاك لا تنتهج خطة مرسومة بل تخبط خبط عشواء لا يسير على قاعدة منطقية مطردة . (١)

ولقد هزت نظرية دارون مجتمع المثقفين بعنف فعدوا رفض علماء الدين لهذه النظرية تدخلا مشينا من جانبهم من شأنه أن يوقف التقدم العلمى ويسئ إلى المؤسسات العلمية والتربوية المهتمة بدراسة النظرية .

وهذه النظرية على الرغم مما قيل عنها وعلى كفاءتها العلمية لكنها لم تعطى حكما نهائياً يؤكد صحة الفروض التى افترضتها .

ولقد فطن العالم والمفكر الفرنسى (موريس بوكاى) إلى أن نظرية دارون لها علاقة وثيقة بالعلمانية وطرح الآراء الدينية جانباً فقال :

(إن نجاح أفكار دارون لا يعود إلى مساهمتها فى تقدم العلم وإنما لأنها استخدمت لغاية (أيديولوجية) معينة وهى تحطيم الكنيسة والتقليل من أهمية تعاليم الكتب المقدسة) (٢) .

والذى دعا العلماء إلى الإقتناع بفكرة دارون هذه صعوبة التصديق بفكرة الخلق المباشر ، وهى فكرة أرقت كثيراً من الفلاسفة على مر العصور

---

(١) انظر وباء العلمانية ص ٤٧ ، جذور العلمانية ص ٥٤ .

(٢) موريس بوكاى فى كتابه الإنسان من أين يأتى ص ٦٣ .

غير أن القدماء كان موطن الصعوبة لديهم هو كيفية الإتصال مما حدا بالبعض القول بقدم العالم من ناحية أو القول بنظرية العقول من ناحية أخرى إلى أن دارون وأشياعه وكل من افتتن بهذه النظرية كانوا لا يتصورون فكرة الخلق المباشر .

يقول آرثر كيت : (إن نظرية النشوء لازالت حتى الآن بدون براهين والسبب الوحيد فى أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق وهذا غير وارد على الإطلاق) .

ويقول واطسن : (إن علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة أو الإستدلال المنطقى ولكن لأن فكرة الخلق المباشر بعيدة عن التصور) .

وإنتشار الفكرة فى الأوساط المسيحية كان له سبب هو أن القصص التى أوردت فى الكتاب المقدس عن أصل الحياة ونشأ الإنسان غير واقعية وتتعارض مع الحقائق العلمية .

بيد أن النصوص الإسلامية تختلف عن النصوص المسيحية فى هذا المجال وغيره إذ أن القرآن لم يتدخل فى تفاصيل تؤرخ لبداية الوجود الإنسانى على الأرض كما أنه لم يعنى بتدوين القوانين العلمية التى لا يمكن أن يطبقها الإنسان فى فترات متغايرة من تاريخه .

والقرآن حين تحدث عن خلق الإنسان قال : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم** ﴾ [١] .

---

(١) سورة التين آية ٤ .

والآية هذه تحسم القضية فهى لم تشر إلى البداية الزمنية ، كما فعلت نصوص المسيحية لوجود الإنسان على الأرض ولكنها تثبت أن الإنسان لم ينحدر من سلالة ادنى .

ولقد حذرنا القرآن من الدخول فى متاهات نشأة الكون إذ أن مثل هذه الأمور ليست من إختصاص البشر والكلام فيها إن لم يوصل إلى الكفر سوف يكون رجما بالغيب يقول الله تعالى : **﴿ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾** (١) .

لهذا فإن دارون وغيره من علماء الأحياء لم ولن يستطيعوا الإستدلال على ما قالوا لأنهم لم يتمكنوا من ربط جميع حلقات الخلق فى الكائن الواحد وأنهم لم يعايشوا هذه الكائنات إلا فترة زمنية يسيرة من حياة امتدت فى أغوار الزمان إلى ملايين السنين .

نظرية التطور فى الشرق الإسلامى :

لقد انتقلت هذه الأفكار إلى الشرق الإسلامى مع بداية عهد الإحتلال الإنجليزى وأدت بعض الدور فى زلزلة الفكر الدينى لدى الشباب المسلم ، ولقد انتشرت الدروينية فى بداية القرن العشرين وغزت جو الشرق الثقافى – خاصة فى مصر – وشغلت المثقفين النظريين – بجانب العمليين .

ومما يؤسف له أن بعض الشباب قد شغف بهذه النظرية دون نظر إلى أضرارها الدينية ، وقد قلنا أن الشباب الأوروبى تلقف هذه النظرية نتيجة لظروف دينية إذ أن النصوص الدينية عندهم فى مجال الخلق لا تتفق مع معطيات العلم .

---

(١) سورة الكهف آية : ٥١ .

أما فى الساحة الإسلامية فلو لم يكن فيها إلا أن تحط من شأن الإنســـان وكرامته لوجب علينا أن نرفضها ، على العكس من ذلك افتتن بهـــا بعــض المثقفين المصريين .

يقول أحمد لطفى السيد :

(أنه قد شغف بنظرية دارون وحرص على قراءتها بمجــرد إلتحاقــه بمدرسة الخديوى الثانوية حيث كانت ميسرة فى مكتبه المدرسة وكـــان فـــى مقدور كل طالب أن يقرأها) (١) .

ويرجع الفضل – عن كان للباطل فضل – فى الترويج لهـــذه النظريـــة لسلامة موسى وشبلى شميل .

ومن يتصفح كتاب فلسفة النشوء والإرتقاء للدكتور شبلى شميل يـــدرك فى يسر ان هذا الرجل يدعو إلى العلمانية والدفاع عنها ويحاول إلهاء النـــاس عن الدين ، ويزعم أن نظرية التطور هى قمة التطور وإن الشرق الإســـلامى لن تقوم له قائمة إلا برفض خرافات الدين وقبول فكرة التطـــور يقـــول فـــى مقدمة الكتاب : (إن الديانات والنحل أصلها واحـــد ، وقامـــت فـــى الـــدنيا لعاملين : حب الرئاسة ، وإرتياح المرؤسيين إلى حب البقاء) (٢) .

آثار نظرية دارون :

أولاً : إنهيار العقيدة الدينية :

وقد كانت نظرية التطور سبباً فى زلزلة العقائد وانتشار الإلحاد وكانت السبب فى إعطاء نظرية التطور هذا الحجم الكبير .

---

(١) كتاب قصة حياتى لأحمد لطفى السيد ص ٢٤ دار الهلال .

(٢)

أ – الظروف التاريخية السيئة :

فقد ولدت النظرية فى عصر كان فيه الصراع بين العلم والـدين علـى أشده وكانت الثورة الصناعية قد أخذت تطمس ملامح المجتمـع الأوروبـى وتصبغه بصبغة متحللة من الدين والأخلاق وكان الأوروبى فى كـل مكـان يتحفز للأخذ بثأره من رجال الكنيسة الذين اذاقوا ألوان الذل والإستبعاد فـلا مانع والحالة هذه إن يضحى بعقيدته الهشة فى سـبيل نجاتـه مـن رجـال الكنيسة .

ب – الإستغلال البشع للنظرية من قبل اليهود :

فالكل يعرف أن اليهود – عن طريق المؤسسات الماسونية تريد القضاء على الأديان والأخلاق والتقاليد والقيم .

وما من شك فى أن هذه النظرية سلاح فتاك فاستغله اليهـود اسـتغلالا بشعا للوصول إلى مآربهم ولقد جاء فى (بروتوكولات حكمـاء صـهيون) " لاحظوا أن نجاح دارون ، وماركس ، ونيتشه قد بيناه مـن قبـل والأثـر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر سـيكون واضـحاً لنـا علـى التأكيد " .

ومن ثم راحو يروجون لها ويرفعـون مـن ذكـر دارون ويهـاجمون معارضى النظرية والإستقبال الحافل والغريب بالنظرية [١] .

ثانياً : نفى فكرة الغاية والقصد :

لقد أدى الإيمان بنظرية التطور إلى اعتناق فكرة المصادفة وإهمال فكرة الغاية ، التى من أجلها خلق الله الكون .

---

(١) وباء العلمانية ص ٤٩ .

إذ أن الطبيعة – عند دارون – تخبط خبط عشواء ، ومن هنا فإن من العبث أن نبحث عن غاية مرسومة وهدف مقصود لعملية الخلق والوجود الإنسانى ، كل ذلك فرارا من إله الكنيسة ورجالاتها .

أما فى الإسلام فالكل له غاية ومقصد من وجوده إذ الكائنات مخلوقة لغاية وهى خدمة الإنسان المكرم ، وهذا الإنسان له غاية وهى عبادة الخالق فاستقبال أوروبا لفكرة التطور لأنهم لم يعرفوا غاياتهم من الخلق أما نحن فقد عرفنا لذلك فلسنا في حاجة إلى بديل .

ثالثاً : حيوانية الإنسان وماديته :

كان من آثار نظرية التطور النظر إلى الإنسان على أنه حيوان مادى لا صلة له بعالم الروح لأنه لا يوجد عالم روح عندهم .

ومن هنا قامت الدراسات الإجتماعية والنفسية على أساس حيوانية الإنسان وكل دراسات اليهودى (دور كايم) فى علم الإجتماع قائمة على هذا الأساس .

واليهودى (فرويد) استمد من حيوانية الإنسان نظريته فى تفسير السلوك الإنسانى من الولادة حتى الوفاة تفسيراً حيوانياً حين جعل دافعة الوحيد فى كل الأمور هو الدافع الجنسى .

وهكذا كانت نظرية التطور عاملاً من عوامل النشأة للعلمانية وسببا من أسباب إنتشارها . [١]

---

(١) انظر وباء العلمانية ص ٥١ ، وجذور العلمانية ص ٥٤ ، وفلسفة النشوء والإرتقاء ص ١٧٩ .

المبحث الثالث

العلمانية فى العالم الإسلامى

العلمانية فى العالم الإسلامى

يرى الدارسون المحدثون أو أول ظهور العلمانية فى العالم الإسلامى كان مع حملة نابليون على مصر – وكان ذلك تعبيرا عن روح الثورة الفرنسية ولقد ذكر الجبرتى ، وكان معاصراً للحملة الفرنسية – فى كتابه ما يشير إلى ميول الحملة العلمانى المعادى للدين وذلك حين ذكر أوصافا لعقيدة الفرنسيين تفيد هذا المعنى ، فهو يصف الفرنسيون بأنهم : (لا يتدينون بدين ، ويقولون بالحرية) (١) .

وهذا صحيح أن الأفكار التى يحملها الفرنسيون كانت تتسم بالعلمانية لأن أثر الفكر العلمانى الذى خلفته الثورة الفرنسية كان لا يزال قوياً ولذلك لم تصطبغ الحملة الفرنسية بصبغة دينية خاصة وقد كان من أهداف الحملة تكوين إمبراطورية لها فى الشرق تكون قاعدتها مصر على غرار ما فعلته انجلترا فى الهند ولذا يقول الجبرتى : (إنهم لا يتفقون على دين فكل واحد منهم ينحو دينا يخترعه بتحسين عقله) (٢) .

وقد أسماهم جمال الدين الأفغانى بالدهرية ، وذكرهم بمصطلحهم الغربى (النيترشين) وهم الذين يقصرون الوجود على الطبيعة (٣) .

ومع ظهور الأثر الواضح للفكر العلمانى فى الساحة الإسلامية منذ الحملة الفرنسية غير أن المصطلح (العلمانية) لم يعلن عنه إلا فى القرن العشرين كما سبق ، ومن يومها صار سمة تميز فكر القوى المناهضة للدين .

---

(١) عجائب الآثار للجبرتى ص ٧١٧ مطبعة الشعب بالقاهرة .

(٢) نفس المصدر .

(٣) الدكتور / محمد عمارة أعمال الأفغانى ص ١٢٧ .

وقد حاول الأوروبيون نشر محاسن العلمانية وإظهار تفوق أهلها وفي الجانب الآخر إحباط كل بادرة يقظة للشعوب الإسلامية التي تغزوها .

وفي الوقت الذي حققت فيه أوروبا تقدما علميا مذهلاً فقد صاحب هذا التقدم رغبة ملحة في إستعمار العالم الإسلامي كل ذلك حدث في ظروف اهتز فيه كيان المسلم وبدأ يفقد الثقة في حضارته وقدرته على أن يلحق بالأوروبين الذين نبذوا الدين وراء ظهورهم .

لهذا كان من السهل أن تجد الأفكار العلمانية آذانا صاغية ، وكل ذلك يرجع إلى عدة أسباب منها :

أولاً : تحلل العالم الإسلامي :

قد تحلل العالم الإسلامي وكاد أن ينهار ، وقد وصف الجبرتي هذا الحال قوله : (وغالبها محن أدركناها وأمور شاهدناها) [١] .

وهذا الحال لا يقتصر على مصر فقط بل إن أغلب البلاد الإسلامية كانت في تحلل وإنقسام خاصة في أواخر العصر العثماني الذي كانت فيه الخلافة الإسلامية قد ترهلت ووصلت إلى دور الشيخوخة خاصة وقد تألبت الدول الغربية عليها .

ووسط هذا الجو من عدم الإستقرار برزت العلمانية ببريقها فكان لابد وأن تجد من يتلقفها .

ثانياً : الإستعمار الغربي للعالم الإسلامي :

لعل إنهيار أي مجتمع من الداخل يمهد لتقبل أشكال جديدة من الحياة والأفكار يحملها له غيره من بيئة تخالف بيئته وهذا ما حدث للعالم الإسلامي

---

(١) الجبرتي – عجائب الآثار ص ٣ .

عندما جاء نابليون إلى مصر حاملاً أفكار الثورة الفرنسية التى بلورت فكر أوربا كله فى القرن السابع عشر والثامن عشر ، والقائم على تأسيس مبدأ دنيوى خالص ، ويعلن عصيانه على الدين رافعاً شعار (إنما يصنع الإنسان نفسه وعالمه) ويدعو إلى إنطلاق الفرد نحو الرغبات الشهوانية ، ولافض كل ما يقف فى سبيل تحقيق تلك الرغبات .

ففى الوقت الذى جاء فيه الفرنسيون بأشياء مفيدة كالإهتمام بالحركة العلمية حتى أن الجبرتى قال : (وأفرد الفرنسيون مكانا للفلكيين وأهل المعرفة والعلوم الرياضية كالهندسة والبيئة) .

ففى الوقت الذى جاءوا بذلك نراهم وقد زينوا للمصريين ممارسة كل فعل مخالف للدين فعن طريقهم تبرجت المرأة المصرية المسلمة ، واختلطت بالرجال . . . وهكذا .

ولقد استعمل الغربيون أساليب مبتكرة استطاعوا من خلالها وبها أن ينشروا الفكر العلمانى وهى :

١ – الإلتصاق بالسلطة :

فمن خلال هذا الإلتصاق عرض العلمانيون مساعدتهم لأرباب الحكم فى مقابل أن يقبل أرباب الحكم الإتجاهات العلمانية لتدبير شئون الحياة داخلياً وخارجياً ، ولقد قبل أرباب الحكم هذا العرض .

فالتاريخ يحدثنا أن محمد على اعتلى حكم مصر بعد خروج الفرنسيين وأنه كان كنابليون تحركه أهداف علمانية . (١)

---

(١) الجبرتى – عجائب الآثار ص ٣ .

فقد حقق محمد على أهداف الإستعمار بطريق غير مباشر فنابليون قد فشل فى فتح عكا ، ولكنها فتحت على يد إبراهيم بن محمد على وكانت حروب إبراهيم هذا فى عكا وفلسطين وسوريا والأناضول والجزيرة العربية لمحاربة الدعوة الوهابية .

كل ذلك تحت راية حاكم مسلم لكن بمشورة وتخطيط خبراء فرنسيين ولقد كانت خطة محمد على فى التحديث استمراراً لخطة نابليون ، فلقد أقام محمد على دولته العلمانية التى لا تفرق بين مواطن وآخر إلا بمقدار ما يقدمه للدولة من خدمات دون ما اعتبار لدين تماماً كما فعلت فرنسا بعد ثورتها الكبرى .

وكان محمد على كنابليون يمضى كالسهم لا يوقف تقدمه شئ لضعف العلماء وقلة الأفاضل منهم وقلة حيلتهم (١) .

بعد أن قوض سلطة الأزهر وأضعف نفوذه وأتى بكل ما لا يتفق وفكره الحاكم فى التصور الإسلامى الذى يجسد صورة العدل بمعناها الشرعى (٢) .

ومن بعده جاء سعيد وإسماعيل الذى ألغى المحاكم الشرعية ، وبذلك يكون قد حقق رغبة العلمانيين فى الفصل بين المسلمين وبين كل ما يربطهم بدينهم .

٢ – إحتكار منابع الفكر :

كان العلمانيون يركزون دائماً على منابع الفكر والثقافة لينفثوا من خلال تلك المنابع سمومهم .

---

(١) جذور العلمانية ص ٣٩ .
(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٨ .

ومع السيطرة على منابع الفكر ، ممثلة فى وسائل الإعلام والثقافة التى تيسرت نتيجة لإلتصاقهم بالسلطة فقد شهدت الساحة الإسلامية لعبة إحتكارية غير شريفة من جانب العلمانيين .

ففى مقابل التعمية الكاملة والتجاهل لكل ما هو إسلامى نجـد الإبـراز والإظهار والتركيز على الإنتاج الفكرى والفنى للعلمانيين .

فلقد كان – ولا زال – يصدر أحدهم كتاباً ينتقد فيه الأديان ويتهجم علـى الشرائع – ثم نجد هالات الإعجاب والتقريظ على هذا الكتاب .

وكم أصدر الإسلاميون من ردود وجهود فكرية ومنتجات أدبية ضاعت كلها طى النسيان من جراء التجاهل الإعلامى لهم . (١)

ومن الأمثلة الواضحة على مثل هذه التعمية على كل ما هـو إسـلامى جانب الإعلام .

إن الأزهر الشريف قد أصدر بيانا حول الأندية الماسونية كالروتـارى والليونز ومع ذلك لم نجد لهذا البيان ذكراً ، وما كان لنا أن نعرف هذا البيان إلا من خلال مجلة الأزهر مما يشير إلى مدى تجاهلا وسائل الإعلام لكل ما هو إسلامى .

وحتى البرامج الدينية لا تذاع ولا تنشر إلا بعد برمجتها حتى تتفق مـع ميول العلمانية .

٣ – الإرهاب الفكرى :

ولقد تفنن العلمانيون فى إتباع أساليب الإرهـاب الفكـرى ، إذ يكتـب أحدهم مقالة بالغة الوقاحة ضد ناحية من نواحى الإسلام فيتصدى له العديـد

(١) انظر كتاب المذاهب المعاصرة ص ٨٤ بتصرف .

من علماء الأزهر أو الكتاب الإسلاميين مفندين دعواه ، فيبدأ السيرك العلمانى فى التحرك حيث يدعى هذا العلمانى أنه يتعرض للاضطهاد والتكفير بسبب حريته الفكرية لأنه لا يستطيع أن يقاوم التتار والمغول ، وهو بالطبع يتجاهل كل الردود الموضوعية عليه..

وبعد ذلك يبدأ اللعب الجماعى فينهمر سيل من مقالات التأييد للكاتب المضطهد مع دعوته للإستمرار فى إثراء الفكر والتنديد بالمعتصبين المسلمين وتختفى القضية الأصلية لتتحول إلى دفاع عن حرية الفكر العلمانى أمام بربرية الإسلام ، ويخرج العلماء والإسلاميون وقد تشوهت صورتهم ويكسب اللا دينيون صيتاً وشهرة .

ولعل أصدق مثال على ذلك ما أثاره العلمانيون حول قضية نصر أبو زيد الأستاذ بجامعة القاهرة – الذى حاول بكل وقاحة بيان أن القرآن الكريم أسلوب أدبى يمكن نقده .

وحين رد علماء الإسلام على هذه التراهات قامت الدنيا ولم تقعد وإلى الآن .

وكذلك حين دافع رجال الأزهر عن شريعتهم ضد كتابات فرج فودة إذا بالأزهر يكون عند العلمانيين قلعة الإرهاب وشيخ الأزهر عندهم يخرج الإرهاب من عباءته . (١)

٤ – الهجوم على التدين والدين :

على الرغم من أن العلمانيين يدعون الحرص على الدين وقداسته فإنهم يسارعون إلى الهجوم على تدين الشباب وأدائه للفرائض وتمسكه بالقيم الدينية

---

(١) انظر كتاب المذاهب المعاصرة ص ٨٤ بتصرف .

فى مجال السلوك الشخصى والعبادة وهم لا يفصلون بين الـــدين والدولـــة إلا ليفصلوه عن المجتمع ثم يسهل بعد ذلك القضاء عليه .

وأقرب مثال على ذلك : ذلك القرار الذى أصدره وزيـــر التعلـــيم فـــى موضوع الحجاب وإدعائه ان الحجاب غطاء للرأس والعقل معاً ومما يؤسف له أن هذا القرار اعتبر من جانب العلمانيين نصراً كبيراً للحركـــة التنويريـــة ضد التخلف والرجعية .

ولقد أصدر الأزهر بياناً أوضح فيه مخالفة هذا القرار لنصوص الكتاب والسنة ولا زالت القضية أمام القضاء .

المهم أن هذا مثال لأسلوب الهجوم على التدين والدين الذى يتخذه رجال العلمانية .

٥ – الدعوة إلى التحريف :

ومن أسباب العلمانية فى التعامل غير الطبيعـــى مـــع الإســـلام تمكنـــا لدعوتهم :

كتب أحد العلمانيين كتابا حول هذا المعنى بإسم عمائم وخناجر ، وضع على قائمة الإرهابيين الشيخ الشعراوى ، والغزالى ، وجاد الحق ، وللأســـف الشديد لم يتحرك أحد لوقف طبع هذا الكتاب وإيقاف هذه المهزلة ولعلهم فـــى هذه الناحية يتمسكون بأذيال حرية الفكر الهادفة إلى تنحية الدين عن الحيـــاة والإتجاه إلى إذابته فى الفلسفات والمذاهب الوضعية الأوروبية المختلفة تحت شعار إعادة تفسيره ليتمشى مع العصر الذى يعنى عندهم المذاهب الوجوديـــة والأفكار العلمانية .

فلا وجود للإسلام إلا إذا تلاءم وتكيف وتعدل ليناسبها فبدل أن يصبح الإسلام هو المهيمن على الحياة يصبح تابعاً محموماً قابعاً فى المكان الذيلى الذى خصصته له العلمانية .

ولعل أقرب مثال ما يقول بع العلمانيون فى تفسيرهم لبعض القضايا الإسلامية مثل ذلك الرجل الذى يريد أن يبين أن الرقص حلال شرعاً فهو يلوى عنق النصوص لتتفق مع القضية التى يريد إثباتها ، فالرسول – عنده – كان يشاهد الرقص من الأحباش .

وقضية الحجاب كانت خاصة بنساء النبى ﷺ بدليل قوله تعالى : **﴿ لستن كاحد من النساء ﴾** .

كذلك قضية ميراث المرأة وأنه يجب أن يتساوى مع الرجل ، وهكذا كان الأصل عندهم القضية التى يريدون إثباتها ونصوص الدين يجب أن تتلاءم مع هذه القضية .

ولذلك نجد العلمانيه فى أوضح صورها حين قالت الكاتبة العلمانية (ناصرين تسليمه) (١) يجب أن ننقح القرآن ليتمشى مع العصر ، فكان هذا الكلام برداً وسلاماً على أذناب العلمانية ومن أراد أن يستزيد فعليه بمجلة روز اليوسف الناطقة بلسان الحزب العلمانى فى مصر إن صح التعبير .

---

(١) من بنجلاديش وقد طلبت حق اللجوء إلى إحدى الدول الغربية فاحتضنها النمسا ، ونظراً لكتاباتها المعادية للإسلام منحتها النمسا وسام أحسن كاتبة أدبية لأنها برعت فى سب الإسلام والمسلمين مثل زميلها فى الكفاح سلمان رشدى الذى أخذت روايته آيات شيطانية أحسن نص أدبى من إنجلترا .

مجالات نشر العلمانية ووسائلها

من أهم المجالات التى ركز عليه العلمانيون لنشر دعوتهم هى :

- **الأول** : التعليم .
- **الثانى** : الإعلام .
- **الثالث** : القانون .

التعليم والفكر العلمانى :

مما لا شك فيه أن التعليم أهم وسيلة من وسائل الرقى لأى أمة من الأمم ولذلك فإن الإسلام فى نصوص كثيرة قد أكد على هذه الحقيقة بل أنه من أول لحظة نزل فيها الوحى كان التعليم والقراءة .

ولم يكن التعليم فى الإسلام قاصراً على الأمور الدينية فقط بل إهتم أيضاً بالنواحى الدنيوية .

وحين دخلت العلمانية الساحة الإسلامية كان أهم مجال إرتكزت عليه هو التعليم ومن أجل هذا فقد استخدمت عدة وسائل لنشر هذه الأفكار فى الحقل التعليمى ومن هذه الوسائل :

(١) حصار التعليم الدينى :

وكان لهذا الحصار عدة مظاهر منها :

أ – الحصار المادى : وذلك عن طريق نشر العلم اللادينى وتنميته وتشجيعه ثم بتضييق الموارد المالية على التعليم الدينى وإغداقها على التعليم اللادينى .

ولعل من ينظر إلى ما ينفق على مؤسسات دينية كـالأزهر والأوقـاف مقارنة بما ينفق على بعض المؤسسات اللادينية مثل الجامعة الأمريكية يدرك مدى إهتمام الدولة بالتعليم اللاديني .

ومن ينظر إلى مباني مؤسسات دينية مثل كليات أصول الـدين مـثلاً وجامعة الأزهر بصفة عامة ويقارن بينهما وبين مباني الجامعـات الأخـرى يدرك مدى الفرق الواسع بينهما .

بل إن ما حدث أيام الزلزال في عام ١٩٩٢ م وما حدث مـن تطـوير لمدارس الجمهورية في حين لم تذكر المعاهد الأزهرية ن يشير إلـى مـدى الإهمال التي تلاقيه المؤسسات الدينية هذا من ناحية المباني .

ومن ناحية القائمين على التعليم الديني فلم يزل مـدرس الأزهـر فـي المرتبة الدون مقارنة بزملائه في المؤسسات الأخرى ، وهذا الوضع قد دفـع مدرسي الأزهر للقيام بإضراب عام مطـالبين بمسـاواتهم بـزملائهم فـي المؤسسات الأخرى .

وهذه أمثلة كلها تشير من بعيد إلى مدى التغلغل للفكر العلمـاني فـي حقل التعليم .

ب - **الحصار المعنوي :** وهذه ناحية على جانب كبير من الأهمية حيث يركز العلمانيون على أسلوب التنفير والسخرية من طالـب التعلـيم الـديني وأستاذه والتفرقة بين أساتذة الدين وأساتذة المواد الأخرى [١] .

وأقرب مثال على ذلك تلك الصورة المشوهة لمدرس الدين في المدارس يليه في المهانة مدرس اللغة العربية .

---

(١) كان للإعلام – خاصة التلفزيون – الدور البارز في هذا الوضع المتردي للتعليم الديني .

هذه الصورة لم تأت فجأة ولكنها نتيجة لخطة مدروسة محكمة مقصودة لدرجة أنه تولد عند الناس انطباع بأن شخصية مدرس الدين شخصية مهينة ليس لها دور فى الحياة ولا فى مجال التعليم .

وقد ساعد على تردى هذا الوضع أن التربية الدينية لا تحسب درجاتها فى المجموع النهائى للطالب .

ثم إنه – من الملاحظ – مثلاً أن المناصب المتميزة معدومة أمام خريجى التعليم الدينى بخلاف خريج المؤسسات الأخرى فإن أمامهم المناصب عديدة .

وهذا يرسب فى دائرة اللاشعور نوعاً من التنفير من الدين والإقبال على غيره فالأزهرى ليس له حق دخول كلية الشرطة مثلاً (١) .

كما أننا لا نكاد نسمع عن وزير أزهرى مع أنه من المعلوم أن جامعة الأزهر بها نفس الكليات التى تخرج منها الوزراء (٢) .

(٢) البعثات الخارجية :

والمقصود بها : إيفاد الطلاب المسلمين إلى دول غير إسلامية فى صورة بعثات وقد أدى هذا الإبتعاث فى الغالب إلى نتائج خطيرة أهمها :

أ – زيادة جهل الطالب المبعوث بدينه ومثله وقيمه وتقاليده .

---

(١) لقد تم فتح الباب أمام طلاب المعاهد الأزهرية مؤخراً .

(٢) مع كل ذلك فإن الإقبال على الأزهر فى تزايد مستمر وبناء المعاهد الأزهرية فى المدن والقرى فى اضطراد متزايد نتيجة للجهود الذاتية وهذا يشير إلى حفظ الله لهذا الدين مهما كانت المعوقات .

ب – إنطباعه بعادات وتقاليد جديدة فى مأكله ومشربه وملبسه نتيجة انبهاره بالحضارة الغربية .

ج – محاولة تطبيق هذه العادات والتقاليد الهدامة بعد عودته من الخارج فيكون بذلك أحد أعوان العلمانيين وأخطرهم شأناً وتكمن الخطورة فى أن البعثات الآن قد تكون فى سن المراهقة – أى بعد الثانوية – وهى أخطر مرحلة سنية للإنسان ، ينتقل الشاب فى هذا السن من مجتمع مغلق بحدود وأحكام إلى مجتمع مفتوح متحلل فيكون من السهل والحاله هذه أن ينزلق الشاب فى مهاوى الرذيلة خاصة فى غياب الوالدين عن هذا المبعوث [١] وأقرب مثال لهذا النوع من الإنحراف بعد الإبتعاث ، الدكتور / طه حسين الذى قد أشرب فى قلبه حضارة الغرب لدرجة أنه كثيراً ما نادى بأن مصر ليست شرقية بل هى أقرب إلى الغرب منها إلى الشرق ، إذ أنها تنتمى إلى دول حوض البحر الأبيض المتوسط .

(٣) تمييع المناهج الدينية بإسم التطوير :

فقد نادى اللورد كرومر المندوب البريطانى فى مصر بتطوير الأزهر كما نادى بذلك المبشرون وكذا غيرهم من المصريين مثل طه حسين ، وبهذا التطوير أيضا زاحمت العلوم المدنية علوم الدين ، بل الأدهى من ذلك أن خبراء التطوير يحذفون بعض الفصول التى تتحدث عن صلاح الدين الأيوبى ثم يوضع مكانها فصولا عن أحد قدماء المصريين . [٢]

---

(١) انظر – موقف الإسلام من التيارات المعاصرة ص ٤٤ .

(٢) من بريد الاستزادة فليقارن بين كتب ماقبل التطوير وما بعد التطوير مع ملاحظة أن وزارة التربية والتعليم قد استعانت فى مجال التطوير بخبراء من أمريكا ، والأيام لازالت حبلى بما تخبؤه خطة الشرق الأوسط الكبير والجديد .

(٤) انتشار المدارس الأجنبية فى البلاد الإسلامية :

فقد انتشرت المدارس التى قد تهدف فى النهاية إلى إخراج المسلمين من إسلامهم .

وأقل أضرارها ازدراء اللغة العربية وتمجيد اللغة الأجنبية مما يترتب عليه ازدراء الدين خصوصا إذا ماتعمدوا سوء الاختيار لرجل الدين وإظهاره فى صورة غير لائقة ليدرس فى تلك المدارس .

ولا يقتصر الأمر على انتشار المدارس بل تعدى الأمر إلى إنشاء الجامعات كالجامعة الأمريكية ، وجامعة سنجور بالأسكندرية ، ولقد حذر العلماء من الدور المشبوه التى تقوم به هذه الجامعات ولكن لا حياة لمن تنادى .

(٥) الاختلاط بين الجنسين فى مراحل التعليم :

وقد بدأ به العلمانيون فى الجامعات بدعوى التقدم والمدنية ونشر الروح الجامعى .

وكأن التقدم والمدنية لاتكون إلا عن طريق إثارة الغرائز ، بل لم يقتصر الأمر على المرحلة الجامعية بل توسعوا فى أمر الاختلاط فى المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية .

ومما يؤسف له أن بعض العلماء قد أصدر فتوى يبيح فيها الاختلاط بين الجنسين مالم تؤدى إلى فتنة ، مع أن الاختلاط أحد أسباب الوقوع فى تلك الفتنة . (١)

---

(١) أتحدى لو وجدت عزيزى القارئ مسلسلاً يتحدث عن مشاكل التعليم الجامعى دون أن يكون مشحونا بالعلاقات العاطفية بين الشباب .

(٦) محاربة المظاهر الإسلامية :

فى زمن يتشبث فيه بأذيال الحرية نجد القائمين على أمر التعليم يحدون من تلك الحرية خاصة فى مسألة الحجاب بدعوى أن ذلك يؤدى إلى التطرف والإرهاب .

مع أننا لم نر مثل هذه القرارات تصدر ضد المتبرجات الذين لا يفرقون بين مؤسسات التعليم وبين كازينوهات على شاطئ النيل .

هذه هى أهم الوسائل التى عن طريقها انتشرت الأفكار العلمانيـــة فـــى المجال التعليمى فى الدول الإسلامية ز

وقبل أن نترك مجال التعليم وحتى يتضح لنا مدى صدق كلامنا ســوف نذكر مثالاً لأحد العلمانيين وتصوره لخطة التعليم فى مصر خاصــة التعلــيم الدينى .

يذهب أحد المفكرين العلمانيين [١] فى أحد أبحاثــه الــذى تقــدم بهــا للمشاركة فى مؤتمر تطوير التعليم فى مصر والذى عقد فى ســبتمبر ســنة ١٩٩٣ م .

يذهب هذا الباحث إلى أنه يجب على الدولة مجابهة مد التطلاف الدينى فى البلاد . وذلك لايكون إلا عن طريق تطوير التعليم الدينى فى مصر خاصة وأن مصر بلد مزدوج الديانة يعيش فيها مسلمون ومسيحيون ، وعلينا إذا أن نواجه المد الدينى بالأسلوب التالى :

---

(١) الدكتور رشيد العنانى الأستاذ بجامعة اكستر وقد شارك فى أعمال مؤتمر تطوير التعليم فى مصر ببحث عنوانه (تعليم الدين فى المدارس المصرية) .

١ – غرس مبادئ التسامح وتعليم المواطنين فى حداثة أعمارهم احترام غيرية الآخرين بصفة عامة وأديانهم بصفة خاصة .

٢ – النظر إلى الأديان جميعا على قدم المساواة بجانب الدين الإسلامى ، وليس باعتبار هذه الديانات الأخرى ضلالات أو أباطيل .

٣ – يرى هذا الدكتور أن مصر لن تنهض إلا على أساس مستوحى من عبارة (غاندى) الذى يقول فى عبارته الشهيرة (أنى أعتبر نفسى هندوسيا ، ومسيحيا ، ومسلما ، ويهوديا ، وبوذيا ، وكنفوشيوسيا) .

٤ – كما يرى هذا الرجل أن الديانات كلها بما فيها الإسلام ليست إلا ظواهر حضارية فقط وليست رسائل إلهية . حيث يقول :

أن التلميذ المصرى يجب أن يدرس ديانته فى سياق ديانات أخرى ، يجب أن يتعلم أن الدين ظاهرة حضارية واكبت حياة الإنسان على الأرض ، ويجب أن يتعلم أن الحضارات المختلفة ديانات مختلفة ، وأن الديانات انتقلت من البساطة إلى التعقيد ومن محدودية التوجه إلى قبيلة إلى الجمهور البشرى .

معنى ذلك أن الدين الإسلامى لم يكن دين عالمى فغى أول أمره بل نزل على العرب وأن أتباعه بعد ذلك هم الذين زعموا أنه للبشر جميعا .

٥ – على الدولة أن ترسخ فى وعى هذا التلميذ أن ليس من النافع لأحد ولا من اللائق بالإنسان الاعتقاد بأن غيره كافر ، وأن إسلامه وحده هو الصحيح .

٦ – ليس من اللائق أن نصف الديانات الثلاثة بالديانات السماوية لأن هذا التعبير ينطوى على امتهان للديانات الأخرى .

٧ – ليس من اللائق أن نتعالى بديننا على الديانات الأخـــرى ولـــو كانـــت وثنية .

بأى شرعية يمكن أن نجيز هذا التعالى على معتقدات شعوب بأسرها ؟ معنى ذلك أن هذا الرجل لا يفرق بين دين سماوى ونحلة وضعية ، لأن الكل فى تصوره واحد من حيث حقيقتهما [١] وهذا مثال يشير إلى تغلغـــل الفكـــر العلمانى فى ساحة التعليم .

الإعلام والفكر العلمانى :

إن الغزو الفكرى العلمانى لم يقف عند مناهج التعليم فحسب فى حريـــة مع الإسلام ، وإنما تعدى ذلك إلى أداة أخرى لا تقل خطراً إن لم تكن أخطر ، وهى وسائل الإعلام على تنوعها وإختلافها .

والدليل على خطورة الأعلام فى هذا الاتجاه أن محـــيط التوجيـــه مـــن خلاله أشمل فدائرة التأثير أوسع وأعم .

فإذا كان التعليم – مثلا – يخاطب الألوف بمناهجه فإن الأعلام يخاطب الملايين ببرامجه فهناك سذج تؤثر فيهم الكلمة منظورة كانت أو مسموعة أو مقروءة . ولقد أدرك العلمانيون ما لهذه الوسائل الإعلامية من خطورة لـــذلك استعملوها لغزوهم الفكرى المنظم **وأهم هذه الوسائل هى :**

١ – الكتب والمجلات والصحافة :

لعل وسيلة الكتاب تعد من أقدم المجالات التى حاولت العلمانية النفـــوذ من خلالها إلى العالم الإسلامى . خاصة بعد أن وظفوا لهذا الغرض بعـــض رجالات الفكر .

---

(١) نشر هذا البحث فى مجلة الهلال عدد مارس ١٩٩٤ م ص ٧٥ إلى ص ٨٤ .

❁ فالمتأمل كتاب الشيخ على عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) يجد دون عناء الفكر العلمانى متغلغل فى ثنايا هذا الكتاب ، وذلك حين يراه يدعو صراحة بفصل الدين عن الدولة ، وسواء تراجع الرجل عن أرائه أم لا فإن الهدف هو مايحتويه الكتاب .

❁ وكتابات طه حسين الداعية إلى محاولة غدماج الشرق الإسلامى بالغرب الأوربى ، ودعوته فى هذه الكتابات إلى تطوير الأزهر بحيث يتفق والنظم الغربية .

❁ وقاسم أمين وسلامى موسى ، وشبلى شميل فى كتاباتهم التى تدعو إلى إحلال الفكر العلمانى محل الدين فى توجيه الناس .

❁ ولا يمكن إغفال دور الصحافة فى محاولة إرساء قواعد الفكر العلمانى وخاصة جريدتى الأهرام والجمهورية ، كما لايمكن إنكار مجلة روز اليوسف التى تعد المتحدث الرسمى لرجال العلمانية ، وهم لا يحاولون إخفاء هذه التهمة بل يعترفون بأنهم علمانيون ويتشرفون بهذا الانتساب .

❁ وما تقوم به الهيئة العامة للكتاب من محاولة إعادة طبع كتب قدامى العلمانيين تحت مايسمى بسلسلة كتب التنوير ، هى خير شاهد على أن الكتاب أحد الروافد التى تنفذ من خلالها العلمانية إلى الساحة الإسلامية . كذلك من يقرأ مجلة (إبداع) ومجلة (فصول) ومجلة (القاهرة) وغيرهم يدرك مدى صدق هذا الكلام .

❁ ولقد كان للصحف الموالية للاستعمار دور كبير فى تربية الشعب على الطريقة التى أرادها المستعمر إذ كانت تعمل دائبة على إقناع الناس بضرورة احترام المحتلين ، ويطالبون الشعب بالارتباط بالحياة الأوربية .

ومنذ دخول العلمانية إلى الشرق مع الاستعمار قام بتنفيذ مخطط الاستعمار فى هذا المجال الصحفيون أمثال يعقوب صروف ، وشاهين مكاريوس وباقى محررى جريدة المقطم ، ومن الصحف التى ساهمت فى نشر العلمانية مجلة اللطائف وصحيفة المقتطف .

وقد كانت جريدة المقطم الجريدة الناطقة بلسان حال الإنجليز فى السياسة والاقتصاد وتعويد المصريين على تقبل كل ماهو غربى وترسيخ الإيمان به . (١)

٢ – الإذاعة والتليفزيون :

مما لاشك فيه أن العالم اليوم أصبح أمام التليفزيون أشبه بقرية صغيرة فقد زالت الحدود والحواجز أمام هذا الجهاز الخطير الذى يخاطب المتعلم وغير **المتعلم** ، الصغار والكبار معا .

وقد حرص العلمانيون أن يشكلوا هذا الجهاز وفق قيم ومناظر بعيدة عن الدين **حيث** تقوم على إشباع الشهوة ، والملاحظ أن كثيراً من برامج هذا الجهاز **يفسد** ولا يصلح ، يهدم ولا يبنى .

فالأفلام التى تثير الغرائز ، والسخرية من الدين ورجال الدين والعمل على هدم القيم كل ذلك واضح وضوح الشمس .

والمسلسلات التى تدعو إلى التحلل من القيم والمبادئ ومحاربة المظاهر **الإسلامية** ، فلا تكاد ترى صاحب لحية – وهى رمز من رموز التدين – ألا وهو متطرف يدعو إلى العنف .

---

(١) انظر لذلك كتاب الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال ص ٩٦ ، ٩٧ .

وقد حذت وسائل الأعلام الغربى حذو وسائل أعلامنا حيث تحاول أوربا بوسائل أعلامها تشويه صورة الدين الأسلامى وأظهار المسلمين علـــى أنهــم رعاع همج دمويون لا يعرفون عن التحضر شيئا . (١)

٣ – السينما والمسرح :

لاشك أن مجال التأثير فى السينما والمسرح قليل إذا ماقورن بالتليفزيون نظرا لقلة المترددين على السينما والمسرح ، ولكن التركيز علـــى الانحـــلال والأباحية فيهما أوضح .

ومهما قيل عن التمثيل ودوره فى رقى الشعور ومحاولـــة أظهـــار أن الفنان صاحب رسالة سامية ، مهما قيل وتردد هذا الكلام فـــالواقع يقـــول أن طائفة الفنانين عامل أساسى من عوامل تحلل المجتمع وانهيـــاره أخلاقيـــا ، وعلى الرغم من أن هؤلاء المشتغلين بالتمثيل أحد أبواق العلمانيـــة ، وعلـــى الرغم من أنهم يمثلون الجانب السيئ لوجه المجتمع مع ذلـــك فـــأنهم نجـــوم المجتمع ورموزه الشامخة التى يحتفل بهم فى كل مناسبة ، فالمغنية فى وسط الجو العلمانى هى كوكب الشرق ، والممثل المتحلل هو نجم من نجوم المجتمع وليس رجل الدين أو عامل المصنع الذى ينتج ليلبس هذا النجم .

ويظل الأعلام يحتفل بهـــذا الممثـــل بعـــد وفاتـــه إلـــى أن يـــرث الله الأرض. (٢)

---

(١) زادت الحملة على الإسلام والمسلمين بحجة الحرب على الأرهاب بعـــد أحـــداث الحـــادى عشرين سبتمبر ٢٠٠١م .

(٢) من باب الاستطراد . نذكر أن مصر قد حصلت على صفر فى استفتاء مونديال سنة ٢٠١٠ لاعتمادها على وفد أغلبه من الفنانين الذين يساوون صفر أمام رجل مثل مانديلا .

وهكذا فالأعلام بجميع روافده يحاول تطبيق الفكر العلمانى بكل ما أوتى من قوة . [١] لكن الحقيقة التى يجب الاعتراف بها أن أغلب المجتمع لا يعبأ بتلك الأفكار ولا ينجر وراءهم وذلك لأن أغلب المجتمع قد أشرب فى قلبه التدين ولذلك من الخطأ أن نقول أن المجتمع علمانى ، أو أن ننزلق إلى هوية تكفير المجتمع ، ومع ذلك فلابد وأن نعمل للحد من خطورة التيار العلمانى حتى لا نندم حين لا ينفع الندم .

---

(١) من المناسب أن نذكر هنا كلمة بمناسبة عرض التليفزيون المصرى لفيلم (أبى فوق الشجرة) بمناسبة إحياء ذكرى عبد الحليم حافظ فنقول : أكثر من ٨٤ قبلة حرام سفاح تبادلها المغفور له مع الفنانة الوطنية المناضلة . .

وبعد أكثر من ربع قرن من الزمان قرر التليفزيون المصرى عرض الفيلم الخليع مواساة لنساء البوسنة اللاتى اغتصبن بشكل جماعى رأى السادة المسئولين المسلمون فى الأعلام المؤمن أن أحداث الفيلم مناسبة جداً للأحداث . وكان الشباب يحصون قبلات البطل مع البطلة واختلفوا هل هى ٨٣ أم ٨٤ قبلة ؟ وليضحك أولياء الشيطان على أمة أمرت بغض البصر حتى عن كعب المرأة الأجنبية . كل الكوارث التى تحيط بألمة الأسلامية لم تحرك ساكنا فى دم أعلامنا ليس لأنه أعلام قوى لا تحركه ، وإنما لأنه أعلام بلا دم بلا ذوق بلا عقيدة بلا أخلاق .

وهذه حقيقة يعانى منها كل من يشاهد برامج ومخازى الأعلام الذى يرى أن مواجهة البث المباشر لا تكون بالتربية بل بمزيد من المسلسلات العارية والجرعات الجنسية المتدرجة حتى يتعود المشاهد المسلم فلا يصدم بما يأتى من الغرب .

ألم يحذر الدكتور مصطفى محمود أكثر من مرة من أذاعة مسلسل (الجرئ والجميلة) لأنه يتنافى مع سلوك الحيوان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

بل أن المؤسف والمؤلم أن تدك حصوننا فى العراق وأفغانستان ، ويوشك الأقصى أن ينهار ولا زال أعلامنا المحترم يدغدغ عواطفنا بعرض مسرحيات هابطة داعرة تتفنن فيها البناء بأظهار أجسادهن ، كل ذلك لأن مصر هى كعبة الغن .

فأننا لو تركنا الأمر هكذا لتسربت الأفكار العلمانية إلى كل المجتمع ، بل لابد من العمل الجاد تجاه تلك الغزوة الفكرية للعلمانية ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وأهم الوسائل لمقاومة هذا الفكر المنحرف فى حقل الأعلام :

١ – إنشاء لجان علمية متخصصة لرصد الكتب والروايات والمجلات التى تحمل تلك الأفكار ثم كشفها والرد عليها ومحاولة تحذير المجتمع منها كل ذلك بعيداً عن العنف لأن الفكر لا يواجه إلا بالفكر ، ثم أنه ليس لنا سلطة سوى الرد على الفكر بالفكر ، وهو مايقوم به الأزهر .

٢ – إدخال مادة الغزو الفكرى – علمانى وشيوعى ووجودى – كمقرر يدرسه جميع الطلاب فى المرحلة الثانوية والجامعية بمعرفة هذا الخطر الداهم الذى يهدد كيان المجتمع عقائديا وأخلاقيا ، ولا تقتصر هذه الدراسة على طلاب كلية أصول الدين .

٣ – الدعوة الفردية وذلك من خلال الاعتماد على الذات وذلك عن طريق بيان خطر هذا الفكر وذلك ببيان مثل الأسلام ومفاهيمه وقيمه .

٤ – التربية الإسلامية الصحيحة للنشأ والتى يمكن بها خلق جيل يعرف أمور دينه ، ولذا فلن يتأثر بالفكر العلمانى الذى يأتيه عن طريق وسائل الأعلام المختلفة .



العلمانية والقانون

بعد أن دخلت العلمانية مصر عن طريق الحملة الفرنسية – كما مـــر – وتلقفها محمد على وأسرته ، وانتشرت العلمانية فى الأوساط الثقافية ولم يبقى سوى القانون . جاء (الخديوى إسماعيل) فألغى المحاكم الشرعية ، وفصـــل بذلك بين المسلمين وبين الشريعة ، ثم ترجم رفاعـــة الطهطـــاوى القـــانون الفرنسى سنة ١٨٦٣ م . ومن هنا بدأ التشريع العلمانى يتقدم وينحصـــر دور الشريعة الإسلامية .



المبحث الرابع
موقف الإسلام من العلمانية

موقف الإسلام من العلمانية

قبل أن نتناول موقف الإسلام من العلمانية والعلمانيين علينا أولاً أن نوضح فى إيجاز :

هل هناك مبرر لوجود العلمانية فى الساحة الإسلامية ؟ وما الفروق الجوهرية بين الديانة الإسلامية والمسيحية المنحرفة ؟

وهل العلمانية ثبتت أقدامها وألغت المسيحية فى الغرب أم أنها سقطت مثلها مثل الشيوعية ؟

هل هناك مبرر لوجود العلمانية فى الساحة الإسلامية ؟

قد سبق القول بأن العلمانية نشأت فى أوربا كرد فعل للطغيان الكنسى ثم صدرها الأوربيون إلى العالم الإسلامى بداية بمصر عن طريق الحملة الفرنسية ، ثم المغرب العربى عن طريق الاحتلال الأنجليزى ووصلت تركيا عن طريق الحلفاء الذين حاولوا بكل وسيلة إسقاط الخلافة الإسلامية والتى كان مقرها تركيا .

معنى ذلك : أن الفكر العلمانى فكر مستورد ليس من صميم الإسلام ولا من بنات أفكار أتباعه ، ومن الواجب أن ننظر إلى أى بضاعة وافدة نظرة الفاحص المدقق من ناحية حاجتنا إلى هذه البضاعة من عدمها والحكمة ضالة المسلم متى وجدها فهو أحق الناس بها بشرط أن لا يتعارض هذا الوافد مع أصول الدين .

والناظر إلى العلمانية – على هذا الأساس – يجد فى وضوح أن العالم الإسلامى فى غنى تام عنها ، خاصة وأنها جلبت الشقاء والضياع فى أى بلد طبق هذا الفكر العلمانى .

ونكرر القول بأن العلمانية رد فعل خاطئ لدين محرف وأوضاع خاطئة كذلك وأنها نبات نكد خرج من تربة خبيثة ونتاج سيئ لظروف غير طبيعية .

فأوربا قد ابتليت بالكنيسة المتجبرة وديانتها المحرفة وطغيانها الأعمى وصارت أحقابا من الدهر تتعسر فى ركابها ثم انتفضت عليها وتمردت على سلطانها ، ولكنها انتقلت إلى انحراف آخر وصارت فى خط مضاد إلا أنه أعظم خطرا وأسوأ مصير .

ولم يكن عند هؤلاء الثائرين من الصبر والمثابرة على التفكير والعقل والاجتهاد مايميزون به بين الدين وبين رجاله المحتكرين لزعمامته ويفرقون بين مايرجع إلى الدين وما يرجع إلى رجال الكنيسة من جمود وجهل واستبداد .

فكان من المفروض أن لا ينبذوا الدين بالكلية ولكن للأسف فإن الحقيقة هو أن بعض رجال الدين والاستعجال لم يسمح بالنظر فى أمر الدين والتمهل فى شأنه ولم يكن عندهم من صدق الطلب والنصيحة لأنفسهم وأمتهم مايجعلهم يتمهلون فى رد فعلهم . (١)

فانتقلت أوربا من جاهلية تلبس مسوح الدين إلى جاهلية ترتدى مسوح التقدم والتطور ، وهربت من الطغيان الدينى إلى الطغيان اللادينى كالوجودية والشيوعية وخلافه .

وكان المفروض أن يتجه رجال الإصلاح من الثورة على الطغيان الكنسى ورجال الكنيسة إلى التدين الصحيح ولكن لم يحدث ذلك بدليل أنهم كانوا يقولون : ليس المهم أين نهرب ، ولكن المهم كيف نهرب ؟

---

(١) انظر كتاب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٥٨ .

ومع ذلك فإن الانتقال من هذه الجاهلية التى تلبس مسوح الدين والهروب إلى جاهلية اللادين هذا الانتقال جاء نتيجة ظروف نابعة من واقع الحياة الأوربية خاصة .

فإذا وجدنا مجتمعا آخر يختلف فى ظروفه عن ذلك المجتمع فليس هناك مبرر لأن ينتهج النهج العلمانى خاصة والظروف تختلف فما بالنا إذا كان هذا المجتمع الآخر يملك الدين الصحيح الذى يختلف تمام الاختلاف عن دين المجتمع الأول .

وقد قلنا أن الدين فى الكنيسة قد اعتراه التحريف فى العقيدة والشريعة ، كما أن الطغيان الذى يعد أحد أسباب نشأة العلمانية قد خلت منه الساحة الإسلامية .

أولاً : من ناحية التحريف فى العقيدة :

التثليث : ليس تحيزا ولا مبالغة أن نقول : ليس من دين ولا ملة على وجه الأرض أيسر فهما وأعظم اتساقا مع الفطرة وموافقة للعقل من العقيدة الإسلامية فهى الفطرة ذاتها التى يعد ماعداها انحرافا وضلالا ، ولذا يقول الله تعالى : ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾ (١) .

هذه العقيدة الفطرية تشرحها سورة الإخلاص فى قول الله تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ . وكذا قوله تعالى : ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ** ﴾ .

---

(١) سورة الروم : آية ٣٠ .

وهذه وحدانية سهلة غير معقدة تنشرح بها النفس البشرية بطريقة تلقائية ليس فيها تثليث ولا أقانيم ولا أبوة ولا بنوة ، وهذه البساطة الموجـودة فـى العقيدة هى التى تجذب اهتمام دارسى الإسلام من أول لحظة وتدفع من كتبت له الهداية إلى نفض ماعلق بفطرته من ركام ، والدخول فى ديـن الله بكـل طمأنينة ذلك أن أول مايستشعره القلب والعقل أمام العقيـدة الإسـلامية هـو الاستقامة والبساطة والوضوح . . . وهذه السمة التى تجذب الأفـراد الـذين يدخلون فى هذا الدين من الأوربيين والأمريكيين المعاصـرين لأنهـا سـمة الفطرة التى يشترك فيها الناس أجمعين .[١]

والعجيب فى قضية التثليث فى المسيحية أن تنسـب أوربـا العلمانيـة الفضل فى إنكارها إلى فلاسفة عصر التنوير مثل (فولتير) و (توم بين) . هذا فى حين أن الإسلام سبق إلى نقض هذه العقيدة وإبطالها ليس من خـلال تنفيره العام من الشرك وإنكاره المطلق فحسب بل أفرد الحديث عنها استقلالا وفصله من وجوه منوها بأنها عقيدة وثنية قديمة ، وهى الحقيقة التى لم تعرفها أوربا إلا بعد ظهور علم مقارنة الأديان الذى يعد من أحدث علومها النظرية . قال الله تعالى : **﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّه وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّه ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾**[٢] .

إذاً هناك فرق بين عقيدة يقول أصحابها عنها إنها للاعتنـاق وليسـت للاقتناع وبين عقيدة يقول دستورها **﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّـهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾** الآية وهى دعوة صريحة لإعمال العقل .

---

(١) خصائص التصور الإسلامى ص ٢٢٨ .

(٢) سورة التوبة : آية ٣٠ .

وبالنسبة للأناجيل : فإن التنافس واضح جلى مما يشير إلى تحريف هذه الأناجيل . (١)

أما القرآن فإن سلامته من التحريف والتبديل والتغيير وحفظه بنصه الكامل أمر مقطوع به لا يمارى فيه إلا مكابر وذلك كله تصديقا لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢) .

وقد ذكر الإمام البيهقى قصة رجل يهودى دخل على المأمون فتكلم فأحسن الكلام – فدعاه المأمون إلى الإسلام فأبى فلما كان بعد سنة جاء مسلما فقال له المأمون : ماكان سبب أسلامك ؟ قال الرجل : انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن الأديان فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت منى وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها وأدخلتها الكنيسة فاشتريت منى . وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ فيها نقص وزيادة وأدخلتها الوراقين فتصفحوها فلما أن وجدوا بها الزيادة والنقصان حرقوها ولم يشتروها فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامى . (٣)

معنى ذلك أن القرآن الكريم وهو دستور الإسلام الأول يختلف عن الأناجيل التى نالت قسطا كبيرا من التحريف ، كما قال الله ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٥٦ .
(٢) سورة الحجر : آية ٩ .
(٣) كتاب الخصائص الكبرى ج٣ ص ١٢٨ .
(٤) سورة آل عمران : آية ٧٢ .

ثانياً : بالنسبة للشريعة :

ذلك أن الكنيسة قد فصلت الشريعة عن شئون الحياة وقصرتها على طائفة مخصوصة بخلاف الإسلام المحفوظ من قبل الله .

ثم أن هناك فترات اضطهاد مرت بالمسيحية حالت بينها وبين التطبيق بخلاف الإسلام .

فالرسول ﷺ لم يلحق بالرفيق الأعلى حتى كانت للإسلام دولة استمرت وظلت تنمو وتتسع إلى أن أنضوى تحت لوائها كثير من الأمم .

وهكذا لم تتعرض الشريعة الإسلامية لاضطهاد يذهب معالمها ويطمس حقائقها ويجعل تطبيقها فى واقع الحياة أمرا مستحيلا كما حدث للنصرانية هذا بالنسبة للخارجى .

أما بالنسبة للعوامل الذاتية فإن الشريعة الإسلامية قد سلمت من عبث العابثين وتحريف المبطلين .

فالقرآن – كما سبق – أمر حفظه مشهور .

وأما السنة فسلامتها وحفظها معجزة من معجزات هذا الدين حيث قيض الله لها رجالا يستظهرون مئات الألوف من الأسانيد والأحاديث عيبا . (١)

كما استنبط المسلمون علما لا نظير له بين الأمم السابقة وهو علم مصطلح الحديث . (٢)

ونتيجة لهذا الضبط والدقة كان العلماء يعرفون لأول وهلة الأحاديث الموضوعة من غيرها .

---

(١) وباء العلمانية ص ٥٩ – ٦٠ .

(٢) السابق .

وقد روى أن زنديقا جاء إلى الرشيد فأمر الرشيد بقتله فقال يا أمير المؤمنين أين أنت عن أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم . أحرم فيها الحلال وأحلل فيها الحرام ما قال النبى منها حرفا واحدا .

فقال الرشيد : أين أنت يازنديق عن عبد الله بن المبارك وأبى إسحاق الغزارى ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا . (١)

ثالثاً : السلطة الكهنوتية :

لاوجود لها فى الإسلام ذلك أن الإسلام إنما أنزله الله لتحرير العباد وإخراجهم من عبودية العباد إلى عبادة رب العباد وحده ، وطاعته سبحانه دون سواه فى التلقى والاتباع ، وفى المنهج والسلوك .

ولهذا جاءت نصوص القرآن صريحة فيما يتحرك بصرف أى نوع من أنواع العبادة لغير الله مهما كانت رتبته حتى ولو كان نبيا مرسلا أو ملكا مقربا . يقول الله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ۞ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ (٢) .

ويعد هذا فارق جوهرى بين الإسلام والنصرانية التى مثلتها الكنيسة والقرآن الكريم يشير أثناء دعوة النصارى – ومعهم اليهود إلى أن النصارى كانت تتخذ رجال الكنيسة مشرعا لهم فى الأوامر والنواحى فى الأصول والفروع .

---

(١) تحذير الخواص للسيوطى ص ١٦٣ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٧٩ ، ٨٠ .

ودليل ذلك أن رسول الله ﷺ أرسل كتابا إلى هرقل عظيم الروم يقــول له : (١) من محمد بن عبد الله ورسوله إلى عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . . وبعد :

فإني أدعوك بدعاية الإسلام . اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مــرتين فــإن توليت فإنما عليك أثم الأريسيين قال تعالى : ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَــالَوْا إِلَــى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُــنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

ومن المعلوم أن ليس أحد فى الجانب الإسلامى يتخذ أحدا ربا من دون الله ولكن الله أمر نبيه بأن يقول : ﴿ وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًــا ﴾ ، كمــا أمره بأن يقول : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ .

وذلك أيضا تعريض واضح بأن النصارى يعبد بعضهم بعضــا وأن الله تعالى يدعوهم إلى الإسلام الذى ينفى مثل هذا الأمر .

فالمسلم أمامه الكتاب والسنة بعد ذلك إذا كان للمسلمين من عمل فإنمــا هو إجتهاد واستنباط ونظر فى النصوص الشرعية المســتوحاه مــن هــذين المصدرين ولكن هذا الإجتهاد ليس تشريعاً مستقلاً .

وعندما اختلف بعض الصحابة مع ابن عباس رضى الله عنهمــا فــى مسألة متعه الحج احتجوا بفعل أبى بكر وعمر فقال ابن عباس يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء : أقول : قال رسول الله ﷺ وتقولــون قــال عمــر وأبو بكر .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) سورة آل عمران : آية ٦٤ .

رابعاً : **الطغيان الكنسى لا وجود له فى الإسلام :**

أن الطغيان الكبير الذى مارسته الكنيسة على رعاياها وكان أحد أسباب العلمانية ليس له أثر فى الإسلام .

فالطغيان الدينى كما سبق ، الذى يحتكر تعاليم الوحى ويحرف ألفاظها ومعانيها ويحتكر تفسير النصوص لم يوجد له نظير فى الإسلام .

والطغيان السياسى ، ذلك الذى يستذل الحكام لأشخاص رجال الدين ويعرض الشعوب لطائلة عقوبة الحرمان بسبب نزوة غضب تعترى أحد البابوات لم يوجد له نظير فى الإسلام .

والطغيان الاقتصادى الذى يتحكم فى موارد وأرزاق البشر ويستذلهم بالعمل المجانى أو يفرض الضرائب الباهظة كل ذلك لحساب البابا وحاشيته والذى قد نبه إليه القرآن قبل الثورة على الإقطاع فى أوروبا : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل . . . الآية ﴾** وهذا ليس له نظير فى الإسلام [١] .

خامساً : الصراع بين الدين والعلم لا وجود له فى الإسلام [٢] :

فلقد سبق القول بأن الكنيسة ورجالها وقفوا حجر عثرة أمام العلم والتقدم العلمى وأقاموا محاكم تفتيش لإحراق العلماء أحياءا وطاردوا الباحثين

---

(١) أبو بكر الصديق بعد أن تولى الخلافة أراد أن يذهب إلى السوق ليعمل ليكسب قوت نفسه وأولاده ومن قبله رسول الله الذى حرم الله عليه وأهل بيته الأخذ من الصدقة ، والتاريخ الإسلامى يحدثنا أن علماء الدين كان يحترفون المهن من أجل إعالة أنفسهم وأهليهم حتى لا يضطروا إلى التنازل عن آرائهم وبيع فتاواهم .

(٢) سوف نعطى هذه النطقة حظها من التفصيل لأن على فرض أن العلمانية مأخوذة من العلم كما يزعم البعض فإن الإسلام لا يعارض العلم بل يتوافق معه .

التجريبين وكانوا يكفرون الناس لمجرد أنهم اكتشفوا ما يعينهم على فهم بعض حقائق الكون – كما مر . [١]

وهذا الصراع لم يوجد له أثر فى الإسلام ، وما كـان لهـذا الصـراع أن يوجد فى الساحة الإسلامية إذ أنهم يتدينون بدين يجعل العلم فريضة علـى كل مسلم ومسلمة ، ويجعل الفكر عبادة ، ويسوى بين مداد العلمـاء ودمـاء الشهداء .

بل إن أول رسالة من السماء إلى نبى هذه الأمة كانـت أمـراً بإتخـاذ أسباب العلم يقول الله تعالى فى سورة العلق : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّـذِي خَلَـقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَـانَ مَـا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [٢] .

هذه أول آيات نزلت من القرآن الكريم على الرسول الأمين محمد ﷺ ، والآيات شأنها شأن القرآن الكريم ، بليغة فى أسلوبها بالغة فـى تركيزهـا ، جلية فى معانيها ، وفوق كل ذلك فهى تبدأ من حيث تبدأ كل محاولات التعليم ولكنها لا تنتهى حيث تنتهى مثل تلك المحاولات ، وهى أيضاً تبدأ حيث تبـدأ جميع عمليات الفكر ولكنها لا تسلك نفس الطريق فإن جميع محاولات التعليم تبدأ بتلقين (شئ ما) سواء كان ذلك التلقين عن طريق العقل أو عن طريـق اليد وبصورة أكثر شمولاً ، فإن جميع محاولات التعليم تبدأ إما عـن طريـق عمليات عقلية بسيطة وجميعها تنتهى إلى حد ما أريد تلقينه أو تعليمه ، ولكن هذه الآيات بدأت من نفس البداية الطبيعية ولكنها لم تنطرح البدايات البسيطة

---

(١) انظر ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين ص ١٥٧ .

(٢) سورة العلق الآيات ١ : ٥ .

إنها تتطلب من الرسول الكريم أن يقرأ وهو (الأمى) وفوق ذلك تتطلب منه أن يقرأ (باسم ربه الذى خلق) ان جميع عمليات التعليم والتمثل تنتهى إلـــى الوحدة التى بدأت بها الآية فالبداية واحدة ولكن الطــرق مختلفــة تمامــا ن والإستطراد لا نهائى ، فعملية الخلق صعبة ، وخلق الإنسان وتعليمه ما لــم يعلم شئ لا نهائى كذلك فهناك خلق بإستمرار وهناك تعليم وتعلم بإستمرار ، ومهما بلغ الإنسان من العلم فسوف يكون لديه – نمط الإحتيــاج – لمعرفــة جديدة ، أعلى من المعارف السابقة عليها وهى عملية لا يمكن أن تكون عملية منتهية ولكنها عملية (ديناميكية) تتطلب البحث المتواصل والعمل الدعوب .

والآيات فوق ذلك تحمل فى طياتها العمليتين الرئيسيتين فى عملية التعلم ألا وهى القراءة والكتابة ، وإن لم ترد لفظة الكتابة صريحة إلا أن وجود كلمة التعلم كوسيلة – لم تذكر غيرها – فعملية التعلم تجعل الأساس الكتابى قائمــاً ومصاحبا للأساس القرائى .

ماذا يمكن أن يكون موقف الدين من العلم ، وهو الذى بــدأ (بــإقرأ) وكانت معجزته كتاب : **(لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيــلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** (١) .

لقد حض القرآن الكريم فى كل آية من آياتــه علــى إعمــال الفكــر ، وهذه وحدها قمة عملية التعلم لقد انتشــرت ألفــاظ (يتــدبرون ، يعقلــون ، يتفكرون ، يوقنون ، ينظرون ، يدركون ، يؤمنون . . .) بصورة متكــررة وملموسة ، حتى أن المرأ يسأل نفسه لماذا كل التركيز والتكرار فــى مثــل تلك المواقف ؟

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٢ .

الإجابة لابد وأن تكون متمشية مع الهدف الأسمى للدين الذى هو بالضرورة تثقيف الإنسان وتقويمه وتهذيبه وتعليمه حتى يمكن أن يتدبر فى خلق الله ثم يؤمن به .

ورغم أن الإيمان فى جزئياته غيبيات لابد من التسليم بها دون إعمال عقلى إلا أن ذلك ليس مرده – غيبيات الإيمان – بقدر ما هو مردود لقصور العقل ، الذى سوف يأتى عليه بالضرورة يوم يعى فيه ما قصر عنه اليوم ، ولربما تكون تلك هى بداية النهاية حين يدرك العقل نفسه فلا يبغى شئ ، وتكون الأرض قد أخذت زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، فينقصها الله من أطرافها أو يبيدها بمن عليها .

والإسلام يحض على العلم ويكرم طالب العلم ، وعندما يقف المرء قليلاً أمام آية من آيات كتاب الله مثل : ﴿ **يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ** ﴾ (١) .

يستطيع أن يتبين أن المعنى ليس تعجيزا وإنما هو تحفيز انه طرح لقضية كبرى لا يمكن التوصل إلى معطياتها إلا بلسطان والسلطان هنا هو العلم المكتسب كما قال بعض العلماء (لكن مع اعتبار أن الله هو المهيمن) أن الدين الإسلامى دين شامل ، ولم يخص قوماً أو أمة إنما هو للناس كافة فكيف يمكن أن يصل هذا الدين للناس كافة دون أن تكون هناك عمليات تعليمية تفوق كل ما وصل إلينا من أوصاف عن إكتساب العلم فى صدر الإسلام ؟ كيف يمكن أن تتم عملية نقل مفهوم الدين الإسلامى إلى الأمم الأخرى إلا عن طريق التعلم ؟ وكيف للمؤمن الحق أن يتقبل حقائق الإيمان

---

(١) سورة الرحمن الآية ٣٣ .

دون أن يستطيع تفسير الظواهر الكونية من حوله ؟ إن ذلك سوف يكون إنحرافاً فى الغيبيات تقترب به من الخرافات التى لا تثبت أمام العقل الواعى ومن ثم فإنه كان على الدين أن يحض على العلم لتكوين العقل الواعى الذى يستطيع أن يتبصر فيما حوله ثم يبنى إيمانه على أساس من الأعمال العقلى وما نتج عنه والإستيطان القلبى وما وقر فيه .

إن مفهوم العلم كما جاء فى القرآن لا يمكن أن يكون قاصراً على مجال من مجالات المعرفة دون آخر وبالتالى لا يمكن أن يكون قاصراً على العلوم الدينية ، ودليلنا على ذلك أنه فى كل طور من أطوار التقدم العلمى تستجد أشياء تعمق مفهوم الإيمان ومن ثم فإن العلم يحض على الإيمان بقدر ما يحض الإيمان على العلم وبذلك فإن لفظة العلم تتخذ دلالة شاملة : ﴿ **أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ** ﴾ (١) ، ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ** ﴾ (٢) ، ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ** ﴾ (٣) ، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾ (٤) .

العلم بمعناه الوارد فى القرآن علم شامل لكل أنواع المعرفة والمطلوب من المسلم أن يعرف كيف رفعت السماء ؟ وكيف خلقت الإبل ؟ وكيف التقى البحران ؟ ولماذا يختلف الليل والنهار ؟ وكيف ينفلق الحب والنوى ؟ وكيف يخرج الحى من الميت . . . ؟

---

(١) سورة الغاشية الآيات ١٧ ، ١٨ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٠ .
(٣) سورة الرحمن الآية ١٩ .
(٤) سورة الأنعام الآية ٩٥ .

وهذه المعارف فى مفهومها العام تقوى المفهوم الدينى ، وتعمقه ومن ثم فإن العلم عمق فى التدين والعمق فى التدين يؤدى بدوره إلى البحث العلمى ومن ثم فإن العلم والدين ربما كانا ذا مفهوم واحد ، وعندما يضرب الله الأمثال للناس يعقب بقوله جل وعلا : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ ﴾ (١) .

وفى هذا حض على العلم وتقريع للذين لا يعلمون ، أليس هو القائل : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (٢) .

إن كل هذا يوضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الدين الإسلامى فى أساسه مبنى على العلم دونما اقتصار على ناحية دون أخرى وأن العلم لدى المسلمين كان له جلال الدين لأنه يعمق مفاهيمه ومن ثم كان طريق المسلم على المدبر الواحد الذى ما خلق هذا العالم إلا برهاناً على قدرته وعلامة على وجوده : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِي مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِي ﴾ (٣) .

إن القرآن الكريم يطلب من المسلم أن يعمل ما فى وسعه على كسب العلم بمعناه الشامل ولقد فهم رسول الله هذا الموقف وأكد عليه فالعلماء ورثة الأنبياء وقورن مداد أقلامهم بدماء الشهداء يوم القيامة والناس عالم ومتعلم وما بعدهما همج ولقد ثبت عن رسول الله ﷺ قوله : (طلب العلم فريضة) (٤) وما دام طلب العلم فريضة ، فلابد أن نؤدى هذه الفريضة ما دام فى الإستطاعة أداؤها وربما تشابهت فريضة العلم فى بعض وجوهها مع فريضة

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٣ .

(٢) سورة الزمر الآية ٩ .

(٣) سورة الذاريات الآيات ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) رواه ابن ماجه والمنذرى فى الترغيب والترهيب ج ١ ص ٥٤ .

الحج حيث أنه لا يسقطهما عن المسلم إلا عدم الإستطاعة والمــوت ، ومــن حيث عدم الإستطاعة فقد يسر لها الشرع وفسرها الشارع بحيث لا يعجز أحد – تقريباً – عن القيام بها بصورة من الصور وفى أى طور من أطوار حياته من مهده إلى لحده (إطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) ، وإذا كان طلب العلم فريضة على المسلم من مهده على لحده لا يسقطهما عنــه إلا عــدم القــدرة المادية – وهو أمر ضعيف الإحتمال – والموت فإن المسلمين فى هذه السورة سوف يكونوا جماعة علمية بقدر ما هم جماعة إسلامية دينية والمسلم بــذلك يصبح إما عالماً أو متعلماً لأن من تعلم سوف يصبح تعليم الآخــرين إحــدى واجباته الدينية إما غير العالم وغير المتعلم فهم فى عداد (الهمج) وقــد ورد قول الرسول : (الناس عالم ومتعلم وسائرهم همج) .

وما دام أمر العلم عند المسلم هكذا فلا عائق يعوقه عــن طلــب العلــم وعليه أن يخرج إليه إذا لم يتح له فى بلده ن وعليه أن يشد الرحال إليه كمــا يشد الرحال إلى مكة المكرمة ، وعليه يطوف ببيوت العلماء كما يطوف ببيت الله الحرام ، وكما أن من خرج للحج ومات فى طريقه إليه كتب له حجتــه ، فإن طالب العلم فى سبيل الله حتى يرجع فإن مات فهو محتسب عند الله ومــا ذلك إلا لتشجيع المسلم على طلب العلم [١] .

يقول الرسول ﷺ : (من خرج فى طلب العلم فهو فى ســبيل الله حتــى يرجع) [٢] وكما أن الملائكة تحوط بالمجاهد فى سبيل الله وهــو يحــارب ، فإنها تحوط بالمجاهد فى سبيل الله بطلب العلم ما دام يطلبه يقــول الرســول

(١) انظر لذلك بحث ابجدية الحوار بين الحضارات للدكتورة زينب عبد العزيز مجلــة المســلم المعاصر عدد ٧٤ ص ١١٠ .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن ، الترغيب ج ١ ص ٦٣ .

الكريم : (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب ولمداد ما جرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء فى سبيلا الله) (١) .

وإذا كان الشرع الشريف قد حث على العلم وطلب العلم وشرف العلماء حيث يقول : **﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾** فإن السنة قد أوضحت عملياً أن الدين الحنيف يهتم بالعلم إلى أقصى الحدود الممكنة ألم يطلب الرسول ﷺ من أسر قريش أن يعلم كل واحد منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة فى سبيل فك أسره ، إن هذه وحدها تكون دليلاً كافياً على قوة إيمان الدين الإسلامى بالعلم .

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم العلم الإسلامى يمتد ليشمل الصنائع اليدوية والحرف يقول الله تعالى : **﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾** (٢) ، وفى آية أخرى : **﴿ وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾** (٣) ، وثالثة : **﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾** وهناك صورة من صور العمل الصناعى الجماعى ففى سورة الكهف يقول الله سبحانه وتعالى فى سرد قصة ذى القرنين : **﴿ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾** (٤) .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى ج ١ ص ٥٣ من الترغيب .
(٢) سورة الأنبياء آية ٨٠ .
(٣) سورة هود الآيات ٣٧ ، ٣٨ .
(٤) سورة الكهف الآيات ٩٤ ، ٩٥ .

إن هذه القصة يتفرع منها عدد من العلوم والصناعات من تنجيم وصهر وصب . . . وخلافه كالبناء والتشييد وهى كلها معطيات علمية راقية تجمع بين العقل والعضل بين الفكر والعمل .

عندما يخاطب القرآن الكريم الجماعة العربية فى مجرى العرض العام لقضية الإيمان فإنه يقول : ﴿ **أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ ثم ينتقل على صورة أبعد : ﴿ **وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ** ﴾ (١) ، ثم يطلب من العقل التدبر وإن لم يصل إلى معرفة القضية المطروحة فلا بأس عليه هناك فى الجماعة من يعرف ؟ وهم أهل الذكر : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (٢) ومعنى أن يسأل أهل الذكر يحمل فى طياته طلب العلم ، فلا تسقط القضية عند حد المعرفة وعدم المعرفة ، وإنما القضية قائمة ولابد من الوصول إلى المعرفة ، أى لابد من التعلم .

وفى مجال موضوعنا ومن أخص خصائصه ثلاثة أشياء (القلم ، المداد ، الورق) هذه الأشياء الثلاثة ما زالت حتى فى عصرنا هذا هى الوسائط الثلاثة الرئيسية فى عملية التعلم ، ومن ثم فإن القرآن يقسم بها لقد رفعها الله سبحانه وتعالى إلى مرتبة عالية وأعزها وأكرمها ثم أقسم بها وهو يقسم بها فى مسائل كبيرة ، مسائل جوهرية فى صلب الرسالة : ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (٣) ، إن الله سبحانه وتعالى يقسم بالقلم وما يسطر ، إن الرسول لصادق وإن أجره لعظيم ، وإن خلقه لحميد .

---

(١) سورة الغاشية الآيات ١٧ ، ١٨ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٧ .

(٣) سورة القلم الآيات ١ : ٤ .

ومن هنا يلتقى الدين مع الواقع طلباً للعلم وحضاً عليه ، واعزازا وإجلالاً له وتعظيماً لشأنه .

وفى موقف آخر يقسم الله سبحانه وتعالى قائلاً : ﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ (١) . انظر إلى هذا التتابع الرائع والتنغيم المتسق فى تناسق كلى يبين محسوسات ذات دلالة لا تخطئ لدى العقل العربى ويمثل الكتاب فيها الصورة ، وما أبدع أن يسطر الكتاب فى رق ثم ينشر ليقرأ ، لو اقتصر على الكتاب المسطور لأنتقض ذلك من براعة التصوير ، ولكن الكتاب سطر ثم نشر ليقرأه الناس وليعرفوه ، وهذا الكتاب المسطور المنشور يقرن بالبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ثم تساق كلها كدلالة تحذيرية على (أن عذاب الله لواقع) .

ونحن نستطيع أن نأخذ الدلالة الكلية للآيات أن الله سبحانه وتعالى يحذر الإنسان ليعمل ، ويحذر الإنسان بأنه بناء على علمع وعمله سوف يكون موضع حساب وعقاب يصل إلى حد العذاب وذلك إذا لم تكن أعماله متمشية مع ما علم فى الكتاب المنشور ، وما دعى من البيت المعمور والسقف المرفوع ، وما اكتسبه من العلم الذى عرف به البحر المسجور ، إنها لصورة كلية تطلب من المسلم (العلم) وتطلب من المسلم (العمل) وتطلب من المسلم (الحذر) من أن علمه وعمله سوف يكونان موضع ثواب وعقاب ومرة أخرى أليس هذا مصداقاً لقول الرسول الكريم ، معلم الجماعة الإسلامية الأول إذ يقول :

---

(١) سورة الطور الآيات ١ : ٧ .

(ما من عالم يخرج فى طلب علم إلا كان كالغازى فى سبيل الله) (١) ، (ولموت قبيلة أيسر من موت عالم) (٢) لو نظرنا إلى الحديث الأول وجـدنا أن طالب العلم عند الله مثل الغازى ، إذ أن الغازى فى سبيل الله كان يغـزو لينشر الدين الجديد ، وكان يقول لمن يغزوهم : (إما أن تسلموا فلكم ما لنا ، وعليكم ما علينا ، أو تعطوا الجزية عن يد وأنـتم صـاغرون ، أو نقـاتلكم حتى يحكم الله بيننا) وكذلك العالم يتحرك لينشر ديـن الله ويوضـح للنـاس حجة الله .

ومن هنا بدأ المسلم يحمل القرآن إلى جميع البقاع ويكتسب العلـم مـن جميع البقاع واضعاً نصب عينيه كتابه الكريم بما حض عليه وبما نهى عنـه ومهتد بما قاله الرسول الكريم .

معنى ذلك أن الإسلام لا يتعارض مع العلم النافع وليس هنـاك أدنـى صراع بين الدين الإسلامى وبين العلم وبهذا يظهر لنا مدى الفرق بين ديـن يقال لأتباعه (اعتقد ولا تسأل) وبين دين يقال لأتباعه (اطلبوا العلـم مـن المهد إلى اللحد) وانظروا ماذا فى السموات والأرض .

فكيف يوجد صراع بين الدين والعلم وحلقـات دروس الطـب والفـلك والرياضة بل والشعر والأدب كانت جنبا إلى جنب مـع التفسـير والحـديث والتوحيد والفقه .

وهل ابن سينا وهو الفيلسوف والطبيب والمتكلم إلا نتاج هـذا الـدين ؟ أليس ابن الهيثم وابن النفيس وابن رشد والغزالى أتباع هذا الدين العظيم .

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير وذكره المنذرى فى الترهيب ج ١ ص ٦٥ .

(٢) رواه أبو داود والترمذى ج ١ ص ٦٣ من الترهيب والترغيب .

إن الإسلام لايمكن أن يكون حجر عثرة أمام التقدم العلمى كما يـدعى العلمانيون الذين لم يفرقوا بين نصرانية العصور المظلمة ، نصرانية محـاكم التفتيش وبين دين قال رسوله : " أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد " .

إن طه حسين قد أخطأ كل الخطأ حين عمم حتمية الخصومة بين الدين والعلم ثم يقرر بعد ذلك إلى أن حل هذه الخصومة إنما يكون بإقامة حكومـة لا دينية .

هذا ولئن جازت الخصومة بين الدين والعلم فى الساحة الغربيـة فـلا يمكن أن يحدث هذا فى الإسلام ، إن هذه الخصـومة حـدثت لاضـطراب النصوص المقدسة فى الكنيسة ، فالعهد القديم يقرر ظهـور الليـل والنهـار والصباح والمساء فى اليوم الأول قبل خلق الشمس والنجوم ، وهذا يتعارض مع العلم . (١)

وفيه أن الله خلق النبات فى اليوم الثالث قبل أن يخلق الشمس فى اليوم الرابع وهذا يتعارض مع العلم وفيه أن خلق العالم يرجع إلى حـوالى سـتة آلاف عام وهذا يتعارض مع العلم .

وهذه معارضات لا تحتمل الأنكار ولا تحتمل التأويـل إذا فلابـد مـن الصدام بخلاف الإسلام .

يقول موريس بوكاى عن القرآن الكريم (إن القرآن لا يخلو فقط مـن متناقضات وهى السمة البارزة فى مختلف صياغات الأنجيل) بل هو يظهـر لكل من يشرع فى دراسته بموضوعية وعلى ضوء العلوم التوافق التام مـع المعطيات العلمية . (٢)

---

(١) حقيقة العلمانية ص ٧٨ .

(٢) حقيقة العلمانية ص ٨١ .

فالطغيان العلمى الذى كان موجودا لدى رجال الكنيسة والتى قامت العلمانية كرد فعل له لم يوجد له أثر فى الإسلام بالرغم من شموليته إلا أنه أعطى فرصة لعقل الإنسان أن يكون له دور وهذا هو ماحدده العلماء بالاجتهاد .

وهذا الدور الذى أعطى للعقل كان سببا فى أن يبتكر المسلمون نظريات وقوانين عاشت عليها أوربا ردحا من الزمان . ومن هنا ندرك أنه ليس هناك فى الإسلام صراع بين الحقائق الدينية والحقائق العلمية .

سادساً : عقيدة الخطيئة الموروثة ليس لها وجود فى الإسلام :

إن فكرة الخطيئة الموروثة والتى كانت من بنات أفكار رجال الدين المسيحى والذين أتوا بها ليوفقوا بين عقيدة الصلب وعقيدة البنوة . (١)

هذه الفكرة قد أزعجت ، كما قلنا فولتير وباسكال وأقلقت الضمير الأوربى كله وآرقته منذ ابتكارها إلى الآن ، وبذرت اليأس والقنوت فى النفوس ، وهذه الفكرة وغيرها ، كانت سببا من أسباب قيام البعض برد فعل مضاد أدى إلى الفكر العلمانى .

ولا نكاد نجد لهذه الفكرة – الخطيئة الموروثة – أثرا فى الإسلام .

---

(١) يقول أحد العلماء : لقد نسب النصارى الأله مايأنف أسقط الناس وأقلهم أن يفعله بسلوكه وكذبوا على الله فى كونه تاب على آدم . . . ونسبوه إلى غاية السفه حيث خلصهم من العذاب بتمكينه أعدائه من نفسه حتى قتلوه وصلبوه وأراقوا دمه ونسبوه إلى غاية العجز حيث عجزوه أن يخلصهم بقدرته من غير هذه الحيلة ونسبوه إلى غاية النقص حيث سلط أعدائه على نفسه وابنه ففعلوا به مافعلوا – انظر الدين الفطرى الأبدى للطرازى ص ٢٦٠ .

١ – فالقرآن الكريم حين تحدث عن معصية آدم قرنها بتوبته عليه السلام فقبل الله توبته قال تعالى : ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [١] . ﴿ **قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [٢] . ﴿ **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۞ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى** ﴾ [٣] . فالله عز وجل قد تاب على آدم وهو فى الملأ الأعلى قبل أن يهبط هو وزوجته حواء .

والإسلام لا يعطى هذه الخطيئة أكبر من حجمها بخلاف تعاليم الكنيسة المحرفة ، ولا يجب أن نربط بين تلك المعصية وبين الخروج من الجنة خاصة وأن الله قال للملائكة قبل خلق آدم ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [٤] فمكان الاستخلاف هو الأرض .

ولذلك حج آدم وموسى عليهما السلام حين عاتبه على أنه تسبب فى إخراج ذريته من الجنة فرد عليه آدم بقوله : " أفليس تجد فيما أنزل الله عليك أنه سيخرجنى منها قبل أن يدخلنيها قال : بلى فحج آدم موسى " . [٥]

٢ – أن الإسلام يقرر ويؤكد المسئولية الشخصية فلا يؤاخذ أحد بذنب أحد مهما كانت الصلة بينهما وذلك كما فى قوله تعالى : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** ﴾ [٦] .

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٧ .
(٢) سورة الأعراف : آية ٢٣ .
(٣) سورة طه : آية ١٢١ ، ١٢٢ .
(٤) سورة البقرة : آية ٣٠ .
(٥) رواه البخارى ١١ / ٥٠٥ .
(٦) سورة المدثر : آية ٣٨ .

﴿ ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ❁ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إلا مَا سَعَى ﴾ (١) .
ولو فرضنا جدلا أن آدم عليه السلام لم يتب من فعله فلن يؤاخذ أحد غيره حتى ولو كان ابن الشيطان الذى أغواه بالخطيئة فضلا عن أن يكون ابن الله كما تزعم الكنيسة تعالى الله عن ذلك .

من ذلك نفهم أن التصور الإسلامى خال من الأفكار والنظريات التى ابتكرها رجال الكنيسة باعتبارها من مستلزمات الخطيئة الموروثة ، والتى كانت سبباً فى نفور العقل . بل أن علماء الإسلام قد انتقضوا هذه الأفكار ودونوها قبل أن تفكر أوروبا فى نقد هذه الأفكار بقرون طويلة . يقول أحد علماء الإسلام :

عجبا للمسيح بين النصارى ∴ إلى الله ولداً نسبوه
اسلموه لليهود وقالوا ∴ إنهم بعد صلبه قتلوه
فإن كان مايقولون حقا ∴ فاسألوهم أين كان أبوه
فلئن كان راضيا بفعالهم ∴ فأشكروهم لأجل ماصنعوه
وإن كان ساخطا غير راض ∴ فاعبدوهم لأنهم غلبوه

سابعاً : ليس فى الإسلام شعائر تناقض العقل مثل العشاء الربانى :

إن شعيرة – كالعشاء الربانى – كانت وما تزال من أعظم حجج المناهضين للنصرانية لما يصدم بها العقل والبديهة والحس ، ولا تحتاج إلى توكيد أن الإسلام ليس فيه مثل هذه السخافات المنقولة عن الأمم الغابرة خاصة وأن الإسلام جاء ليحرر العقل الإنسانى من هذه السخافات .

---

(١) سورة النجم : آية ٣٨ ، ٣٩ .

ومن أجل ذلك نجد كثيراً من علماء أوروبا يعترفون بأن الإسلام وشعائره فى غاية الاتساق مع العقل والفطرة وأن طقوس الإسلام وشعائره ليس فيها غموض ولا أسرار مقدسة .

ولعل هذا الاتساق والانسجام مع العقل والفطرة كان سببا فى دخول البعض فى الإسلام .

يقول توماس أرنولد : [(١)] أنه لا يتأتى لأحد يكون قد رأى ذلك المشهد – صلاة الجماعة – أن يبلغ تأثره به أعماق قلبه ، وأن لا يلحظ ببصره القوة التى تمتاز بها هذه الطريقة من العبادة عن غيرها .

ويقارن المستشرق الأمريكى (بودلى) بين النصرانية والإسلام فى ذلك قائلا : لو أن القديس بطرس عاد إلى روما لأمتلأ عجبا من الطقوس الضخمة وملابس الكهنوت المزركشة ، والموسيقى الغربية فى المعبد المقرونة باسمه ولن يعيد البخور والصور والرقى إلى ذهنه أى شئ من تعاليم سيده المسيح ولكن إذا ما عاد محمد ﷺ إلى أى مسجد من المساجد المنتشرة بين لندن وزنزبار فإنه سيجد نفس الشعائر البسيطة التى كانت تقام فى مسجده بالمدينة المنورة الذى كان من الأجر وجذوع الشجر . [(٢)]

ثامناً : ليس فى الإسلام محاكم تفتيش :

لقد كانت محاكم التفتيش أحد أسباب الثورة على الكنيسة والتى بسببها نشأ الفكر العلمانى فى أوروبا .

---

(١) وباء العلمانية ص ٧١ .

(٢) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين ص ٢٣ .

ولا يمكن لأحد أن يدعى أن مثل هذه المحاكم وجدت فى الإسلام ، وما أثير من جانب بعض العلمانيين من وجود مثل هذه المحـاكم فـى السـاحة الإسلامية مستشهدا بقصة الإمام أحمد بن حنبل وأنه عذب بسبب قوله بقـدم القرآن وهذه الحجة من جانب العلمانيين ليثبتوا أن الحكم الدينى أيا كان نوعه سوف يؤدى إلى محاكم التفتيش ويمكن الرد عليها من عدة وجوه :

١ – أن خطأ الحكام فى تطبيق الحكم الإسلامى لايؤخذ على الإسلام .

٢ – أن المأمون كان مجتهدا فى ميله إلى الفكر الاعتزالى القائل بخلق القرآن .

٣ – أن حادثة تعذيب أحمد بن حنبل مهما كانت لايمكن بأى حال مـن الأحوال أن تقارن بما كانت تفعله الكنيسة فى محاكم التفتيش من قتل وإعـدام وحرق وتكسير للعظام .

٤ – أن هذه الحادثة كانت حادثة استثنائية وليست قاعدة .

٥ – أن هذا الاستدلال بهذه الحادثة ينقلب على العلمانيين لأن تعـذيب أحمد بن حنبل كان نتيجة التزامه بالنص دون تأويل .

٦ – أن ماحدث للإمام أحمد بن حنبل (وأن كنا نستنكره) لا يقـارن جانب ماتفعله الحكومات العلمانية بالعلماء إذ لم يحدث لابن حنبـل ماحـدث لحسن البنا .

تاسعاً : ليس فى الإسلام مايسمى بصكوك الغفران :

تلك المهزلة التاريخية التى تعد بحق صفحة سوداء فى تاريخ الإنسانية وهذه المهزلة لم يعرفها المسلمون فى مختلف عصورهم حتـى فـى أوقـات انتشار بعض الخرافات بأذهان الجهلة ، فلم يدر بخلد أى مسلم مهما بلغـت

مرتبته الدينية أن يوقع عقدا يتعهد فيه بغفران الذنوب ذلك لأن هـذا المسـلم يعتقد اعتقادا جازما :

- أن الله وحده هو الذى بيده المغفرة وليس بيد أحد غيره .
- أنه لا يوجد أحد يقوم بدور الوساطة بين هذا العبد وبين الله خاصة فى مسألة التوبة والمغفرة لأن الله يقول : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ (١) .
- أن هذا المسلم يعرف من سيرة نبيه مايتعارض مع فكرة صـكوك الغفران إذ أن النبى ﷺ أخبر أنه – نفسه – لا يملك لنفسه مثل هذا الأمر وهذا مايشير إليه : (ألا أن يتغمدنى الله برحمته) وقوله ﷺ لابنته فاطمة (اعملى فلن أغنى عنك من الله شيئا) .

هذه هى الفروق الجوهرية بين النصرانية والإسلام ، هـذه الفـروق كانت سبباً قويا لنشأة الفكر العلمانى فى أوروبا وأمريكا .

أما الإسلام فلم نجد عندهم هذه الأمور التى كانت سببا للعلمانية واجتماع أسباب النشأة العلمانية فى أوروبا جعل رجال النهضة يقولون بأنه لا سـبيل للتقدم إلا باستبعاد الدين من مجال التوجيه .

فلم يكن عند هؤلاء المصلحين الثائرين من الصبر والمثابرة على الدراسة والتفكير ومن الوداعة والهدوء والعقل والاجتهاد مايميزون به بين الدين ورجاله المحتكرين لزعامته ويفرقون بين مايرجع إلى الدين وما يرجـع إلـى رجـال الكنيسة من جمود واستبداد وسوء تمثيل فلا ينبذوا الدين نبذ النواة ولكن الحفيظة وشنآن رجال الدين والاستعجال لم يسمح بالنظر فى أمـر الـدين والتريـث فى شأنه .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٨٦ .

أما فى أرض الإسلام فتنعدم هذه الأسباب (كما أوضحنا) الأمر الذى يجعلنا نقرر أن الدعوة إلى العلمانية فى البلاد الإسلامية هى دعوة إلى نتائج بغير أسباب .

يقول الدكتور / محمد البهى : " ولو كان الإسلام فى أوروبا ما نشأت العلمانية فى الفكر الأوروبى ، ولما وصل تفكير بعض المفكرين فى أوروبا إلى التطرف فى المادية والجنوح إلى شحن النفوس بالأحقاد ودفعها إلى الانقلاب الدموى لحل بعض المشاكل الاجتماعية " . (١)

وإن طلب تطبيق العلمانية فى المجتمع من حاكم هو لعدم أهليته للحكم وللهروب من المسئولية التى يلقيها الإسلام على الحاكم كحاكم ، فى طلب الاستقامة فى السلوك ، وأداء الأمانة فى الحكم ، والعدل ، والشورى ، والرعاية وليس التسلط . (٢)

وإن كان من مفكر فهو لقصوره فى معرفة الإسلام ، وخداع نفسه وغيره .

ومن سياسى فهو للتلاعب بالفكر غير الناضج والتمويه فى حلبة المنافسة السياسية .

من فتى وفتاة هو للتحلل من الالتزام بالإيمان فى التوجيه والسلوك والانطلاق فى شهوة البطن والفرج والملبس . (٣)

---

(١) العلمانية والإسلام ص ٣ .

(٢) حول هذا المعنى سئل أحد العلماء عن السبب فى أن الحكام لا يريدون تطبيق شرع الله فأجاب لأنهم سيكونوا أول من يقتص منهم فلا تكاد نجد حاكما إلا مقطوع اليد .

(٣) دكتور / محمد البهى نفس المصدر ص ٧٥ .

سقوط العلمانية فى الغرب

لقد سبق القول بأن العلمانية قد نشأت فى أوروبا كرد فعل تجاه الكنيسة وطغيانها وصراعها مع العلم والعلماء وأن العلمانية قد مرت فى التفكير الأوروبى بمرحلتين :

١ – المرحلة الأولى :

مرحلة العلمانية المعتدلة وهى مرحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وقد اعتبر الدين فى هذه المرحلة أمراً شخصياً لا شأن للدولة فيه ، وقد أكد فى هذه المرحلة على فصل الدين عن الدولة ولكنه مع ذلك لم يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها وإن كان ينكر فيها بعض التعاليم ويطالب أصحاب الفكر فى هذه المرحلة أيضا إخضاع تعاليم المسيحية للعقل .

ومن أتباع هذه المرحلة : فولتير ، وجون لوك ، وليبنيز ، وهوبز .

٢ – المرحلة الثانية :

مرحلة العلمانية المتطرفة وهى مرحلة القلان التاسع عشر ، وهذه المرحلة تسمى بالثورة العلمانية أو مرحلة العهد المادى ، الذى يقوم على إسقاط الدين بالكلية وإلغاء فكرة الله ، وقد عبر أحد مفكرى هذا الاتجاه بقوله يجب أن تكون المادية فى موضع الدين الغيبى (الموحى من عند الله) والواقعى والحقيقى ليس الله وإنما هو المحس ، والإنسان هو الموجود الإلهى وليس الله .

والله والدين ليس أى منهما أساس الدولة وإنما أساسها الإنسان وحاجته ويمثل هذه المرحلة : هيجل ، فيرباخ ، وكارل ماركس .

والسؤال الآن : هل تم استبعاد الدين المسيحى من بين عوامل التأثير فى المجتمع الأوروبى ؟

وللإجابة على هذا السؤال يلزم استعراض بعض النشاطات الكنسية فى المجالات المختلفة لأن هذا الاستعراض فوق أنه إجابة على تساؤلنا فإنه قبل ذلك صفعة على وجوه العلمانيين الشرقيين الذين يحاولون تطبيق هذا النظام العلمانى الذى ثبت فشله فى البيئة التى تعد الأرض الخصبة لمثل هذه الأفكار وهم فى ذلك مثلهم كمثل أذناب الشيوعية الذين يحاولون تطبيق الشيوعية بعدما أسقطها الله فى بلادها .

**** أولاً : نشاط كنائس الغرب فى مجال السياسة والحياة العامة :**

قال أحد أساتذة العلوم السياسية أن هناك ثلاثة من الزعماء يتسابقون بجدية أكثر من غيرهم نحو رسم وتحديد خطوط مستقبل العلم فى نظمه السياسية والاجتماعية وهؤلاء الساسة هم : البابا جون بول الثانى ، والزعيم السوفيتى ميخائيل جورباتشوف ، والسيدة مارجريت تاتشر . (١)

وبقد كتبت الصحف الأمريكية فى تعليقها على زيارة البابا جون بول الثانى لأمريكا عام ١٩٧٩ " خلال عام واحد قفز الحبر الأعظم إلى بؤرة الضوء كزعيم متألق يتعطش العالم إليه ، زعيم قادر على تحريك الناس ليحققوا إنجازات أكبر من تفكيرهم ، أنه رجل كل العصور وكل المعتقدات " . (٢)

إن الطريقة التى يثير بها الحماسة توحى وكأن الروح القدس ظهرت فى أمريكا .

---

(١) نقلا من العلمانية والإسلام ص ٣١ .

(٢) الأخبار ٢٩ / ٦ / ١٩٨٧ م مقال للأستاذ جلال الحمامصى .

ويقول بعض المعلقين الصحفيين عن هذه الزيارة " رحلة البابا عمل سياسى كامل رغم أن كارتر بوصفه رئيس دولة مسيحية كانت إلى سنوات قريبة معادية للكاثوليك . . . ولم يترك البابا قضية سياسية إلا وتحدث فيها – مع الرئيس كارتر – من المشكلة اللبنانية ، والحوار بين الشمال والجنوب مروراً بمستقبل القدس وكامب ديفيد . (١)

ويقول أحد شهود هذه الزيارة وهو كاتب باكستانى علمانى كما جاء فى تحقيق مجلة الحوادث فى ٢٧ / ١٠ / ١٩٧٩ م يقول هذا المخدوع بالعلمانية : " لا أصدق ما أراه كأنى أعيش فيلما عن القرن الثانى عشر كنت أظن أننى أعيش فى قلب الحضارة العلمانية المادية حتى رأيتهم ينادون البابا بصاحب القداسة وقد ثرنا على الإسلام مع أنه لا قداسة لأى فرد فى الإسلام ، فليس هناك زعيم إسلامى أو رجل دين يدعى معجزة واحدة ، وعندما قال شيخ الأزهر فى مصر وكان من الصوفيين – يقصد الدكتور / عبد الحليم محمود – أنه رأى فى المنام – ولا قيد على الأحلام – رسول الله ﷺ يعبر مع الجيش المصرى خط بارليف ثارت ثائرة العلمانيين والتقدميين فى العالم العربى وأتهموه بالخرافة والعودة إلى القرون الوسطى ، وقالوا أنه فى عصر الصواريخ الموجهة والفانتوم والوصول للقمر لا مكان للدين .

وفى الولايات المتحدة – والكلام للباكستانى العلمانى – تخصص فى كل اجتماع للبابا أماكن للمقعدين والمرضى الذين جاءوا من جميع أنحاء الولايات المتحدة فى انتظار معجزة تشفيهم بعدما عجز الطب فى أرقى بلد عن شفائهم . . لقد سألت نفسى طوال هذا الأسبوع – أسبوع زيارة البابا – هل

---

(١) حقيقة العلمانية ص ٢٤ .

نحن ضحية لعبة شديدة الخبث خرجنا منها بلا صواريخ ولا دين . . . بل للفقر والكفر ؟ . بينما احتفظ الآخرون بدينهم وأعلامهم على القمر " .

ثم يقول الباكستانى : " الغرب مازال يعشق الأمبراطوز الإله وما رأيته خلال زيارة البابا يجعلنى أعيد النظر فى كل ماتعلمته على يد الأساتذة الغربيين وما قرأته من مؤلفات علمانية من كان يصدق أن (روزالين كارتر) تقول للبابا جئتنا كنموذج للرؤيا التى توحد الجنس البشرى رؤيا خالقنا فهل نحن فقط – المسلمون – الذين كفرنا بخالقنا ؟ من كان يصدق – أن أدوارد كيندى المرشح لرياسة أكبر دولة صناعية فى العالم يركع أمام البابا بركبته " .

أما عمدة (فيلادلفيا) فقد وقف على إحدى ركبتيه حتى قاربت رأسه من ركبة البابا يتلقى البركة ، ونشرت صورة فى كل الصحف ، واعتبرته دعاية صالحة ضد الحملة التى تشنها ضده وزارة العدل الأمريكية لاتهامه بالرشوة ، أما الراهبة التى كانت فى انتظار وصول البابا ما إن تسلمت قبعته حتى ظلت تقبلها واستغرقت فى التقبيل فلم تحس بوصول صاحب القداسة إلى الاستاد .

ولقد ظل الثمانون ألف أمريكى يهتفون ويهللون ويصلون أكثر من سبع ساعات فى انتظار موكب البابا حتى إذا وصل البابا جن جنونهم واشرأبت الأعناق وحسدوا الذين تقع مقاعدهم فى الصف الأمامى لأنهم يستطيعون لمس مرفقيه .

وهكذا ظل الكل ينحنون أمام البابا وعندما عرق أحد الجالسين مع البابا مسح جبينه وتدافع الصحفيون والمصورون يسألون هذا الرجل عن شعوره

والبابا يمسح عرقع فقال هذا الرجل : أنه ذهل وتقمصته حالة من الوجد عندما لمست يد البابا جبينه فنسى كل شئ ثم بدأ الاحتفال . . . ويضع الباب البخور بيده ليطرد الشياطين وبعد التبخير بدأت الصلاة وقد دهشت من عـــدد الـــذين يحفظون الصلاة مع البابا . . . وتتابع الاحتفال والمراسم ويـــأتون بـــالخبز والخمر ونتلى التراتيل وتقرأ الأسفار .

وتمت الصلاة وساد هدوء . . . ويغمض البابـــا عينيـــه فـــى انتظـــار الحلول . البابا يفتح عينيه . . . حدث الحلول . . . صاح الجميع ، ونهـــض البابا أمسك رغيف العيش ولوح به إلى الجماهير فرفعت الأضواء وتركـــزت العدسات على رغيف العيش فى يد البابا ، وكأنه تحول إلى أحجار المريخ أو قنبلة ذرية ، ثم بدأ التناول (العشاء المقدس) وكان قد تم اختيار ٢٥ شخصا للتناول من يد البابا شخصيا ودخول التاريخ ، وهؤلاء يحق لهم حمـــل وردة زرقاء فى عروتهم مدى الحياة ويمكن توارثها ، وانتدب ٤٠٠ قسيس لتوزيع القربان على الثمانين ألف والتناول أن القمص يضع بيـــده الخبـــز فـــى فـــم المؤمن .

يقول الباكستانى : فى الوقت الذى يعترضون على الحكم الإسلامى بشـــأن وضع المرأة وعدم صلاحيتها لتولى الخلافة لم أقرأ تعليقا واحدا علـــى خطـــاب البابا عندما قال : " إن مكان المرأة فى البيت لإنجاب الأطفـــال وتـــربيتهم " ولا حين قال الباب " إن المرأة عليها الطاعة والتصديق تماما كما أطاعـــت مـــريم العذراء وصدقت الملاك جبريل " .

وقلت (الكلام للباكستانى) لقد رأيت النساء فى جميع جـــولات البابـــا محتشمات ثيابهن تحت الركبة وإلى آخر الذراع ومعروف أنه لا يسمح بمقابلة البابا لسيدة لا تغطى رأسها .

وتابع الباكستانى ملاحظاته بقوله : (لقد أدهشنى أن البابا وجه قيـــادات المجتمع الأمريكى بتعاليم بولس المتوفى منذ عشرين قرنا فأعلن تحريم الجنس قبل الزواج ، وتحريم منع الحمل ، وحرم الطلاق ، وحـــرم الإجهـــاض) . يقول البابا سانت بول :

(نحن ننطق بلسان الرب ، نحن الذين بموجب الحق الإلهى نعلن حدود القانون المسيحى ، أن كل القيم والأخلاقيات والحريـــات يجـــب أن تخضـــع وترتبط بتعاليم الكنيسة) .

وتساءل العلمانى الباكستانى : (كيف تصلح تعاليم سانت بول (البابا) لتوجيه مجتمع غزا الفضاء وبنى ناطحات السحاب ، ولا تصلح تعاليم القـــرآن ، والنبى محمد والخلفاء الذين أقاموا دولة وأداروا مجتمعا متعـــدد الجنســـيات والأديان يمتد من المحيط إلى المحيط بينما لم يمارس القديس بول أية مسئولية سياسية أو اجتماعية ولا حتى كانت له أسرة) .

كيف تصلح تعاليمه لتوجيه المجتمع ولا تصلح تعاليم الخلفـــاء لتوجيـــه المجتمع الباكستانى . [١]

وأننى إذ أنقل هذه القصة مع طولها لأن لهذه القصة دلالات :

أولها : أن العلمانية التى يتشبث بها العلمانيون ويحاولون تطبيقها بكـــل وسيلة قد فشلت وعاد الدين فى الغرب يؤدى دوره .

ثانيها : أن هذه القصة شهادة من رجل كان علمانيا ثم أحس أنه ضحية مخطط خطير يستهدف الأمة الإسلامية .

---

(١) القصة بتمامها جاءت فى تحقيق مجلة الحوادث اللبنانية فى ٢٧ / ١ / ١٩٧٩ .

وفى بولندا : وجدنا الشعب البولندى فى مطلع عـام ١٩٧٩ م يستعد لاستقبال البابا استقبال الفاتحين واشتركت السلطة فى الاستقبال الرسمى وكانت هتافات المستقبلين ، نريد الله فى مدارسنا . نريد الله فى منازلنا .

وقد أشار البابا فى خطبته أن زيارته هى لكل شعوب أوربا الشرقية بما فى ذلك المسيحيون فى الاتحاد السوفيتى . وقال :

(أن المسيح لايقبل أن يكون الإنسان أداة انتاج فقط فعلى العامل ورب العمل والدولة والكنيسة نفسها أن يتذكروا أنه لايمكن فصل المسيح عن عمل الإنسان)

وفى أمريكا الجنوبية : عاد البابا جون بول إلى مواصلة جولاته فى بعض دول أمريكا الجنوبية وقد مهد لهذه الزيارات بالتحدث إلى الصحفيين وهو فى طريقه لزيارة شيلى فقال :

(إن على الكنيسة هناك مشاركة الشعب فى كفاحه من أجل الديمقراطية ثم ألمح البابا إلى الدور الذى لعبته الكنيسة فى الفلبين وأدى إلى إسقاط ماركوس . [(١)]

هذا ويعتبر رجال الدين فى بعض دول أمريكا الجنوبية نموذجاً للعمل السياسى .

وفى الأرجنتين : العديد من الكهنة الشبان يكرسون معظم أوقاتهم للعمل على تغيير نظام الحكم . [(٢)]

---

(١) جريدة الأخبار ٢٩ / ٦ / ١٩٨٧ .

(٢) مجلة الحوادث فى ٤ / ٥ / ١٩٨٠ م نقلاً من كتاب حقيقة العلمانية ص ٣٢ .

ومن عجائب الأمر أن (المستغربين) فى بلادنا بعد أن كان بعضهم يرقص منبهراً بتمرد الغرب على سلطان الكنيسة ، أخذ يرقص على إيقاع آخر بعد أن لاحظ نشاط الكنيسة فى ميادين السياسة .

يقول الصحفى فهمى هويدى : (كنت أقول أن مثقفينا انبهروا بالغرب حينما تمرد على سلطان الكنيسة ودعا إلى فصل الدين عن السياسة ، وهاهم الآن يطلون علينا منبهرين بالغرب حينما ألقى بالدين فى قلب العمل السياسى) [١] .

وفى اعتقادى أن هؤلاء العلمانيين الذين يرقصون على تمرد الغرب على الكنيسة ، عندهم مايسمى بعقدة الخواجه لأنهم تربوا على عداوة الثقافة الإسلامية فهم يباركون أى كلام يصدر من الغرب ولم يأت من الشرق وهذه خطيئة لا تغتفر (حين يتجه الغرب الآن إلى توسيع نطاق القاعدة الإيمانية بينما تنطلق هنا بعض الأصوات داعية إلى تقليص تلك القاعدة بل وعاملة بدأب على تقويضها وتفريغها فى كافة عناصر الحياة والفاعلية التى تتوافر لها ، كى يظل الإيمان فى حدود محيط القلب والروح) [٢] .

*** * ثانياً : تداخل العقائد النصرانية فى بنية الدولة وخططها السياسية فى الغرب :**

أن العلمانية بالرغم من انتشارها فى الأقطار الأوربية لم تستطع اقتلاع المسيحية من جذورها .

---

(١) نفس المصدر ومما يؤكد هذا أن العلمانيين يباركون الديمقراطية فى إيطاليا ويباركون إقامة حزب مسيحى ، ويعارضون بشدة إقامة حزب إسلامى هنا ، وهذه مفارقة عجيبة .

(٢) نفس المصدر ص ٣٥ .

يقول شكيب أرسلان : (هل يظن الناس عندنا فى الشرق أن نهضة من نهضات أوربا جرت دون تربية دينية ، أفلم يقل رئيس ألمانيا أن ثقافتنا مبنية على الدين المسيحى) . [١]

ومن المعروف أن فى ألمانيا الاتحادية يعتبر التعليم الدينى إجبارى فى المدارس إلى سن الرابعة عشر ، والحكومة هى التى تجبى الضرائب الكنسية المفروضة على جميع المواطنين .

وفى بريطانيا الآن : ليس هناك فصل بين الكنيسة والدولة العلمانيـــة ، أليس ملك بريطانى هو رئيس الكنيسة فى الوقت نفسه .

يقول الصحفى أحمد بهاء فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٢ / ٦ / ١٩٨٧ م أن ملكة إنجلترا هى رئيسة الكنيسة الإنجليزيـــة وتنقـــل رأى الكنيســـة إلـــى البرلمان المنتخب من الشعب .

وفى أمريكا : نجد أن الدين يهيمن على أخطـــر القـــرارات السياســـية الدولية [٢] وقد لاحظ أحد الباحثين هيمنة الدين فى أمريكا علـــى القـــرارات السياسية فقال : (أنه من الشاذ أن تكون أقـــوى الأحـــزاب الأوربيـــة هـــى الأحزاب المسيحية ، وأن تكون أقوى الحركات السياســـية الأمريكيـــة هـــى الحركة الأصولية المسيحية ثم تحظر فى بلادنا الأحزاب الدينية .

ثم يوجه هذا الباحث كلامه إلى العلمانيين فيقول :

---

(١) لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ص ١٥٧ .

(٢) فى زيارة الرئيس الأمريكى كلينتون لإسرائيل أوضح فى خطابه أن المساعدات الأمريكيـــة لإسرائيل ترجع فى النهاية إلى تعاليم المسيحية قائلاً لقد قال لى أحد القساوسة أن مســـاعدة إسرائيل تجلب رضا الرب .

(واجب العلمانيين ودعاة العلمانية عندنا أن يسألوا أنفسهم كيف تسيطر المعتقدات والأساطير الدينية إلى هذا الحد على مصائر شعوب العالم الثالث ، وعليهم أن يستمعوا إلى مايقوله القس الأمريكي " بريان " أن الكنائس الأمريكية رئيسية . . . وأن دورها واضح في تشكيل وتعبئة الجمهور بمنهجها فى المسائل السياسية .

فعلى الرغم من تأكيد الدستور على مبدأ الفصل بين الدين والسياسة إلا أن الرئيس ريجان يقول فى خطابه : " يلعب الدين دوراً حاسماً في الحياة السياسية لأمتنا " . (١)

وأخيراً أليس من الغريب أن تكون أوراق البنكنوت الأمريكية تحمل الآن عبارة (نحن نثق بالله) بينما العلمانيون عندنا يتخوفون من شعارات الإسلام حيث تكون .

يقول الدكتور / محمد البهى عن تطبيق العلمانية فى أوربا : أن البلاد الأوربية التى أخذت بفكرة العلمانية فى مرحلتها الأولى لم تزل ترعى الكنيسة ولم تزل أمريكا تدخل نفسها ضد مايظن أنه يمس شئون الكنيسة من قريب أو بعيد .

كما أن الثقافة الأوربية لا تنفصل عن الدين بأى حال من الأحوال حيث يقرر كتاب أوربا : (أن تكوين دين هو تكوين ثقافة أيضا) . (أن القوة الرئيسية فى خلق ثقافة مشتركة بين شعوب لكل منها ثقافته المتميزة هى الدين) . (أن الثقافة والدين شئ واحد) .

---

(١) جريدة الوفد ١٧ / ٧ / ١٩٨٨ م .

ثم يقول عن أوربا المسيحية : (أن سنن المسيحية هى التـــى جعلـــت أوربا) فى المسيحية نمت فنونا ، وفى المسيحية تأصلت قوانين أوربا ، وليس لتفكيرنا كله معنى أو دلالة خارج الإطار المسيحى .

من هذا كله : تتبين الخديعة الكبرى التى يروج لها سماسرة العلمانيـــة فى بلاد الإسلام بدعوى أن العلمانية سر التقدم المعاصر فى أوربا .

وقد تنبه الأستاذ الدكتور / يحيى هاشم فرغل إلى خبث هذه المغالطـــة فقال : (وتتبين المغالطة الخبيثة الكامنة فى القول بأن التقدم الأوربى تحقـــق عن طريق العلمانية ، ويظهر لنا أن الأمر هناك لا يعدو أن يكون نوعا مـــن الفصل بين السلطات . بين سلطة التشريع ، وسلطة التنفيذ ، وسلطة رجـــال الدين ، مع إعطاء كل سلطة حقها فى التأثير على الحياة الدنيا ، وهو نموذج لايمكن نقله إلينا لأنه لا سلطة فى الدين الإسلامى لما يسمى رجال الدين لأن كل السلطات تستمد منه) .

من كل ماتقدم يظهر لنا أن العلمانية فى أوربا قد فشلت فى فصل الدين عن الدولة – فضلا عن أن تلغى دوره فى توجيه المجتمع لأن الإنسان مفطور على التدين .



موقف الإسلام من تطبيق القوانين الوضعية

تبين لنا فيما سبق أن السبب الذى من أجله قامت العلمانية فى أوربا منعدم فى الساحة الإسلامية مما يعنى أن محاولة تطبيقها فى العالم الإسلامى هى محاولة لوضع نتائج بلا أسباب ولا مقدمات .

كما اتضح أن العلمانية – كربيبتها الشيوعية – قد ثبت فشلها فى التطبيق ولم تستطع أوربا الاستغناء عن الدين .

والإسلام كدين شامل يرفض رفضا باتا أى فصل بين الدنيا والدين لأنه كدين شامل يحوى الدنيا والآخرة ويخاطب العقل والوجدان .

يقول موريس بوكاى : (أن القرآن لا يخلو فقط من متناقضات الرواية – وهى السمة البارزة للأناجيل – بل هو يظهر بكل من يشرع فى دراسته بموضوعية التوافق التام مع المعطيات العلمية) . (١)

ويقول المستشرق (فيتز جيرالد) : (ليس الإسلام دينا فحسب ولكنه نظام سياسى أيضا ، إنه ليس مجرد عقائد فردية ، وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل له أسلوبه فى الحكم وله قوانينه وأنظمته) (٢) .

هذا فى الوقت الذى يزعم فيه بعض العلمانيين أن السبيل لإقامة دولة مدنية والطريق لإقامة نهضة هو فصل الدين عن الحكم .

يقول طه حسين فى كتاب (من بعيد) الذى نشره عام ١٩٣٥م أن حل الخصومة بين الدين والعلم يكون بإقامة حكومة لا دينية .

---

(١) موريس بوكاى فى كتابه (دراسة الكتب المقدسة) ص ٢٨٥ .
(٢) الوعى الإسلامى العدد ٣٤٧ .

ثم يقول : (وإنما تقوم الحكومة الحديثة فى الأقطار المتحضــرة فــى أوربا على أساس سياسى . . .) (١)

وقد كتب أحد العلمانيين كتابا بعنوان (الإسلام برسالته الأولى لا يصلح للقرن العشرين) (٢) وكتابات الدكتور / فرج فوده فيها دعوة صريحة لإقامة دولة علمانية يقول فى كتابه حوار حول قضــايا إســلامية ص ١٧٢ : (أن الإسلام دين وليس دولة ، وأن الدولة الإسلامية على مدى التاريخ الإســلامى كانت عبئا على الإسلام) .

كما يقول فى كتابه (الطائفية إلى أين) ص ٢٠ : (أن الــدعوة إلــى إقامة دولة دينية – فى مصر – رده حضارية شــاملة بكــل المقــاييس) . . ويقول أيضا : (أن القانون الوضعى يحقق مصالح المجتمع فى قضايا الزنــا مثلا أكثر مما ستحققه الشريعة الإسلامية لو طبقت) .

ويقول فى كتاب (الحقيقة الغائبة) ص ١٢١ : (أن القانون الوضــعى يعاقب على جرائم يعسر على الشريعة أن تعاقب عليها ، ويعكــس احتيــاج المجتمع المعاصر بأقدر مما تفعل الشريعة) .

يا كل عقلاء العالم . . . ياكل من عنده مسحة من العقل . . . انظــروا إلى مثقفى العالم الإسلامى ، ورموز التنوير فيه ، وقارنوا بينهم وبين كــلام بعض مثقفى أوربا عن الشريعة الإسلامية .

رجال القانون فى أوربا يشهدون بسمو التشريعات الإسلامية وتقــدمها ومرونة أحكامها ، ورجال الفكر عندنا يقولون أنها لا تصلح للتطبيق ، ونحن التزاما منا جميعا بمبدأ عدم التكفير للأشخاص لأن ذلك ليس من مهماتنا لكن

---

(١) نقلا من كتاب حقيقة العلمانية ص ٧٦ .

(٢) محمود محمد طه (العلمانى السودانى) انظر كتاب الرسالة الكاذبة لمحمد نجيب ص ٢٦ .

علينا أن نوضح موقف الإسلام من محاولة تطبيق التشريعات الوضعية ، ومن خلال موقف الإسلام من تطبيق التشريعات الوضعية سيتضح لنا الموقف من العلمانية .

والحقيقة كان من المفروض ألا نسأل عن موقف الإسلام من تطبيق شرع غير شرع الله ، لأنه أمر واضح وضوح الشمس فى كبد السماء ، ولكن نظراً لما أصاب كثيرا من التصورات الإسلامية من انحراف وغبش فى أذهان الناس ، ونظراً لما يثيره أعداء الإسلام خاصة ممن ينتسبون إليه من شبهات وأباطيل ، فإن من اللازم بيان موقف الإسلام .

وعلينا قبل أن نذكر موقف الإسلام أن نوضح معنى التوحيد الذى جاء به الإسلام ، وذلك لأن التوحيد هو القضية التى احتدمت من أجلها المعارك بين الرسل وأقوامهم : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِي** ﴾ (١) .

والرسول ﷺ أحد الرسل الذى نشبت بينه وبين قومهم معارك بسبب الدعوة إلى التوحيد ، والشئ المثير أن موضوع هذه المعركة العنيفة الطويلة لم يكن سوى كلمة واحدة هى كلمة (لا إله إلا الله) كلمة يصر عليها الرسول غاية الإصرار حتى أنه ماروى فى مكة غاديا أو رائحا إلا وهو يقول (أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) . وكان كفار قريش أيضا وفى إصرار يرفضون هذه الكلمة ويقولون متعجبين : ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾ (٢) .

وهذا الإصرار منهم على عدم قولها لدرجة أنهم آثروا المقارعة بالسيوف

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٢٥ .

(٢) سورة ص : آية ٥ .

والنزال فى الحرب ، يشير إلى مدلول خطير وهى أن هؤلاء القوم يعلمون أن لهذه الكلمة معنى ومدلولا خطيرا وأنها تستتبع مسئوليات جسيمة وتكاليف ثقيلة . ذلك أن الالتزام بها معناه الرفض الجازم والتخلى الكامل عن كل ماعدا الله من معبوداتهم وطواغيتهم : طواغيت الأوثان ، وطاغوت الزعامة ، طاغوت القبيلة ، طاغوت الهوى ، طاغوت التقاليد . . . الخ . ثم الاستسلام الكامل لله ورد الأمر إليه فى كل شئ .

ولعل رجل مثل أبى طالب عم النبى ﷺ كان يعلم مدى الالتزامات التى تستوجبها هذه الكلمة فلم ينطق بها حتى في ساعة احتضاره .

وقد أوضح الله عز وجل فى كتابه بأن التوحيد يعنى الإيمان بالله والكفر بالطاغوت ، وذلك فى قوله : ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا** ﴾ (١) .

والطاغوت لفظ عام يشمل كل مايناقض التوحيد سواء كان قانونا أم فكرا ورؤوس الطواغيت كما ذكر محمد بن عبد الوهاب وكلها تؤدى للكفر :

الأول : الشيطان الداعى إلى العبادة لغير الله كما فى قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ (٢) .

الثانى : الحاكم الجائر المغير لأحكام الله ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ** ﴾ (٣).

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٦ .

(٢) سورة يس : الآية ٦٠ .

(٣) سورة النساء : آية ٦٠ .

الثالث : الذى يحكم بغير ما أنزل الله كما فى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) .

الرابع : الذى يدعى علم الغيب من دون الله .

الخامس : الذى يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة .

معنى ذلك أن عبادة الطاغوت مع الله أو من دون الله هو مدار الصراع بين الأنبياء وأقوامهم الكافرين .

وهذا الكفر الناتج عن عبادة الطاغوت يكون فى أمرين :

الأمر الأول : الإرادة والقصد بمعنى التوجه لغير الله بشئ من الشعائر وطاغوت هذا النوع يكون فى الصنم والوثن .

الأمر الثانى : فى الطاعة والانقياد بمعنى التمرد على شرع الله وعدم تحكمه فى شئون الحياة .

وهذه سمة جاهلية على مر التاريخ حتى ولو بلغت شأنا فى الحضارة ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ (٢) . ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (٣) .

وطاغوت هذا النوع الزعماء والكبراء والأوضاع والقوانين .

معنى ذلك : أن تحكيم القانون الوضعى هو نوع من أنواع الطاغوت .

ثم إننا إذا نظرنا فى معنى العبادة ومدلولها نجد أنها أوسع وأشمل من

---

(١) سورة المائدة : آية ٤٤ .
(٢) سورة المائدة : آية ٥٠ .
(٣) سورة الشورى : آية ٢١ .

مجرد إقامة الشعائر . . . إذ هى تتضمن الخلافة فــى الأرض ، وتقتضــى أيضا ألوانا من النشاط الحيوى فى عمــارة الأرض والتعــرف إلــى قواهــا وطاقاتها وذخائرها ومكنوناتها ، كما تقضى الخلافة القيام على شريعة الله فى الأرض لتحقيق المنهج الإلهى الذى تناسق مع الناموس الكونى العام [١] . . . هذا هو معنى العبادة .

وعلى ضوء هذا الفهم لمعنى الطاغوت والعبادة يتضح لنا معنى التوحيد الذى يتضمن الكفر بالطاغوت وأفراد العبادة لله .

وانطلاقا من هذا المفهوم نستطيع أن نوضح فى جلاء موقف الإســـلام من محاولة تطبيق الحكم الوضعى ذلك أنها تتنافى مع التوحيد من نـــاحيتين : من ناحية كونها حكما بغير ما أنزل الله ، ومن ناحية كونها شركا فى العبادة .

فالعلمانية إذاً نظام جاهلى لا مكان لمعتقده فى دائرة الإسلام بل هو كافر بنص القرآن : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [٢] .

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا ﴾ [٣] .

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٤] .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ [٥] .

---

(١) فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ج١ .
(٢) سورة المائدة : آية ٤٤ .
(٣) سورة المائدة : آية ٥٠ .
(٤) سورة النساء : آية ٥٥ .
(٥) سورة النساء : آية ٦٠ .

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ (١) .

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (٢) .

﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٣) .

معنى ذلك أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر . . . يقول ابن كثير عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ . (٤)

يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لايؤمن حتى يحكم رسول الله ﷺ فى جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذى يجب الانقياد له باطنا وظاهراً . ولذا قال : ﴿ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥) .

أى ينقادون له فى الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة . (٦)

وزيادة للإيضاح وقطعا لأى عذر ورداً لأى شبهة قد يتعلل بها رجال العلمانية زاعمين أن الإسلام ليس لديه مشروع سياسى ، وأنه لا صلة للدين

---

(١) سورة الأنعام : آية ١١٤ .
(٢) سورة التوبة : آية ٣١ .
(٣) سورة النور : آية ٤٧ ، ٤٨ .
(٤) سورة النساء : آية ٦٥ .
(٥) سورة النساء : آية ٦٥ .
(٦) ابن كثير ج١ ص ٥٢٠ .

بالسياسة ، من أجل ذلك سوف نفرد فصلا كاملا عن موقف الدين الإســـلامى من السياسة وذلك ببيان :

أولاً : مفهوم السياسة فى الإسلام .

ثانياً : هل تطبيق الشريعة يعنى القهر والظلم كما يدعى العلمانيون .

ثالثاً : موقف الإسلام من الديمقراطية .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

المبحث الخامس

العمل السياسى فريضة إسلامية

أولاً : مفهوم السياسة فى الإسلام

يذهب كثير من العلمانيين فى كتاباتهم إلى أن المعالجة النظرية لفكرة الدولة غائبة فى الفكر السياسى الإسلامى ، وذلك لأن الدولة بمفهومها الحديث سلعة غريبة مستوردة جاءت إلى العالم الإسلامى عنوة عن طريق المستعمر فى جانب منها وتدعمت فيه عن طريق اقتباس الحكام ومحاكاتهم لأساليبها ومنظماتها من ناحية أخرى . (١)

بل هناك من يرى أن الإسلام ذاته وهو الإطار التكوينى الذى يتأسس عليه الفكر الإسلامى لا يتضمن نظرية فى الدولة والسلطة والسياسة .

ونحن من جانبنا حين نرد على هذه الفرية لن نتحدث عما تركه لنا التراث الفكرى الإسلامى من نظريات وكتابات لو ضمت إلى بعضها لتكون منها تنظيم متكامل لبناء دستورى وإدارى عظيم .

أقول : لن نتحدث عن هذا ولن نتحدث عما تركه لنا الماوردى والغزالى وابن تيمية وابن خلدون .

ولكن حسبنا فى الرد على هذه الشبهة أن نرتقى مع الدولة فى إطارها الواقعى مستشهدين بوقائع ثابتة تبين لنا فى وضوح مدى اهتمام الإسلام بشئون الحياة السياسية كل ذلك من خلال بيان مفهوم العمل السياسى فى الإسلام ، وأن الإسلام لا يفرق بين السياسة والدين ، وأن العمل السياسى فرض عين على كل مسلم مستشهدين فى ذلك بنصوص صريحة وواضحة .

---

(١) نظرية الدولة فى الإسلام ص ٨٤ تأليف عبد الغنى بسيونى .
وانظر : الإسلام والسياسة للدكتور حسين النجار ، وكتاب المجتمع الإسلامى وأصول الحكم تأليف محمد الصادق عفيفى ، وكتاب الإسلام وفلسفة الحكم للدكتور محمد عمارة ، وكتاب مصر بين الدولة الإسلامية والعلمانية ص ٨٦ .

**** مفهوم العمل السياسى فى الإسلام :**

يقول المستشرق الألمانى الدكتور شاخت (أن الإسلام يعنى أكثر من دين ، أنه يمثل أيضا نظريات قانونية وسياسية ، وجملة القوم أنه نظام كامل من الثقافة ليشمل الدين والدولة معا) [1] .

ويقول الدكتور فتز جرالد (ليس الإسلام دينا فحسب ولكنه نظام سياسى أيضا ، وعلى الرغم من أنه قد ظهر فى العهد الأخير بعض أفراد من المسلمين يصفون أنفسهم بأنهم (عصريون) يحاولون أن يفصلوا بين الناحيتين ، فإن صرح التفكير الإسلامى كله قد بنى أساسا على حقيقة أن الجانبين متلازمان ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر) .

**** السياسة بمعناها الإسلامى :**

هناك اعتقاد سائد بين العامة فى عصرنا هذا أن كلمة السياسة معناها المناورات الحزبية والكذب على الجماهير ، وتضليلهم بمعسول الكلام والخطب الرنانة ، وهذه فكرة خطيرة وهدامة دسها علينا الاستعمار الغربى واقتنع الكثير من حكام المسلمين بها حتى أصبح منهم من يغشون شعوبهم وهم يتصورون عن جهل أن هذا من أصول السياسة ولوازمها . ومن العجيب أن ننقل هذه التقاليد عن الاستعمار الغربى فى حين أنهم فى بلادهم لو كذب حاكم منهم على شعبه أو غش لسقط إلى الأبد ولم يعد يثق به أحد . وفى حين أننا نجد فى ديننا من تعاليم الرسول مايقول (من غشنا فليس منا) ويقول (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة) [2] .

---

(١) نقلا من كتاب كيف نحكم بالإسلام ص ١٣٧ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام ٧١٥٠ ، ومسلم فى الإمارة ١٨٢٩ .

وهذه الفكرة القبيحة المشوهة التى رأيناها فى السياسة هى التى جعلت الإمام الكبير محمد عبده يقول فى كتابه (الإسلام والنصرانية) : (أعوذ بالله من السياسة ومن لفظ السياسة . ومن معنى السياسة . ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ، ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يعقل فى السياسة ، ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس) [١] .

إن السياسة فى معناها العلمى هى فن حكم الجماعة ، والحكم هنا لايعنى مجرد الرئاسة ولا التشريف ولكنه يعنى أساساً الإدارة أى الخدمات والإنتاج ، وهو يعنى معرفة مطالب الجماهير والعمل على تحقيق المطالب وحل المشاكل والجماعة المقصودة تبدأ من الجماعة الأولى أى الأسرة حتى تصل إلى الرعية كلها ، فالسياسة تعنى رعاية الأب لأسرته وصاحب العمل لعماله ، والزعيم لحزبه ، ورئيس الدولة لشعبه ، وقد جاء تعريف السياسة فى الموسوعة الألمانية أنها فن التعامل بالمصالح الكلية للجماعة وصولا إلى هدف السلام والرخاء العام ورعاية حاجات الناس من أجل تحقيق السعادة للكافة . ويعرفها المعجم الرائد بأنها (تولى أمر الناس وإرشادهم إلى الطريق الصالح وتدبيرها معاشهم على طريق العدل) . [٢]

وبرغم أن هذا هو آخر تعريف علمى للسياسة توصل إليه خبراء هذا العلم فى القرن العشرين فإن الإسلام قد نص عليه وحدده قبلهم بأربعة عشر قرنا من الزمان فرسول الله يقول : " ألا كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته ، فالأمير الذى على الناس راع ومسؤول عنهم ، والرجل راع على

---

(١) الإسلام والنصرانية ص ١٠١ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٩ .

أهل بيته وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولــده وهــي مسؤولة عنهم ، والخادم راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " . (١) .

فالسياسة فى الإسلام هى علم إدارة شؤون الرعية ورعايتها ، وقد سبق الإسلام كل ماعرفه التاريخ من نظم الحكم فى تحديد مسؤولية الحاكم واعتباره مسؤولاً عن تصرفاته أمام الرعية التى اختارته وأمام الله الذى يراقب أعماله بقول الرسول : " وكلكم مسؤول عن رعيته " . هذا هو المعنى الحقيقى لكلمة السياسة .

إنها أساساً خدمات وإنتاج :

١ – **الخدمات** : منها توفير أبواب العمل والرزق لكل فرد فى الرعية ، وتوفير المسكن المناسب لكل أسرة ، وتوفير التعليم والخدمات الصحية ، إلى جانب توفير كل أنواع الرعاية الاقتصادية والكفالة الاجتماعية لكل عــاجز أو عاطل عن العمل أو يتيم أو مسكين ، وكل أنواع الخدمات العامة ابتداء مــن تمهيد الطريق وشق الترع وتسهيل المواصلات وتأمين الناس فــى أرزاقهــم وحياتهم وعملهم إلى حماية حدود الوطن وأرضه .

٢ – **الإنتاج معناه** : حسن استثمار أموال الدولــة فــى المشــروعات الناجحة التى ترفع مستوى الدخل القومى ومساعدة الاقتصاد الــوطنى علــى النمو وتشجيع الناس على الرزق الحلال وتشجيع الصناعة والتجارة والتصــدير وهكذا .

---

(١) رواه البخارى كتاب العتق (٢٥٥٥) وأخرجه مسلم فى الأمارة (١٨٢٩) .

الإسلام لا يفرق بين السياسة والدين :

بل إن العمل السياسي خير عند الله ثوابا وهو من العبادات فرسول الله يقول : " عدل ساعة فى حكومة خير من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها " ، ويقول أيضا : " يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة " (١)

فالإسلام يختلف عن غيره من الأديان فى أنه الدين والدنيا معا ، وهو الدين الوحيد الذى أقام دولة وحكومة مثالية ، وأتى بنظام معين ومحدد للرياسة والحكم بل إن الله يأمر رسوله أمراً بأن يقيم نظاما للحكم مبنيا على القرآن فيقول : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ** ﴾ (٢) .

والإسلام بعد هذا هو الدين الوحيد الذى يجعل العمل الدنيوى الصالح فى منزلة كالعبادة والتقرب إلى الله ، بينما كان بن عباس - ﷺ - معتكفا فى مسجد الرسول إذ رأى رجلا حزينا جالسا فى طرف من المسجد فأقبل عليه يسأله عن سبب حزنه فلما علم بمشكلته قال له : قم معى وإن أقضى لك حاجتك فقال له الرجل : أتترك اعتكافك فى مسجد رسول الله من أجلى . فبكى ابن عباس فقال سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب يقول : لأن يمشى أحدكم فى حاجة أخيه حتى يقضيها له خير من اعتكافه فى مسجدى هذا شهر " . (٣)

---

(١) الطبرانى ج ١٨ ص ٢٨٠ .

(٢) سورة النساء : آية ١٠٥ .

(٣) الحديث رواه البيهقى والنذرى فى الترغيب والترهيب ج٢ ص ٢٧٢ ، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٧٦ .

هذا هو مفهوم العمل فى الإسلام خدمة الناس فى الإسلام عبادة وجميع أوامر الإسلام لا تفضل بين القيادة والعبادة وبين خدمة الجماهير وإقامة الصلاة وبين العمل الدنيوى والعمل الدينى .

والله تعالى يقول : ﴿ **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾ (١) .

فالله تعالى يربط بين الصلاة التى هى فريضة تعبدية وبين الزكاة التى هى ضريبة اقتصادية ، وبين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى هو ممارسة سياسية .

وهكذا نرى القرآن كلما ذكر العبادة ربطها بالعمل الدنيوى وخدمة الناس ، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ : " تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال صدقة ، وإماطتك الأذى والعظم عن الطريق صدقة ، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك صدقة ، وبصرك للرجل الردئ البصر صدقة " . (٢)

وكل عامل يؤديه الحاكم المسلم أو المسئول عن الرعية يكون فيه خدمات وإنتاج (أى سياسة) يعتبر عبادة وله عليها صدقة .

فالعدل بين الرعية ورفع الظلم عنهم عبادة فى نظر الإسلام .

وبناء المساكن وفتح المدارس وإصلاح الطرق وإنشاء المصانع وتشغيل العاطلين يعتبر عبادة فى نظر الإسلام .

---

(١) سورة الحج : آية ٤١ .

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب البر باب ٣٦ .

وأن تميط الأذى أو شوكة أو عظما عن طريق الناس عبادة .

وإيصال المعاش والرزق إلى الأرملة والعاجز والمسكين ، كل هذه الأمور التى هى من عمل أجهزة الحكم المتخصصة التى تتدخل فى بند الخدمات والإنتاج تعتبر فى نظر الإسلام عبادة وتقربا إلى الله وعملا صالحا يثاب عليه فى الدنيا والآخرة . وإذا حدث تقصير من المسئولين عن هذا العمل فعلى الرعية المسلمة تقديم النصح والتوجيه إليهم وتنبيههم إلى أخطائهم ، وهذا هو مايسمى فى دين الإسلام بالنصيحة ويسمى فى عصرنا الحديث بالنقد السياسى ، وقد بلغ من حرص الإسلام على توصيل الخدمات والإنتاج إلى الناس (أى العمل السياسى) بل إنه جعل المقصر فى ذلك كالمكذب بدين الإسلام من أساسه فالله تعالى يقول : ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ❁ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ❁ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ (١) .

ومعنى الآية أن ترك أحد أفراد المجتمع الإسلامى بلا عمل أو كفالة اجتماعية ، أو يتيما بلا مأوى إلى آخر ذلك من خدمات الدولة والتزاماتها فذلك هو التكذيب بالدين ، ومن الأمثلة الحية التى تربط بين السياسة والدين وتبين شعور الحاكم الصالح بالمسئولية أمام الله عن كل عمل سياسى هى تلك الكلمة التى جاءت على لسان عمر – ﷺ – : " والله لو أن بغلة عثرت بحجر فى أرض بالعراق لحسبت أن الله سيحاسبنى لماذا لم أمهد لها طريقها " . (٢)

وهكذا من الصعب بل من المستحيل الفصل بين السياسة والدين فى الإسلام . وكل مواطن مسلم سواء كان حاكما للدولة أو عضوا فى حزب أو

---

(١) سورة الماعون : آية ١ : ٣ .

(٢) مناقب عمر لابن الجوزى .

ناخبا يدلى بصوته أو مهندسا فى مصنع أو طبيبا فى مستشفى أو ناقدا صحفيا أو سياسيا وكل فرد فى الأمة عليه واجب أمام الله من موقع عمله فى الخدمات والإنتاج ، وفى المراقبة والنقد وفى النصح والتوجيه ، وكل هذه الأعمال التى توضع تحت بند العمل السياسى والنقد السياسى هى فى الواقع من صميم الدين الإسلامى الذى يرفض المبدأ القائل : " أعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله " بل يعلن : ﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ (١) .

والإسلام فى هذا حازم كل الحزم وهو لا يقبل التجزئة إلى نوعين من التعليم منها ما يختص بالدنيا والسياسة ، ومنها مايختص بالآخرة والعبادة ، بل يعتبر كل منهما مكملا للآخر فلا تصلح آخرتنا بغير صلاح دنيانا ، ولا تكمل عبادتنا بغير أن تصلح سياستنا والله تعالى يقول فى ذلك : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾ (٢) .

العمل السياسى فرض على كل مسلم :

يقول الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعتبر التزاما على المسلم وفريضة يجب أن يؤديها ، وقد يظن البعض أن المقصود بالمعروف والمنكر هنا (هو مراقبة أوامر الدين كالصلاة والصوم ومحاربة الربا والخمر . . الخ) وهذا

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٤ .
(٢) سورة البقرة : آية ٨٥ .
(٣) سورة آل عمران : آية ١٠٤ .

تفكير خاطئ ويتنافى مع طبيعة الإسلام ، فكلمة الأمر بالمعروف لا تقتصر على الصوم والصلاة ، ولكنها أمر عام فى العدل والإصلاح والنقد والنصح ، وكلمة النهى عن المنكر لا تقتصر على محاربة الخمر والربا والفساد ولكنها نهى عن كل ما يضر الرعية المسلمة أو يبدد أموالهم أو يضعف قولهم أو يفرق بينهم أو يضيع حقوقهم ، وبهذا المفهوم الحقيقى للإسلام يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر نوعا من الممارسة السياسية وتصبح ممارسة السياسة فريضة على كل مسلم لايمكنه التهرب منها بالسلبية والانطواء والعزلة ، بل عليه أن يأمر بالإصلاح ويحارب الباطل بيد ه فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ، وعلى كل مسلم أن يهتم بشئون المسلمين العامة وقضاياهم السياسية ، وعليه أن يدرس مشاكلهم على اختلاف أسبابها وأنواعها سواء منها :

- المشاكل الاجتماعية كالطلاق وتعدد الزوجات والطفولة المشردة والخلافات العائلية والقبلية والطبقية .
- أو المشاكل الاقتصادية مثل مستوى دخل الفرد والمشروعات الانتاجية والموارد الطبيعية والاستعمار الاقتصادى .
- أو المشاكل الثقافية مثل محو الأمية وتعليم الدين وتربية النشئ كل هذه الأشياء فريضة على كل مسلم أن يعلمها ويدرسها فرسول الله ﷺ يقول : " لا خير فيمن كان من أمتى ليس بعالم ولا متعلم " وليس القصد بقوله عالم أو متعلم هو العلم الدينى وحده بل جميع علوم الحياة وأولها مشاكل المسلمين ، وكل من يحاول العزلة عن مشاكل المسلمين ومآسيهم ومطالبهم مدعيا

أنه يريد التفرغ للعبادة وحدها وللدين وحده فهذا هو المكـذب بالدين ، وهذا هو التدين الكاذب الذى يرفضه الإسلام ، فرسول الله يقول : " المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم " . (١)

فالإسلام فى هذا حازم وقاطع ، ولا يقبل الرهبانية ، واعتزال النـاس ، ومن أهم واجبات المواطن المسلم بعد اختلاطه بالناس ودراسته لمشـاكلهم أن يعمل على حلها بتقديم النصيحة للحكام والمسئولين وأولى الأمر وهو مايسمى فى عصرنا بالنقد السياسى والممارسة . فرسول الله يقول (الدين النصيحة) قالوا لمن يارسول الله . قال : لله ورسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم . (٢)

والذى يقصر فى تقديم النصيحة سواء كان ذلك بسبب السلبية والانطواء ، يعتبر فى نظر الإسلام آثما ، يصيبه من الذنب ما يصيب المفسدين والمضللين ، فالله تعالى يقول : ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** ﴾ (٣) .

أى أن العقوبة والجزاء فى الدنيا والآخرة لا تقع على المفسدين الظالمين وحدهم ولكن على الأمة إذا تواكلت وسكتت عن الخطأ والباطل .

والإسلام لا يقبل من المسلم أن يكون ضعيفا فى الحق مهما كان البطش والعذاب الذى يتعرض له : فالله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّـاهُمْ الْمَلائِكَـةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ (٤).

---

(١) رواه الترمذى وقال بن حجر إسناده حسن مجمع الزوائد ج١ ص ٣٣٠ .

(٢) رواه البخارى كتاب الإيمان ج١ ص ١٦٦ .

(٣) سورة الأنفال : آية ٢٥ .

(٤) سورة النساء : آية ٩٧ .

وهذه الآية وحدها تحمل أكثر من معنى من معانى الحرية السياسية :

أ – فهى تحث المظلوم المضطهد على مقاومة الظلم والانتصار لحقه .

ب – وهى تذكرة بأن العمر واحد والرب واحد ، ومصيرنا جميعا إلى القبر ، فخير للإنسان أن يموت عزيز النفس وهو يقاوم الظلم فيصبح شهيدا ، من أن يموت راضيا بالمذلة والهوان .

ج – وهى تنذر المظلوم الخانع المستكين بأن يعامل معاملة الظالم فيحشر معه فى النار .

د – وهى أخيرا تحث أصحاب المبادئ على الفرار بعقائدهم من وجه الظالم فأرض الله واسعة ، والمبادئ النبيلة لاتحدها أرض ولا وطن .

وهكذا نرى أن كلمة الحق التى نسميها فى عصرنا الحاضر (حرية الرأى ، وحرية النقد) تعتبر فى نظر الإسلام جهادا وفريضة على كل مسلم ، وثواب كلمة الحق أعظم كلما كانت شاقة وعسيرة فرسول الله يقول : " أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " . (١)

والمجاهد فى سبيل كلمة الحق كالمجاهد فى سبيل الله ، وإذا مات فى سبيلها فهو شهيد وأجره أجر الشهداء .

وقد بلغ من روعة الإسلام واهتمامه بممارسة حرية النقد السياسى أن يحذر من إنهيار الأمم وبداية زوالها عندما يحجم علماؤها وأصحاب الحكمة والرأى فيها عن معارضة الحاكم المستبد ، وعن قول كلمة الحق فى وجهه ،

---

(١) متفق عليه مجمع الزوائد ٢ ص ٣٦٩ (٧٨٩٩) .

وفى هذا يقول رسول الله ﷺ : " إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب " (١) ومن هذا كله نرى أن الإسلام يحثنا على الالتحام بالحياة وعلى ممارسة كل أنواع العمل السياسى سواء كان :

خدمات تؤدى إلى الجماهير .

أو انتاجا يرفع مستوى الدخل .

أو نقدا أو نصيحة يراعى فيها وجه الله وصالح المسلمين .

فمثل هذا العمل السياسى يعتبر التزاما وفريضة على المسلم يجب أن يؤديها ﴿ **حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ﴾ (٢) .

وإذا كان الإسلام يلزم الرعية بممارسة السياسة فمن البديهى والمنطقى أن يهيئ لهم حرية ممارسته ويكفل لهم كافة الضمانات لحرية الرأى وحرية النقد .

هل القهر والظلم مرتبط بتطبيق الشريعة :

يرى البعض أن تطبيق الشريعة فى هذا العصر يعنى قهر وظلم إذ أن الحاكم الدينى ربما يستغل الدين فى هذا القهر ، فالحكم بالدين أكثر تعرضا للجور والانحراف من الحكم العلمانى . (٣)

وقد استندوا إلى بعض التطبيقات الخاطئة فى وقتنا المعاصر مثل إيران ، فما مدى صحة هذه الدعوى هذا يستدعى أن نوضح مدى حرية الفرد وسيادة القانون فى الإسلام .

---

(١) رواه أصحاب السنن .

(٢) سورة الأنفال : آية ٣٩ .

(٣) د . فرج فوده كتاب حوار حول العلمانية ص ٣ .

ثانيا : حرية الفرد وسيادة القانون فى الإسلام : [١]

يفخر رجال القانون فى أوربا بأن أقدم وثيقة تاريخية تقرر حرية الفرد هى العهد الأعظم (الماجناكارتا) الذى صدر سنة ١٢١٩ ، والذى من أهم نصوصه : أن الرجل حر لا يقبض عليه ولا يسجن ولا يجرد من ممتلكاته ولا يهدر دمه ولا ينفى ولا ينال بأى ضرب من ضروب الإيذاء إلا بناء على حكم صادر بمقتضى قوانين البلاد .

أما فى الساحة الإسلامية فإن أول وثيقة لحرية الفرد قد نزلت فى القرآن وفى القرن السادس الميلادى أى قبل العهد الأعظم بستة قرون . فعندما أراد الخليفة عمر بن الخطاب أن يقبض على جماعة متلبسين بشرب الخمر فى بيتهم اعتلى سور البيت وفاجأهم صاح أحدهم فى وجهه قائلا : مكانك ياعمر (أى إلزم حدك) . لقد جئنا بواحدة فجئتنا بثلاث . أى جئنا بمخالفة واحدة للقانون فارتكبت أنت ثلاث مخالفات .

الأولى : دخلت البيت دون استئذان والله يقول : ﴿ **فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ** ﴾ [٢] .

والثانية : دخلت البيت من فوق السور والله يقول : ﴿ **وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** ﴾ [٣] . والثالثة : تجسست علينا والله يقول : ﴿ **وَلا تَجَسَّسُوا** ﴾ [٤] .

---

(١) انظر ذلك كتاب النظريات السياسية الإسلامية للدكتور محمد ضياء الدين الريس – دار التراث كتاب نظريته القيم السياسية للدكتور حامد ربيع مكتبة نهضة الشرق .

(٢) سورة النور : آية ٢٨ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٨٩ .

(٤) سورة الحجرات : آية ١٢ .

فذهل الخليفة عندما اكتشف خطأه . [١] ووقف يعتذر إليهم ولـم يسـتطع أن يوقع عليهم الحد والعقوبة لأن إجراءات التفتيش والقبض لم تكن قانونية .

فهل هناك ضمانات لحرية المساكن ولأمان الناس فى بيوتهم ولسـرية المراسلات ولسيادة القانون أعظم من هذه الآيات القرآنية ؟

وإذا كان الإسلام يعتبر اتهام المسلم (ولو بما فيه) محظورا طالما كان الاتهام غير قانونى .

فإنه لايرحم أو يتهاون فى مسألة اتهام المسلم ظلما أو تلفيق تهمة باطلة إليه بسبب نشاطه السياسى أو معارضته للحاكم . يقول الرسول ﷺ : " أتدرون أربى الربا ؟ " قالوا الله ورسوله أعلم . قال : إن أربى الربا استحلال عرض امرئ مسلم " ثم تلا قول الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** ﴾ [٢] .

وقد سبق الإسلام كل دساتير العالم فى اعتبار الشهادة أو الإقرار بجرم باطلا إذا أخذ تحت أى نوع من التهديد أو الضغط فرسول الله يقول : " رفـع القلم عن أمتى فى ثلاثة أمور الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " . [٣]

ويقول عمر بن الخطاب : " ليس الرجل بمأمون على نفسه أن أجعته أو أخفته أو حسبته أن يقر على نفسه " . وهذه القاعدة تمنـع أى ضـغط علـى الشاهد أو المتهم سواء بالحبس أو الإجاعة أو التخويف بقصد أخذ أى إقـرار عليه .

(١) راجع كتاب عمر بن الخطاب للأستاذ محمد الأبراشى ص ٦٦ .
(٢) سورة الأحزاب : آية ٥٨ . انظر كتاب كيف نحكم بالإسلام ص ١٧٢ .
(٣) ابن ماجد عن ابن عباس . وقال السيوطى حديث حسن . المناوى ج١ ص ٢٦٣ .

والإسلام يحفظ للمسلم دمه فلا يهدر ويحفظ له ماله وملكه فلا يصادر ويحفظ له كرامته فلا تهان ، وقد نهى الرسول عن اغتصاب ملك المسلم أو مصادرته إذ يقول :" لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا من أخيه إلا بطيب نفس منه " . (١)

وسئل الرسول " أى الظلم أظلم ؟ قال : ذراع من الأرض ينتقصها المرء المسلم من حق أخيه المسلم " (٢) .

وتعتبر خطبة الوداع التى ألقاها الرسول قبل وفاته أعظم وأقدم وثيقة لحقوق الفرد فى التاريخ . فهى أول بيان من نوعه يتعهد فيه الحاكم إلى رعيته بأن الدولة مسئولة عن صيانة دمائهم وأموالهم وأعراضهم إذ يقول : " إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا هل بلغت فليبلغ الشاهد منكم الغائب " . (٣)

وعندما حضرته ﷺ الوفاة تحامل على نفسه برغم المرض وقام فى المسجد يؤكد هذا المعنى مرة أخرى ويجعل من نفسه القدوة فى صيانة حقوق الفرد فقال : " من جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منى ، ومن أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منى " (٤) وحتى يبين الرسول لآلاف بل ملايين الحكام الذين يأتون من بعده

---

(١) رواه البخارى كتاب المظالم (٢٤٥٣) .
(٢) رواه أحمد الطبرانى فى الكبير وإسناد أحمد حسن (الترغيب والترهيب) ج ٣ ص ٥٤ .
(٣) متفق عليه .
(٤) أخرجه أحمد بن حنبل .

أن حرية الرأى والمطالبة بالحق لا يجب أن تغضب الحاكم أو تثير حفيظتـــه قال : " ولا تخشوا الشحناء من قبلى فإن الشحناء ليست من شـــأنى . . ألا أن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة " وصلى الرسول بعد ذلك بالناس ثـــم عاد إلى المنبر فأعلن نفس مقالته كى يؤكدها .

وإلى جانب تقديس الدولة لحقوق الفرد فى الإسلام فإن المواطن المسلم من ناحيته مطالب بالتمسك بحقه ، والإعتزاز بكرامته ، والرد على المسئول الذى يسلبه حقه لأن التسامح فى الحق يغرى الظالم ويزيده استهتاره بحقـــوق الناس ، والإسلام هو فى هذا الدين الوحيد الذى لا يقول " من ضربك علـــى خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ، ومن جذبك من رداءك فاترك له الثـــوب كله " ولكن الله تعالى يقول :

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ۞ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۞ وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ۞ إِنَّمَا السَّـــبِيلُ عَلَـــى الَّـــذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [١] .

وهذه الآية تحمل أكثر من مبدأ واحد فى آية واحدة :

أ – فهى تحث المظلوم على مقاومة الظلم والانتصار لنفسه ولحقه .

ب – وتحثه فى نفس الوقت على أن لا يسئ فى استعمال حقه ويتمادى فى انتقامه بل جزاء سيئة سيئة مثلها .

---

(١) سورة الشورة : آية ٣٨ – ٤٢ .

ج – وهى تحمى المعترض على الظلم والذى يقاوم الظلم من أى لون من اضطهاد أو عقاب من قبل السلطة ﴿ **وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ** ﴾ [١] .

ومن المهم أن تلاحظ هنا قوله : ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ** ﴾ فالعفو لا يأتى إلا بعد مقدرة ولا يأتى عن تهاون واستكانة . ومعنى ذلك أن ينتصر الإنسان لكرامته وحقوقه أولا . وعندما يتمكن من ظالمه ويشعره بخطأه فهنا فقط يحق له أن يعفو من مركز القوة . وكلمة (وأصلح) أيضا لها مغزى كبير فى هذا الموقف ، فهى تعنى إصلاح الأخطاء التى أدت إلى الظلم ، حتى لا يقع فيه شخص آخر ضعيف .

د – وهى أخيرا تنذر الظالم بعذاب أليم وتحذره مغبة ظلمه والإسلام فى مطالباته المواطن الانتصار بحقه والدفاع عنه يصل إلى حد اعتبار ذلك جهادا فى سبيل الله وفريضة على كل مسلم ومن قتل فى سبيلها فهو شهيد . فرسول الله يقول : " من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينته فهو شهيد ، ومن قتل دون مظلمته فهو شهيد " [٢] . وقد جاء رجل إلى رسول الله يسأله (يارسول الله أرأيت إذا أراد رجل أن يأخذ مالى ؟) فقال الرسول (لا تعطه) قال إذا قاتلنى ، قال (قاتله) قال أرأيت إذ قتلنى ، قال (فأنت شهيد) فقال ، أرأيت إذ قتلته ، قال (فهو فى النار) . [٣]

إن أمة يبلغ بها الوعى واليقظة والتمسك بالحق هذا المدى الذى ينظمه لها القرآن لا يمكن أبدا أن يظلمها حاكم أو مستعمر أو غاز مهما بلغت قوته وضراوته .

---

(١) سورة الشورى : آية ٤١ . انظر ص ١٧٤ من كتاب كيف نحكم بالإسلام .
(٢) رواه البخارى فى كتاب المظالم ج٢ ص ١٤٧ من فتح البارى .
(٣) رواه النسائى وابن حنبل .

فالإسلام يربى فى المسلم عزة النفس والتمسك بالحق حتى ولو كان أمام أكبر رأس فى الدولة ، وكان الرسول يحرص أن يجعل مــن نفســه القــدوة والمثل الأعلى فى ذلك وكان يقبل أن يقتص أى فرد من الرعية منه إذا أخطأ فى حقه .

بينما كان عمر بن الخطاب يسير فى المدينة على عهد رســول الله إذ قابله رجل من عامة المسلمين وشكى إلى عمر مــن أن رســول الله ضــربه وجرحه فى بطنه . قال وهل راجعته فى ذلك قال : كلا . قال عمر : إذهــب إلى رسول الله وراجعه وسوف يرضيك . فقال الرجل : إذهب يــاعمر فــى سلام فلست أريد أن أخاصم رسول الله . فقال عمر : ولكنى والله ما أتركــك فإن كان ما تقوله حقا فسوف يرضيك رسول الله . وإن لم يكن ماتقوله حقــا فلن يتركك عمر وذهبا معا إلى رسول الله فقال عمر : إن هذا يقول إنك قــد ضربته وأدميته فانظر يارسول الله ما أنت فاعل . قال الرسول للرجل : أنــا فعلت ذلك ؟ قال : نعم . قال هل لك شهود على ذلك . فقال : نعم . ونــادى الرسول على الشهود ، وأخذ يسألهم فقالوا " نعم يارسول الله أنــت ضــربته وجرحته دون قصد فقد كنا نقف فى الصف وأنت تعدنا للقتال وكان الرجــل يقف خارج الصف ، وكانت فى يدك جريدة قد نزعت كل نصالها إلا نصــلا واحدا لم تفطن إليه فدفعته بها فى بطنه وقلت له : استوى فى الصف فجرحه النصل دون أن تقصد ذلك . قال له الرسول : الآن أنت صاحب حق . فاختر واحدة من ثلاث : أتقبل أن تعفو عنى ؟ قال : لا . قال الرسول : أتريــد أن أعوضك من مالى ؟ . قال : لا . قال الرسول : أتريــد أن تقــتص منــى . قال : نعم . فكشف الرسول ﷺ عن بطنه والصحابة مــن حولــه ينظــرون . وسلموا إلى الرجل الجريدة التى كانت فى يد الرسوللكى يضربه بها . ومضت

لحظات وإذا بالرجل يخر باكيا ويقبل الرسول . ويقول له : فداك أبى وأمى يارسول الله . والله ما أردت أن أخاصمك أو أقتص منك . ولكنى أردت من ذلك أن يكون درسا للحكام من بعدك . [١]

من هذه الأمثلة كلها نجد أن التربية السياسية فى الإسلام تختلف عنها فى النظم المدنية .

الإسلام يعتمد فى الحرية السياسية على تربية الفرد وتعليمه الاعتماد على نفسه ، وإيقاظ روح العزة والكرامة فيه حتى يرد الظلم عن نفسه .

أما النظم المدنية فتعلم الفرد الاعتماد على السلطة فى رد الظلم ، فإذا كانت السلطة نفسها ظالمة أو منحرفة ضاعت حقوقه [٢] . ولهذه الحقيقة أهمية كبيرة فى التاريخ الإسلامى ففى عصور انحراف الخلافة والسلطة كانت الأمة الإسلامية تحتفظ بتماسكها وقوتها لأن الإسلام قد ربى هذه الأمة ، وجعل كل فرد فيها أمة قائمة بذاتها ، وهذه الأمة لا تعتمد فى قوتها على صلاحية الحاكم .

وكثيرا ما مرت بالمسلمين خلافة منحرفة أو لاهية ومع ذلك كانت الأمة فى قمة الازدهار والقوة .

مبدأ سيادة القانون فى الإسلام :

فى ظل حكم القوانين الوضعية يستطيع أى حاكم لو أراد أن يقضى على خصومه بالتحايل على القانون أو تعديله أو تخطيه بل يستطيع أيضا إضافة بنود جديدة إلى القانون بحجة حماية النظام وتأمينه وهى فى الواقع لحماية نفسه والقضاء على خصمه السياسى .

---

(١) الدارمى فى الرقاق ص ٥٢ .

(٢) نفس المصدر ص ١٧٧ .

أما فى ظل الحكم الإسلامى فإن واضع القانون هو الله ، وليس البشر وإذا كان قانون البشر يمكن أن يتخطاه أو يعدله بشر مثلهم فإن قانون السماء لايمكن أن يعدله بشر ، ولا يمكن التلاعب فيه أو تخطيه ، وهذه الحقيقة من أهم الفوارق بين الإسلام وغيره من نظم الحكم المدنية .

فالإسلام فى تمسكه بقانونه ودستوره حاسم كل الحسم شديد كل الشدة لا يعرف فى الحق تهاونا ولا تساهلا فيقول الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ** ﴾ [1] .

وفى مواضع أخرى يقول عنهم (هم الكافرون) (وهم الفاسقون) فلننظر فى آثار هذا التدقيق على مبدأ سيادة القانون . إن التاريخ كله لا يعرف دولة واحدة احترمت قوانينها وجعلت لها مثل هذا التقديس كما فعل العرب فى صدر الإسلام .

انظر إلى موقف أبى بكر الصديق أول خليفة مسلم من فاطمة بنت رسول الله وكيف طبق الخليفة ومجلس الصحابة القانون على ابنة أحب خلق الله إليهم فحرموها من الميراث من أبيها . . . فتغضب فاطمة وتبكي وتقول :

(يا أبت يا رسول الله . . . ماذا لقينا بعدك من أبى قحافة وابن الخطاب) فيبكى الناس جميعاً لبكائها . . ويأتى أبو بكر وعمر ويحاولان لقاءها ليشرحا لها أنهما إنما ينفذان تعاليم الإسلام فترفض مقابلتهما . . . ثم يتحايلان على زوجها على ابن أبى طالب حتى يدخلهما عليها . . . فإذا بها تقابلهما وهى تبكى على فراشها ووجها نحو الحائط ولا ترد عليهما السلام . . ويتكلم أبو بكر وهو يتمزق حزنا لألمها . . . ويقول باكياً :

---

(١) سورة المائدة : آية ٤٥ .

يا حبيبة رسول الله : والله إن قرابة رسول الله أحب إلى من قرابتـــى وإنــك أحب إلى من عائشة ابنتى . . . ولو وددت يوم مات أبوك ولا أبقى بعـده . افترانى اعرفك واعرف شرفك وفضلك وامنعك حقك وميراثك مـــن رســول الله . . . إلا إنى سمعته ﷺ يقول : (نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه فهو صدقة) (١) .

قالت : (أرأيتما إن حدثتكما حديثاً عن رســول الله تعرفانــه) قــالا : (نعم) ، قالت : ألم تسمعا قول الرسول (فاطمة بضعة منى) (٢) ، قــالا : نعم سمعناه . . . ، قالت : إنى أشهد الله أنكما استحطتمانى وما أرضــيتمانى ولئن لقيت رسول الله لأشكوكما إليه ، وعادت إلــى بكائهــا . . . وخــرج الزائران يبكيان من بكائها . . . (٣) .

ولكن القانون هو القانون . . . ولا مجاملة فى الحق . . . وليس أبــو بكر ولا عمر بالذى يستثنى أحداً من القانون . . . فماذا يفعل أبو بكــر . . . لقد فعل ما يفعله أى حاكم ديمقراطى فى عصرنا . . . لقد خرج يطرح الثقة بحكمة . . . وجمع الناس وطلب منهم أن يقيلــوه مـــن البيعـــة . . . فــإذا بالصحابة رغم حبهم لبنت الرسول تتغلب عقولهم على عواطفهم : ويجددون لأبى بكر البيعة والعهد على أن تكون السيادة فى الإسلام للقــانون ، وهكــذا انتصر القانون فى الإسلام فى أول صدام مع الأحداث بعــد وفــاة الرســول مباشرة . . .

---

(١) فتح البارى ج ١٢ ص ٨ .

(٢) البخارى ج ٥ ص ٢٦ .

(٣) لقد تجنى طه حسين على خليفة رسول الله أبى بكر واستغل هذه الحادثة أسوأ إستغلال مـــع أنه من المفروض أن تكون هذه الحادثة وسام على صدر أبى بكر .

وهنا قد يقول قائل تأخذه الشفقة ببنت الرسول . . . وماذا كان على أبى بكر لو أنه ترك لبنت الرسول ميراث أبيها . . . الا يمكن أن نتخطى القانون مرة واحدة ما دام رائدنا هو الخير والمساعدة وإكراما لزعيم هذه الأمة وهنـا تتجلى لنا روعة الإسلام وعظمة أبى بكر وصحابة رسول الله والأولين . . . فأى حاكم صالح إذا تخطى القانون ولو مرة واحدة وفى سبيل الخير ، فسوف يعطى المثل لغيره ولابد أن يأتى يوم يتخطون القانون فى الشر وفى الإعتداء على حقوق الناس .

والمجاملة فى الخير لا تقل خطراً ولا شراً عن المجاملة فى الشر هـذا ولإن جاز تخطى القانون البشرى من أجل الخير فإن الشريعة لا يجوز فيهـا ذلك ، ولئن قيل الرحمة فوق القانون فهذا يصح فيما قننه البشر القاصرون أما تشريع السماء فهو الرحمة ذاتها ، ولم يعرف تاريخ الإنسانية كله أمة تحرص على سيادة القانون حتى وهى تبنى أماكن العبادة والتقديس كمـا حـدث فـى توسيع مسجد رسول الله ﷺ ، فقد قال عمر حين اتسـعت رقعـة الإسـلام : سمعت رسول الله يقول : (ينبغى أن نزيد فى مسجدنا) ثم دعا كل صـاحب دار حول المسجد وقال لهم : اختاروا منى بين ثلاث خصال : أما البيع فأثمن وأما الهدية فاشكر ، وأما الصدقة على مسجد رسـول الله . . . فأجـابوه إلا العباس بن عبد المطلب الذى رفض الخصال الثلاث . . . فغضب عمر وقال له : إذا أهدمها . . . قال العباس : ليس لك ذلك أيضاً . . . فانطلقا إلى أبى ابن كعب يحتكمان فقال أبى : إنى أحدثكما بحديث سمعته من رسول الله قال : (إن الله أوصى إلى داود أن ابن بيتاً أذكر فيه . . . فخط داود خطـة بيـت المقدس فإذا فيها بيت رجل من بنى إسرائيل ، فسأله داود أن يبيعه إياها . . . فأبى . . . فحدثت داود نفسه أن يأخذها فأوحى الله إليه . . . أن يا داود . . .

أمرتك أن تبنى لى بيتاً أذكر فيه فأردت أن تدخل فى بيتى الغصب ، وليس الغصب من شأنى . . . وإن عقوبتك ألا تبنيه : قال يا رب فمن ولدى قال : فمن ولدك . . . وبناه سليمان بن داود ، فلما سمع عمر بحديث أبى أخذ بمجامعة وسار به حتى دخل المسجد فوقفه على أصحاب رسول الله ، وقال له لا أدعك حتى تأتينى بشهود على هذا الحديث فشهد نفر من الصحابة أنهم سمعوه أيضاً ، قال أبى : يا عمر أتتهمنى على حديث رسول الله قال عمر والله يا أبى ما إتهمتك ولكنى أردت أن يكون الحديث عن رسول الله ظاهراً وقال العباس : اذهب فلن اعرض لك فى دارك قال العباس : أما إذا قلت ذلك فإنى قد تصدقت بها على المسلمين أوسع عليهم مسجدهم أما وأنت تخاصمنى فلا) [١] .

فلننظر إلى آثار هذا التشدد فى أحكام الدين وكيف كان العامل الرئيسى فى صيانة حقوق الفرد فى الإسلام وفى منع الحاكم المسلم من الجور أو الإنحراف أو تخطى القانون . . . [٢] .

ذات يوم رأى عمر بن الخطاب فى إحدى جولاته فى البادية امرأة على معصية ولم يرد أن يطبق عليها الحكم إلا بمشورة مجلس الصحابة فى حكم الدين فقال لهم : (ما رأيكم لو أن أمير المؤمنين شاهد امرأة أو رجلاً على معصية أتكفى شهادته لإقامة الحد) .

وهنا يتداول الصحابة ثم يقولون له وعلى رأسهم على ابن أبى طالب : (يأتى بأربعة شهداء أو يجلد حد القذف شأنه فى ذلك شأن سائر المؤمنين) فسكت عمر [٣] .

---

(١) الرواية بتمامها فى كنز العمال ج ٤ ص ٢٦٠ وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٣ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٨١ .

(٢) نفس المصدر ص ١٨١ .

(٣) مناقب عمر لابن الجوزى .

فانظر كيف اجتمع الصحابة على أن الحاكم حتى وهو يباشر سلطاته المشروعة إلا أنه مقيد بالقانون وإذا تخطى هذا القانون وجب عليه العقاب حتى لو كانت العقوبة هى الجلد فشأنه شأن سائر المسلمين ، ثم انظر بعد ذلك إلى أى مدى يصون الإسلام حقوق المواطن حتى لو كان متهما بجريمة أخلاقية طالما لم تتوافر أركان الإتهام . . . فما بالك لو أراد هذا الحاكم أن يلصق تهمة باطلة بأحد خصومه السياسيين لكى يتخلص منه كما يحدث الآن ؟

ننتقل من هذه الواقعة إلى واقعة اخرى فى عهود الظلم والإستبداد التى كان الخلفاء فيها يحاولون الإستفادة من الدين فى القضاء على معارضيهم . . وكيف كان موقف الدين ورجال الدين منهم .

لما أجلى عبد الله بن على بنى أمية عن الشام جمع فقهاء المسلمين ووضع السيافين خلف رؤوسهم وحاول أن يستصدر منهم فتوى تحل ما صنعه فى بنى أمية من قتل وتشريد ومصادرة الأموال ولكنه فوجئ بالإمام الأوزاعى على رأس العلماء لا يحفل بالسيف المسلط على رأسه ، قال له : ماذا ترى فيما صنعنا من إزالة أيدى أولئك الظلمة (يعنى بنى أمية) عن البلاد والعباد أجهاد هو ؟ [1] .

قال الأوزاعى : يقول رسول الله ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى) رواه البخارى . . . قال ما تقول فى دماء بنى أمية ؟ قال :

---

(١) مواقف حاسمة فى الإسلام (دار الفكر) ص ٥٠ .

يقول الرسول ﷺ : (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) (١) .

فنكت بسيفه فى صدره واخذ من حوله يلوحون بسيوفهم فوق رأسه ، وقال له : ما تقول فى أموالهم ؟ قال الأوزاعى : إن كانت فى أيديهم حرام فهى حرام عليك أيضاً وإن كانت لهم حلالا فلا تحل لك إلا بطريق شرعى فلما استيأس منه بالإرهاب أمر بحبسه فأخذ الناس يسألون الإمام : ما حملك على ذلك والسيف على رأسك ؟ قال : حملنى على ذلك ما أخذ الله على العلماء من المواثيق ﴿ ليبيننه للناس ولا يكتمونه ﴾ .

فهل هناك حجة بعد ذلك لمن يدعى أن الحكم بالدين أكثر تعرضا للجور والإنحراف من الحكم العلمانى . . أو أن الحاكم الدينى قد يستغل الدين فى القهر والظلم . . وكيف يكون ذلك وهذا هو الدين ، وهذه هى أوامره وقوانينه فأما أن يتبعها الحاكم ويحترمها ويصونها . . بل ويقدسها . . وأما أن تسقط شريعته ويخسر دينه ودنياه فى وقت واحد .

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

---

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم وقد ثار حول هذا الحديث جدل عنيف من جانب العلمانيين وقد حاول خليل عبد الكريم ابطال هذا الحديث بحجة أن الأوزاعى لم يكن ثقة وإنما كان متهماً فى دينه وكان يمالئ بنى أمية فاختلق على الرسول ﷺ هذا الحديث ليتخلص حكام بنى أمية من مخالفيهم – هكذا قال العلمانى خليل عبد الكريم فى مقال له فى جريدة القاهرة أثناء دفاعه عن الدكتور نصر أبو زيد انظر مجلة القاهرة عدد سبتمبر ١٩٩٤ وانظر كتاب أحكام الردة والمرتدين د / مزروعة .

ثالثاً : الديمقراطية فى الإسلام

يذهب البعض إلى : أن الإسلام والحكم بالشريعة لا يتفقان مع ما تنادى به الديمقراطية إذ لا تجتمع ديكتاتورية وديمقراطية ، وقد زعم هذا البعض ان الحاكم المسلم لا يدع مجالاً لأراء المخالفين فليس هناك ديمقراطية فى الإسلام (١) .

نحن هنا تجاوزنا وأطلقنا على مبدأ الشورى فى الإسلام ونظام الإسلام أنه ديمقراطى بيد أنه فى الحقيقة يختلفان حيث أن الديمقراطية فى الغرب هى حكم الشعب للشعب ، فالشعب هو المشرع وهو الذى يضع الدستور الذى تسير عليه النظم فإن كانت المصلحة فيما يرى الشعب تقتضى غباحة المحرمات فلها ذلك .

أما الإسلام فغن الشعب محكوم من قبل الله عز وجل فهو المشرع الأعلى إذ هو الخالق الذى يعلم مصالح المخلوقين : **﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾** (٢) .

معنى ذلك أن الديمقراطية فى الغرب تختلف عن الديمقراطية فى الإسلام ونحن هنا تجاوزا أطلقنا على مبدأ الشورى كلمة الديمقراطية والحديث عن الديمقراطية فى الإسلام سوف يكون من ثلاث إتجاهات :

☜ **الإتجاه الأول** : نظام الحكم وعلاقته بالديمقراطية .

---

(١) انظر كتاب حوار حول العلمانية ، وكتاب الصحوة الإسلامية فى ميزان العقل ، وكتاب مصر بين الدول الإسلامية والدول العلمانية .

(٢) سورة الملك آية ١٤ .

- **الإتجاه الثانى** : ديمقراطية الحاكم المسلم .
- **الإتجاه الثالث** : ديمقراطية الشعب المسلم .

أولاً : ديمقراطية نظام الحكم فى الإسلام :

لا وراثة ، ولا تعيين ، ولا طبقية ، ولا كهنوت ، ولا إنفراد بالسلطة ، ولا وصاية على الإمام .

(١) إختيار الحاكم المسلم كأحدث الطرق الدستورية والديمقراطية فى العالم :

فى أمريكا زعيمة الديمقراطية يجتمع قادة كل حزب ويرشحون واحداً منهم لمنصب رئيس الجمهورية ثم يعرض هذا الشخص على الأمة فى استفتاء عام ، فإذا فاز أصبح رئيساً للدولة ، وممثلاً لجميع أفراد الشعب .

ونفس النظام والإسلوب يحدث فى كل بلد متمدن فى القرن العشرين مع فروق شكلية ومظهرية طفيفة . . ففى بريطانيا مثلاً وفى ألمانيا الديمقراطية يختار كل حزب رئيسه ثم يتقدم كحزب للإنتخابات العامة والحزب الفائز يصبح رئيسه بالتالى رئيساً للحكومة والمسئول عن سياسة الدولة . . وما الملكية الوراثية فى بعض البلاد الديمقراطية كإنجلترا إلا منصباً فخرياً لا سلطة له على الشعب ولا تدخل له فى شئون الحكم . . هذا فى الغرب الديمقراطى فى القرن العشرين . .

فكيف كان إختيار الحاكم فى العهود الإسلامية الأولى . .

عندما توفى رسول الله قام سباق طبيعى بين المهاجرين والأنصار على من يخلفه ، واجتمع الفريقان الكبيران فى سقيفة بنى سعد ، فرشح المهاجرون

أبا بكر للخلافة وطالب الأنصار بترشيح واحد منهم . . ودار بين الفريقين حوار ديمقراطى لا يختلف عما يحدث فى عصرنا هذا بين أى حزبين سياسين . . ووقف أبو بكر يشرح حجته فى أحقيته بالمنصب وفى صالح الأمة فى اختياره حتى اقتنع الفريقان وقاموا إليه يبايعونه . . ثم توالت القبائل الأخرى الواحدة بعد الأخرى حتى تمت له البيعة من المسلمين جميعهم . .

وعندما حضرت المنية أبا بكر بعث إلى كل الصحابة فيمن يرشحه للخلافة بعده ، ويطلب منهم رأيهم فى عمر فاتفقت آراؤهم حوله ، ثم خرج عثمان بن عفان ليعلن على المسلمين أن الرأى قد استقر على ترشيح عمر ، وسألهم إذا كانوا يريدون مبايعته فأقبلوا على بيعته .

وعندما حضرت المنية عمر بن الخطاب طلب منه نفر من الصحابة ان يستخلف من بعده ولده عبد الله بن عمر لما عرف عنه من العقل والحكمة والفقه فى الدين فأبى عمر حتى لا تؤخذ سنه لمن بعده فى توريث أبنائهم وقال فى ذلك : (بحسب آل عمر أن يحاسب واحد منهم ويسأل عن أمر أمة محمد) (١) وطلبوا منه أن يختار (بالمشورة) مرشحاً آخر كما صنع أبو بكر عندما اختاره ولكن عمر آثر أن يصنع كما فعل الرسول إذ لم يحدد خليفته ولم يفرض أحداً على الناس ورشح عمر ستة من الصحابة ليتفقوا فيما بينهم على واحد منهم فاختاروا عثمان ، ولكن خلافة عثمان لم تتم إلا ببيعة عامة من الشعب .

وخلاصة لذلك نجد أن إسلوب اختيار الحاكم فى الإسلام هو نفسه الإسلوب الذى تتبعه اوروبا الديمقراطية فى القرن العشرين وحسب أحدث دساتير العالم مع فضل السبق .

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٢٨ دار المعارف الطبعة الرابعة .

فالحاكم يرشح أولاً من حزبه أو جماعتـه أو (أهـل الشـورى فـى الإسلام) ولكن هذا الترشيح لا يصبح تعييناً نافذ المفعول إلا بعـد انتخابـات عامة (أى بالبيعة فى الإسلام) . . [١]

ومن الملاحظ هنا :

أ – أن الرسول وخلفاءه الراشدين قد رفضوا مبدأ التعيين وأن إختيـار أبى بكر لعمر لم يكن تعيينا كما يدعى البعض بل كانت ترشيحاً وللنـاس أن ترفضه أو تقبل به حسب الشورى . .

ب – وإن الحاكم المسلم لا يتولى السلطة إلا بعد بيعـة وانتخـاب أى برضا الناس ورغبتهم ومن يأخذ الحكم قهراً أو قسراً أو بإنقلاب عسـكرى ، أو من يأخذ لنفسه البيعة وهو فى قمة السلطة يعتبر حكمه غير شرعى ، وقد أكد عمر بن الخطاب على هذه الحقائق فى خطاب ألقاه على الأمـة قـائلاً : (أيها الناس قد بلغنى أن بعض الناس يقول والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا فلتعلموا أن من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له . . وهو والذى بايعه أحق أن يقتلا) [٢] .

ج – وعندما آل ملك بنى أمية إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز بالوراثة دخل المسجد فخطب الناس قائلاً : (أيها الناس إنى قد ابتليت بهـذا الأمـر (أى وراثة الحكم) على غير رأى منى ولا طلباً له ولا مشورة من المسلمين وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى فاختاروا لأنفسكم) [٣] فهو لم يأخـذ

---

(١) ص ٢٢٦ من كتاب كيف نحكم بالإسلام ؟

(٢) الديمقراطية عند العرب ، محمود الشرقاوى ص ١٢٤ .

(٣) ابن الجوزى (سيرة عمر بن عبد العزيز) ص ٥٣ مطبعة المؤيد القاهرة سنة ١٣٣١ هـ تحقيق محب الدين الخطيب ن وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٥٣ إدارة المطبعـة النبويـة سنة ١٥٣١ هـ .

البيعة لنفسه وهو فى السلطة والحكم ، بل خلع نفسه أولاً . . ولم يقبل الحكم بعد ذلك إلا بعد بيعة حرة . .

(٢) سلطات الحاكم المسلم غير مطلقة وهى أقرب إلى الحكم الدستورى العصرى :

يقول الله تعالى مخاطباً رسوله : ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ** ﴾ (١) ، ويقول : ﴿ **وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ** ﴾ (٢) ، ويقول الله تعالى : ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ (٣) هذه هى سلطات الحاكم فى كتاب الله .

ومن أقوال الخلفاء : (عندما ولى أبى بكر الخلافة قال كلمته المشهورة : " أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيت فلا طاعة لى عليكم " (٤) فقال له بعضهم : " والله لو عصيت لنقومك بسيوفنا هذه ") .

وعندما بويع عمر وقف يخطب وكأنما يقسم الولاء للشعب : (والله ما أنا بملك يملك فاستعبدكم بملك أو جبرية ، وما أنا إلا أحدكم منزلتى منكم كمنزلة والى اليتيم منه ومن ماله) . وقال عمر بن عبد العزيز فى خطاب بيعته : (إنما أنا واحد منكم غير أن الله جعلنى أثقلكم حملاً) .

وفى الفقه الإسلامى يقول الشيخ محمد عبده فى كتابه (الإسلام والنصرانية) :

---

(١) سورة الغاشية الآيات ٢١ – ٢٢ .
(٢) سورة ق الآية ٤٥ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩ .
(٤) حياة الصحابة .

(الخليفة عند المسلمين ليس بمعصوم ولا هو مهبط الوحى ولا من حقه الإستئثار بتفسير الكتاب والسنة ولا يخصه الدين بميزة فى فهم الكتاب والعلم بالأحكام ولا يرتفع به إلى منزلة خاصة ثم هو مطاع ما دام على الحجة والنهج والسنة والمسلمون له بالمرصاد ، فإذا انحرف عن النهج اقاموه عليه وإذا غعوج قوموه ، فالأمة أو نواب الأمة هى التى تنصبه والأمة هى صاحبة الحق فى السيطرة عليه وهى التى تخلعه متى رأت من مصلحتها فهو حاكم مدنى من جميع الوجوه) إلى أن يقول (ليس فى الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة وهى سلطة خولها الله لأدنى المسلمين) .

ويقول أيضاً الشيخ محمد بخيت المطيعى [١] مفتى الديار المصرية الأسبق فى كتابه (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) : (إن منصب الخليفة إنما يكون مبايعة أهل الحل والعقد وإن الإمام إنما هو وكيل الأمة ، وإن أفرادها هم الذين يولونه السلطة فمصدر قوة الخليفة هو الأمة ، وهو إنما يستمد سلطاته منها ، والمسلمون هم أول امة قالت بأن مصدر السلطات) .

ومن المعروف أن الحكم الإسلام يعتمد على الشورى وإلا فقد شرعيته ويقص علينا الإمام بن تيمية فى كتابه (السياسة الشرعية) إن الإمام العالم أبا مسلم الخولانى دخل على معاوية بن ابى سفيان فقال :

(السلام عليك أيها الأجير) فاستنكر ذلك جلساء الخليفة وقالوا له : (قل السلام عليك أيها الأمير) (فأعاد السلام عليك أيها الأجير : قالوا بل قل أيها الأمير ، فقال فى إصرار بل السلام عليك أيها الأجير)

---

(١) كتاب (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) للشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية الأسبق .

وهنا فطن معاوية إلى ما قصده وقال : دعو ابا مسلم فإنه اعلـــم بمـــا يقول : فقال : (غنما أنت أجير استأجرك رب هذه الأمة لرعايتها) فإن أنت داويت مرضاها وشفيت جرحاها وحبست أولاها على آخرها وفالـــك ســـيدها أجرك وإن أنت لم تفعل عاقبك سيدك) [١] .

ولم تكن النظرة إلى الحاكم المسلم قاصرة على عهد الخلفاء الراشـــدين وحدهم ن فحتى فى عهود الإستبداد والحكـــم المـــوروث وإنحطـــاط الدولـــة الإسلامية كان الحاكم يعتبر نفسه أجيراً لدى الشعب ، وهذا هو أبـــو العـــلاء المعرى ينعى على الولاة فى عهده ظلمهم ويقول :

مل المقام فكم أشـــاهد أمـــــــة

آمرت بغير صلاحها امراؤهـــــا

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها

وعدو مصالحها وهم اجراؤهـــا [٢]

وقد ظل جميع المستشرقين فى الغرب حتى يومنا هذا يتعجبـــون مـــن روعة هذا التشريع الإسلامى الذى كان فى القرن السادس المـــيلادى يعتبـــر الحاكم مجرد أجير يمكن عزله أو قبض الراتب منه أو سحب التوكيل منه فى حين كان الحكام فى أوروبا إذ ذاك يعاملون كأنصاف آلهة .

☜ ضمانات الإسلام لعدم إستبداد الحكام :

وبعد هذا الإستدلال والإستفاضة فى الشرح لابد أن هناك من سيعترض قائلاً لقد تحققت العدالة والحرية على عهد رسول الله وخلفائه الراشدين عندما

---

(١) السياسة الشرعية فى إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية ص ٧ .

(٢) نقلاً من كتاب تاريخ الفلسفة العربية لجميل صليبا ص ٢٩٦ .

كانت الأخلاق والضمير والبوازع هي العامل المسيطر لمنع الإستبداد . . ولكن التاريخ يروى لنا أن بعض من قبعوا هذه المرحلة من الخلفاء قد فجر واشتط واستغل الدين سيفا في يده يتحكم به في رقاب العباد ، فاتهم معارضيه بالكفر أو بالخروج على إجماع الأمة ونصب المشانق والصلبان بإسم الدين ، فما هي الضمانات القانونية التي يقدمها الإسلام لصيانة الحكم من مثل هذا الإنحراف . .

ونقول رداً على ذلك :

(إن الضمان الحقيقي والأساسي لعدم إستبداد أي حاكم على ظهر الأرض لا يكمن في المجالس النيابية ولا اللوائح الدستورية ولا القسم الذي يتعهد به الحاكم على نفسه بالعدل وعدم الإستبداد . . ولكن الضمان الحقيقي الفعال هو وعى الأمة وفهمها لحقوقها وواجباتها وهذه هي النقطة الفعالة التي اهتم بها الإسلام ونجح في تحقيقها . . فمهما بلغت الضمانات السابقة من القوة والأحكام حسب الطرق العلمية الحديثة فإن الحاكم إذا وجد من شعبه جهلاً وغفلة وتهاوناً في حقوقهم انقلب إلى دكتاتور مستبد [(١)] دون أن يجد في تلك الضمانات القانونية ما يعوقه أبداً . . فكم من حاكم له مظاهر الحاكم الدستوري العصري ، فلديه مجلس نيابي منتخب ولديه حزب حاكم ولديه عدد لا يحصى من اللجان المنتخبة ، ولا يمكن أن يؤخذ على حكمه أي عيب دستوري ولكنه هو في الواقع صاحب الأمر والنهي وهو مصدر كل السلطات طالما شعبه غافلاً متساهلاً عن حقوقه متساهل في مطالبه . .

---

(١) إشارة القرآن إلى قضية إستغلال الحكم لجهل الرعية حين قال عن فرعون : ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ** ﴾ سورة الزخرف الآية ٥٤ .

وإذا أردنا المقارنة بين نوعين من الحكم المستبد : أحدهما يحكم بإسم الدين والآخر يحكم بالقوانين الوضعية لما وجدنا بينهما فرقا فى الإستبداد غلا من ناحية الوسيلة فحسب ، الأول يستغل الدين ورجاله لغستبداده والثانى يستغل القانون ورجاله فى طغيانه .

فكم من حاكم علمانى أو دستورى اشتهر فى التاريخ بالمحاكمات الصورية ومحاكم التفتيش والمخابرات وأحكام السجن والإعدام بالجملة . . وكل هذا بإسم القانون وتحت سلطانه .

ومن غير الحكمة ولا المنطق في مثل هذه الأحوال أن نتهم أياً من القانون أو الدين بأنه يهئ الفرصة للإستبداد والحكم المفرد . . ولكنه غفلة الشعوب وجهلها وتهاونها فى حقوقها التى تهئ الفرصة للحاكم الضعيف الشخصية (لا القوى الشخصية كما قد يزعم البعض) إلى الإستبداد والعنف عندما يعجز عن مواجهة معارضيه بالعمل الصالح والحجة المقنعة . لذلك نجد أن أول خطوة يتبعها الحاكم الذى يريد الإستبداد حتى يؤمن لنفسه حكماً مطلقاً لا ينازعه فيه أحد : هى حرمان الشعب من كل وسائل التوعية التى تنبهه إلى حقوقه ومطالبه وأول هذه الطرق هى السيطرة التامة على وسائل الإعلام .

وهكذا نعود إلى الضمان الحقيقى لعدالة الحكم . . ألا وهو ثقافة الرعية ورسول الله يقول : (كما تكونوا يولى عليكم) وعند الحديث عن واجبات الرعية المسلمة التى نص عليها الإسلام فستوف نوفى هذه النقطة بحثاً .

عهد الوالى أو خطاب العرش فى الإسلام

بعد أن بويع عمر بن الخطاب بالخلافة وقف يخطب خطبة المبايعة فى المسجد ويعطى العهد للناس لسياسته في الحكم فقال :

(لكم على ألا اجتبى من خراجكم ولا ما افاء الله عليكم إلا من حقه ولكم على إذا وقع فى يدى الا يخرج منى إلا بحقه ، ولكم على أن أزيد عطاياكم وارزاقكم إن شاء الله وأسد ثغوركم ، ولكم على ألا ألقيكم فى المهالك ولا أحبسكم فى ثغوركم ، وإذا غبتم فى البعوث فأنا أبو العيال حتر ترجعوا إليهم – فاتقول الله عباد الله ، واعيوننى على أنفسكم يكفها عنى – واعيوننى على نفسى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم ، ألا وإن أمير المؤمنين أخو المؤمنين فإن لم يكن أخا المؤمنين فهو عدو المؤمنين .

ثانياً : ديمقراطية الحاكم المسلم :

قال تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

الحاكم المسلم لا يملك إلا أن يكون ديمقراطيا ، لأن الإسلام والاستبداد لا يلتقيان ، وعليه أن يختار بين أحدهما .

فلكى يصبح الحاكم شرعيا فى الإسلام ولكى يلتزم الشعب نحوه بالطاعة :

١ – فلابد للحاكم المسلم من عدة سمور أن يصل بالبيعة الحرة من الرعية أى بالإنتخاب .

---

(١) سورة الشعراء آية ٢١٥ .

٢ – وأن يتقيد بالشورى أى بالمجالس النيابية .

٣ – وأن يلتزم بنتيجة الشورى أى يحترم رأى الأغلبية .

٤ – وأن يرفض المدح الكذاب الذى يضلل الحكام .

٥ – ويتقبل النصيحة والرأى أى المعارضة والنقد .

٦ – وأن يحترم المعارضة ويمكنها من تأدية رسالتها .

٧ – وأن يقيم العدل والمساواة مع معارضيه قبل أنصاره ، ومع البعيد قبل القريب ، ومع العامة قبل الخاصة .

٨ – وهو محاسب أمام الله والرعية حتى عن ملبسه ومسكنه وطعامه وحياته الخاصة .

٩ – وهو مسئول عن اختيار مجلسه واحترام مجالسيه .

١٠ – ومسئول عن اختيار وزرائه وأعوانه ومسئول عن مراقبة أعمالهم .

١١ – والحاكم المسلم مسئول عن إيصال الحقوق إلى كل مواطن من رعاياه فى البيوت والحقول والعمل حتى يتفرغوا للإنتاج والعمل .

١٢ – وعليه أن يسهل للرعية مقابلته لرفع مظالمهم .

١٣ – وعليه أن يحل مشاكلهم قبل أن يطالبوه بها ، ويعرف حاجات مواطنيه قبل أن يفصحوا عنها .

١٤ – عليه أن يبعد أهل التملق وأصحاب المصالح الخاصة من حوله قدر الإمكان إذ أن البطانة الصالحة تعين الحاكم على رؤية صادقة للأمور بخلاف الزبانية الذين لا يهمهم سوى أن يظلوا بجانب الحاكم .

قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ﴾ (١) .

هذه هى بعض شروط الحاكم المسلم حتـى يصـبح حكمـه شـرعيا ودستوريا ، فبغير البيعة الحرة ، والشـورى الملتزمـة ، والعـدل العـام ، والمساواة بين الرعية وإيصال الحق ، وسماع النصيحة ، والأمر بـالمعروف والنهى عن المنكر ، وغير ذلك من المعانى التى جاء بها الإسلام والتى تسمى فى عصرنا الحديث بالديمقراطية بغير هذه أو باختلال بعضها يفقـد الحكـم شرعيته وتسقط بيعة الناس له أى تسحب الثقة منه .

ويتميز الحاكم المسلم الحق عن أى حاكم مدنى بعـدد مـن الصـفات الديمقراطية التى نحتاجها فى عصرنا الحاضر فمن ذلك :

١ – الحاكم المسلم معلم ومربى قبل أن يكون حاكما أو رئيسا وهذا هو نوع الحاكم الذى تحتاج إليه أمتنا فى مرحلتها الراهنة .

فأمتنا الإسلامية تمر اليوم بمرحلة تخلف رهيب ، والإنسـان العربـى والمسلم بحاجة إلى إعادة بناء كيانه وتفكيره ووجدانـه وتربيتـه وإيمانـه ، وبكلمة واحدة أنه في مرحلة بعيدة عن خلق القرآن ، ويحتـاج إلـى بعـث إسلامى جديد ، وليس هذا عمل حاكم عسكرى يأمر فيطاع ويحكم بالشـرطة والقوة والمراسيم .

ولا زعيم سياسى يعيش بين المكاتب وخلف الجـدران وتحـت سـقف الروتين .

ولا دبلوماسى ماهر تملأ صوره وتصريحاته صفحات الجرائد وعواميد الأنباء .

---

(١) سورة آل عمران : آية ١١٨ .

ولكنه عمل مدرس عقائدى ، ومربى شعبى ، يعيش بين النـــاس كـــأى واحد منهم فيصبح بأفعاله وأقواله خير قدوة لهم ، يبدأ من الصـــفر ، فيخلـــق جيلا ويربى أمة .

وبذلك يسير فى نفس الطريق التى رسمها معلم الإنسانية الأول محمد بن عبد الله حين كان يقول : " لقد بعثت معلما ورسولا " ، ويقول : " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " .

لقد ابتدأ رسول الله ﷺ يعلم أمته كل شئ فى الحياة ، ابتداء من غســيل الوجه والقدمين وآداب المائدة والطعام ، ثم انتقل من ذلك إلى تعلــيمهم آداب التعامل بين الناس ورعاية الأسرة وحماية المجتمع ثم وصل بعد هــذا إلـــى تعليمهم معاملة الشعوب والمعاهدات الدولية وأسرى الحرب ونظــم الحــرب والسلام . (١)

كان رسول الله يحب النظافة والطيب وخصوصا إذا دخــل المســجد ، وذات يوم وهو فى المسجد وجد إعرابيا يبول فى المسجد وقد ثار الصـــحابة فى وجهه وكادوا أن يفتكوا به ، فنهـــاهم الرســـول عنتـــه ، وقـــال لهـــم : (لا تقطعوا عليه بولته) أى لا تفزعوه فيحتبس البول عنه ، فلما أتم الرجـــل بولته ناداه الرسول فى رفق ، فأخذ يرشده كأنه يربى ولده أو معلـــم يثقـــف تلميذه ويقول له : (إن هذه المساجد لا تصلح لشئ من هذا البول والقذر وإنما هى لذكر الله عز وجل وقراءة القرآن) (٢) ، ثم أمر الرسول بدلو ماء وأخـــذ مع الرجل يطهر المكان .

---

(١) ص ٢٣٦ من كتاب كيف نحكم بالإسلام .

(٢) متفق عليه فتح البارى ج١ ص ٣٨٥ كتاب الوضوء .

ورأى رسول الله يوما رجلا يبصق على الأرض فقال له : (البصق على الأرض فى المسجد خطيئة وكفارتها ردمها) . [١]

٢ – من صفات الحاكم المسلم أنه يحكم بالمحبة والرحمة والأقناع والوازع الدينى أكثر مما يحكم بالسلطة والشرطة إذ أنه من المعلوم أن كثرة القوانين لا تغير الشعوب تغييرا جذريا ومن أراد التحقق من صدقة قوة الوازع الدينى فلينظر إلى قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن الرسول فى إحدى الغزوات [٢] ويقارن بينها وبين الهروب من الخدمة فى الحكم المدنى .

٣ – من صفات الحاكم المسلم رفض المدح لقول الرسول ﷺ : " إذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب " . [٣]

وقد سمع الخليفة عمر بن الخطاب أن خالد بن الوليد وكان واليا على قسرين يجمع حوله الشعراء فيمدحوه ، عزله عن عمله وقال له إن كانوا قد مدحوك بما فيك فأنت أعلم بنفسك وإن لم يكن فيك فذلك مدعاة للكذب ولك بالغرور . [٤]

٤ – من صفات الحاكم المسلم تقبل النقد . والوقائع التى تشير إلى تحلى رسول الله ﷺ بهذه الصفة كثيرة منها قصة تقسيم الغنائم ، وكذا قصة قميص عمر ، وقصة غلاء المهور .

٥ – ومن صفات الحاكم أيضا إحترام من هم دونه فى المنصب ، وحل مشاكل الرعية قبل أن يطالبوه بها ، وهكذا والأمثلة على ذلك كثيرة .

---

(١) رواه النسائى وبن حنبل فى مجمع الزوائد باب المسجد ج١ ص ١٧٣ .

(٢) الرواية بتمامها ذكرها البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود . انظر الترغيب ج٤ ص ٢٥ .

(٣) رواه مسلم فى الزهد (٣٠٠٢) .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص ٦٦ .

ثالثاً : ديمقراطية الرعية المسلمة :

قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (١) .

تتجلى ديمقراطية الرعية فى أمرين :

أ – صلة الرعية بحكامها وتعاملها معهم .

ب – صلتهم ببعض وتعاملهم فيما بينهم .

** **الأمر الأول** : علاقة الرعية بالحكام فى الإسلام أو ديمقراطية الرعية نحو حكامها ، من أعظم الحكم السياسية وأكثرها واقعية قول رسول الله ﷺ : " كما تكونوا يولى عليكم " .

فالشعب هو المدرسة التى تخرج القادة والحكام ، وكل أناء بما فيه ينضح ، فإذا كان الشعب لا يعرف معنى التراحم والمحبة والاتحاد والتعاون والعدل بحيث يحترم القوى حق الضعيف ويعطف الغنى على الفقير ويرقر الصغير شيبة الكبير ، إذا لم يتصف الشعب بهذه الأخلاق فكيف نتوقع أن يخرج منه قادة يفهمون معنى الديمقراطية ويعطون حقوقه السياسية ، وما أصدق الخليفة الأموى الذى وقف يخطب قائلاً : (يامعشر الرعية انصفونا من أنفسكم ، تريدون منا سيرة كسيرة أبى بكر وعمر وأنتم لا تفعلون كرعيتهم) .

والرعية الجاهلة المتخلفة تحرق حكامها وتفسد حتى الصالحين منهم وذلك :

---

(١) سورة التوبة : آية ٧١ .

إما بالخضوع الزائد والتقديس المضلل والسكوت عن الأخطاء .

وإما بتقديم سوء الظن وعدم التعاون والنقمة الهوجاء ، وكلا الأمرين ينهى عنه الإسلام .

فمن روائع الإسلام أنه يحدد صلة الرعية بحكامها بأربع قواعد أساسية :

أولاً : عدم تقديس الفرد .

ثانياً : الالتزام بنصحه ونقده .

ثالثا : الالتزام بنزاهة النقد .

رابعاً : الالتزام بالطاعة والمناصرة في الحق .

وهذا هو الدليل على كل واحدة من هذه :

أولاً : **الإسلام ينهى عن تقديس الفرد سواء كان ملكا أو حاكما أو زعيما ، فما بالك وقد نهى الإسلام عن تقديس الأنبياء .**

ومعنى التقديس هنا هو رفع الفرد فوق منزلة البشر واعتبار كل أعماله منزهة عن الخطأ أو تقديم الخضوع الزائد له ، أما رهبة منه وأما طمعا فيه وتملقا له ، فرسول الله يقول : " من جلس إلى ذى جاه فتضعضع له لدنيا تصيبه ذهب ثلثا دينه ودخل النار " ابن ماجه .

ويعتبر الإسلام من يرضى على نفسه الذل تملقا أو طمعا فى الحاكم خارجا عن جماعة المسلمين [1] فرسول الله يقول : " من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا " . الترمذى .

---

(١) انظر كتاب كيف نحكم بالإسلام ص ٢٥٦ .

وتلعثم رجل فى حضرة الرسول من هيبته فقال له الرسول : " هون عليك إنما أنا عبد الله أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد " . (١)

ودخل رسول الله ﷺ يوما على بعض صحابته فقاموا له احتراما وهيبة فقال الرسول : " إجلسوا ولا تفعلوا كالأعاجم يعظم بعضهم بعضا " متفق عليه

وقد طبق خلفاء الرسول سنته من بعده ، فكانوا يمنعون الرعية من الخضوع لأحد أو التملق لأحد ، وقد رأى عمر بن الخطاب أحد زعماء القبائل يسير فى الطريق وخلفه وحوله فريق من أتباعه يوقرونه ويوسعون له فعلاه بدرته على رأسه وقال له : ماشاء الله يابن عبد ثم فرقهم بدرته وقال لهم : إياكم أن تعودوا لمثلها فإنها فتنة للمتبوع وذلة للتابع .

وجلس رجل فى مجلس الخليفة عمر فلاحظ عمر أنه يؤمن على كل كلمة يقولها ويؤيده مع المبالغة فضاق صدر الخليفة العادل بهذا التملق وقام إلى الرجل وعلاه بدرته قائلا : إنك مانفعل ذلك لوجه الله .

وتقبيل يد الحاكم مكروه فى الإسلام ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول : قبلة اليد من المسلم ذلة ومن الذمى خدعة ولا حاجة لنا أن نذل أحدا أو يخدعنا أحدا . (٢)

ومدح الحكام مكروه فى الإسلام ، فرسول الله ﷺ يقول : " أحثوا التراب فى وجوه المداحين " . (٣)

---

(١) أخرجه البغوى فى شرح السنة ج١١ ص ٢٨٦ وقال إسناده صحيح .
(٢) ص ٢٥٧ من المصدر نفسه .
(٣) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ج١ ص ١٦٦ من فتح البارى .

وقد غضب رسول الله ﷺ من رجل لأنه قال له : أنت سيدنا وابن سيدنا . وقال له : لا يستهوينكم الشيطان فما أنا سيد أحد ، إنما عبد الله ورسوله . متفق عليه .

ثانياً : الرعية المسلمة مطالبة بالنصح للحاكم : والنصح هو مايسمى فى عصرنا بالنقد النزيه ملزم ويعتبر شرطا من شروط كمال الدين ، فرسول الله يقول : " الدين النصيحة " قالوا : " لمن يارسول الله " قال : " لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " . (١)

ولا يحل لمسلم أن يمتنع عن إسداء النصح ، والنقد تهيبا للحاكم الظالم أوجب . فالرسول يقول : " خير الشهداء حمزة ثم رجل قال كلمة الحق أمام سلطان جائر فقتله " الترمذى والحاكم .

والإسلام ينهى المسلم عن أن يكون إمعه يوافق الحاكم إذا وافقه الناس بل عليه أن يقول مايعتقد أنه الحق والصواب . فرسول الله ﷺ يقول : " لا يكون أحدكم أمعه يقول إذا أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت ولكن ليوطن نفسه إذا أحسن الناس أن يحسن وإذا أساؤوا أن يتجنب إساءتهم " . (٢)

ثالثاً : الإسلام يحرم النقد الهادم أو المغرض : ففى نفس الوقت الذى يأمرنا الإسلام فيه بعدم تقديس القادة وعدم تملقهم وبالتمسك بحرية وشجاعة النقد فإنه يأمرنا أيضا بنزاهة النقد . (٣)

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان ج١ ص ١٦٦ من فتح البارى .

(٢) أخرجه الترمذى فى باب البر ج٦ ص ١٤٥ (٢٠٧٥) ، جامع بيان العلم ج٢ ص ١٦٢ .

(٣) ص ٢٥٨ من المصدر نفسه .

وكل نقد لايقصد به وجه الله ووجه الحقيقة وإصلاح شأن الرعية فهو نقد باطل يرفضه الإسلام . فالله تعالى يقول : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

ولا يكتفى الإسلام بالحث على نزاهة النقد العلنى فى ممارسة الأراء السياسية ، بل حتى فى المجالس الخاصة وفى دخيلة النفس يجب أن لا يكون النقد باطلا أو مغرضا أو فى معصية الله .

فالله تعالى يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢) .

ويكره الله المبالغة فى الخصومة السياسية والنقد فرسول الله يقول : " إن أبغض الناس إلى الله الألد الخصم " . (٣)

وعلى الرعية المسلمة أن لا تسئ الظن بحكامها أو تتسلم للإشاعات الباطلة أو التشكيك فيهم ، فرسول الله ﷺ يقول : " إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث " . متفق عليه .

وكان رسول الله يغضب إذا سمع شائعة سوء عن أصحابه ويقول : " لا يبلغنى منكم عن أحد من أصحابى شيئا فإنى أحب أخرج إليكم وأنا منشرح الصدر " .

---

(١) سورة النساء : آية ١١٤ .

(٢) سورة المجادلة : آية ٩ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب المظالم ج٥ ص ١٢٧ من فتح البارى .

وكان ﷺ يقول : " أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها برئ يشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه يوم القيامة فى النار حتى يأتى بنفاذ ما قال " .

والرعية المسلمة مطالبة بالتسامح مع الحاكم وتقديم حسن الظن بـه إذا اجتهد فى أمر فأخطأ عن غير عمد . فرسول الله يقول : " إذا اجتهد الحـاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر " . (١)

رابعاً : الرعية المسلمة ملزمة بمناصرة الحاكم مادام على حق ، وعدم الوقوف منه موقفا سلبيا ، بل يؤيدونه ويساعدونه فى تأدية مهمته .

فرسول الله يقول : " اسمعوا وأطيعوا ولو أمر عليكم عبد أسود رأسـه كزبيبة مادام يعمل بكتاب الله " (٢) ويقول : " من أطاعنى فقد أطاع الله ومـن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعصى الأمير فقـد عصانى " . (٣)

فكما أن الإسلام يضع أشد القيود على الحاكم حتى لا ينحـرف أو ينفـرد بالسلطة ، فهو فى مقابل ذلك يطلـب مـن الرعيـة حمايـة الحـاكم الصـالح من الطامعين فى السلطة ووقفهم عنـد حـدهم . فرسـول الله يقـول : " مـن أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفـرق جمـاعتكم فاقتلوه " . (٤)

---

(١) رواه البخارى كتاب الأحكام (٧٣٥٢) .
(٢) رواه البخارى كتاب الأحكام (٧١٤٢) .
(٣) البخارى فى الأحكام .
(٤) أخرجه مسلم .

ولقد كان الخلفاء من بعد الرسول يبدأون خطبهم بهذه الجملة التقليدية : (أيها الناس . . أطيعونى وأعينونى ما أطعت الله فيكم) .

** **الأمر الثانى** : علاقة الرعية فيما بينها :لقد حكم المجتمع المسلم بعض الصفات التى قامت بدورها بتشكيل هذا المجتمع تشكيلا ديمقراطيا ، وهذه الصفات هى :

١ – التراحم فيما بينهم ، وذلك امتثالاً لقول الرسول ﷺ : " الراحمون يرحمهم الرحمن أرحمو من فى الأرض يرحمكم من فى السماء " . (١)

٢ – التناصر بحيث يتحدوا مع الضعيف فى وجه الظالم عملا بقول عز وجل : ﴿ **وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ** ﴾ (٢) .

ويقول ﷺ : " من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة " . (٣)

٣ – التناصح والتشاور بين الرعية ، وهى من الأمور التى أوجبها الإسلام على الفرد المسلم . فقد كان رسول الله ﷺ يأخذ البيعة من صحابته أن يعطوا النصيحة لكل مسلم .

عن جرير رضى الله عنه قال : " بايعنا رسول الله على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم " (٤) .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث صحيح ج٣ ص ١٥٥ من الترغيب والترهيب .

(٢) سورة الأنفال : آية ٧٢ .

(٣) الحديث رواه مسلم والترمذى والنسائى تخريج السنن ج٧ ص ٢٤٩ .

(٤) ج٣ ص ٢٥ من الترغيب والترهيب .

٤ – الاتحاد والوحدة . لقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِي** ﴾ (١) .

والاتحاد والوحدة هى الدعامة الرئيسية لمبدأ التناصر على الحق يقول الله تعالى : ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا** ﴾ (٢) .

٥ – الاهتمام بالخدمة العامة فلقد ربى الإسلام المسلم على ألا يكون منطويا على نفسه بل عليه أن يكون إيجابيا يؤثر فى الناس يقول النبى ﷺ : " المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على آذاهم خير من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم " . (٣)

هذه بعض الصفات التى تشكل ديمقراطية الرعية المسلمة نحو حكامها وفيما بينها .

وأمة بهذا الوعى وهذا النظام وهذه الحرية أيجوز بعد ذلك أن تتقول عليها ألسنة العلمانيين وتدعى زورا وبهتانا أنها لم تقم على الديمقراطية وأن تطبيق الشريعة سوف يتعارض مع الديمقراطية .

كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٩٢ .
(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٥ .
(٣) رواه الترمذى وقال ابن حجر إسناده حسن ، انظر مجمع الزوائد ج١ ص ٣٣٠ .

فهرس الموضوعات



رقم الإيداع

١٩٧٣ / ٩٦